دار العيدروس للكتاب الحديث

الموسوعة العسكرية التاريخية



عبقرية رومِل في حرب الصحراء

البروفيسور
محمد حسن العيدروس

دار الكتاب الحديث

الموسوعة العسكرية التاريخية

عبقرية رومل في حرب الصحراء

رومل ومعارك الصحراء الليبية

انتصارات رومل على القوات البريطانية حتى أبريل 1941

البروفيسور . د/ محمد حسن العيدروس



العيدروس ، محمد حسن .

عبقرية روميل في حرب الصحراء:روميل ومعارك الصحراء الليبية-انتصارات روميل على القوات البريطانية حتى أبريل 1941/ محمد حسن العيدروس . ـ ط1 . ـ القاهرة : دار الكتاب الحديث ، 2010

244 ص ؛ 24 سم

تدمك :1-280-350-977-978

1- روميل ـ تاريخ عسكرى.

أ ـ العنوان

953

رقم الإيداع /2010/16041



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dk.hadith@yahoo.fr
الامارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص ب . 2855أبو ظبي هاتف 00971505932613 فاكس 0097126392062 email: alaidaroosgp@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء إلى والدى المرحوم السيد الشريف/

حسن أحمد علوى العيدروس

طيب الله ثراه والفاتحة إلى روحه

وإلى الشعب الألمانى لكى يعرف أبناءه الذين أخلصوا لوطنه ولشعبه إضافة إلى نبوغهم فى شتى المجالات ومنها الإستراتيجية والعبقرية العسكرية ومن هؤلاء القائد المارشال روميل.

وإلى أبناء المسلمين وخاصة عرب مصر وليبيا وتونس ليعرفوا ويفهموا التاريخ العسكرى والمعارك التى دارت على أرضهم فى الحرب العالمية الثانية.

من أقوال «رومل»:

«نادرا ما كانت الحرب مفيدة لأحد الذين يخوضونها، وتخوض الشعوب الحرب دون أن يؤخذ رأيها فيها، ولا بد من إيقاف الحرب فورًا عندما يتبين عقمها وانعدام نتائجها».

مقدمة

نلاحظ أن القادة العسكريين الألمان تلاميذ أكبر نجابة بكثير من معاصريهم الأمريكيين وغيرهم فى دراسة المعارك الحربية والتاريخ العسكرى ومن هنا تأتى أهمية رومل الذى طغى اسمه منذ عام 1941 على أسماء كل الجنرالات الآخرين، وكانت بداياته العسكرية من ألمع البدايات فمن عقيد رفع إلى فيلد مارشال، وكان رومل بعيدًا كل البعد عن الطموحات الشخصية وكان خارجيًا "Oursider" فى كل معنى هذه الكلمة، فلم يكن يسعى إلى المراكز العليا فى هيئة الأركان العامة، وكان نشاطه مقتصرًا على المعارك والعمليات العسكرية سواء فى أوروبا أوخارجها مثل معاركه فى إيطاليا ورومانيا وبولندا وفرنسا وليبيا ومصر وتونس.

ولد رومل فى 15/ 11/ 1891 والتحق بالكتيبة 124 مشاة ضابطًا دارسًا عام 1910 وبعد حضوره فى مدرسة المشاة فى «دانيج - Danzing» عين ملازمًا عام 1912 وبرز رومل خصوصًا كضابط صغير خلال الحرب العالمية الأولى وتلقى أعلى وسام «استحقاق» ألمانى بعد هجوم «كابورتيو» ضد الإيطاليين فى عام 1917 كما شارك فى رومانيا وفرنسا. بعد عام 1933 عين مدربًا عسكريًا لفصائل الانقضاض التابعة للحزب النازى وكان يعرف كيف يحاضر بصورة حية ومفيدة وقد ساعده على ذلك أنه تمكن من توسيع أفقه بدراسة العلم الجديد الذى يسمى «الجيو - بوليتيك» كتلميذ للأستاذ «هانشرفر»، وأصبح فيما بعد مدربًا فى مدرسة المشاة «بدرسد» ثم أصبح مدربًا فى مدرسة «فاينر نوشتادت» وهى مدرسة أحدث، وقد التقى به هتلر فى إحدى المرات واستمتع بنقاش معه حول الأساليب العسكرية الجديدة،

وأعجب بإبداعه الذى وجده متجددًا ومنعشًا وعندما نشبت الحرب عين قائد لمقر القيادة الخاصة بالفوهرر وبعد الحملة البولونية عين قائد لإحدى الفرق المدرعة «البانزر» السابعة وقادها فى الهجوم على الغرب، حيث مثلت دورًا بارزًا فى عملية اختراق نهر «الموز» والانقضاض باتجاه المانش ثم عبرت هذه الفرقة الجبهة الفرنسية على «السوم» بين «آبفيل» و«إميان» وقادت الاندفاع إلى «السين» بقرب «روان» وبعدها لقبت فرقة روميل باسم «فرقة الشبح».

أحدث روميل تأثيرًا كبيرًا فى العالم بسيفه وسلاحه العسكرى، وزاد من عمق هذا التأثير ببلاغة قلمه، لأن أى قائد آخر فى التاريخ لم يستطع كتابة قصة حملاته بطريقة تضاهى فى حيويتها وقيمتها كتابات روميل، علاوة على أن أى قائد آخر لا يستطيع تصوير عملياته وأسلوبه فى القيادة بمثل هذه الطريقة، كما أنه لا يمكن لأى قائد أن ينقل عن طريق الكتابة ديناميكية الحرب الخاطفة وسرعة قوات البانزر، وسنحس بالحركة السريعة والقرارات الحاسمة كثيرًا خلال مذكراته، ولهذا كان اعتمادنا كبيرًا على تلك المذكرات فى هذه الدراسة باعتبارها شاهدًا حى على الأحداث، إضافة إلى دقة المعلومات والملاحظات العسكرية التى تعطى قيمة علمية أكثر فى التاريخ العسكرى. وقد كان أغلب القادة العظام كُتَّابًا فاشلين، بجانب افتقارهم للمهارات الأدبية فى وصفهم لأعمالهم كانوا على الدوام ميَّالين للغموض بالنسبة للطريقة التى يفكرون بها وفى وصفهم لأعمالهم. ولذلك لم يقدموا للأجيال التى تلتهم إلا القليل عن هذا الفن، أما كتابة روميل فكانت موضوعية للغاية، بالإضافة إلى كونها تفصيلية.

تتضمن هذه الدراسة إضافة إلى روميل وعائلته والقادة الألمان وبعض الأسئلة مثل رأى روميل فى قيادة هتلر السياسية والعسكرية، عندما رآها لأول

مرة عن قرب؟ هل كان رومل يؤمن بقيمة الشعب الألمانى؟ لماذا كان البابا يميل إلى الألمان عن الحلفاء؟ ما هى أسباب فساد الحزب الفاشستى؟ كيف كانت خطة هتلر لتخليص موسولينى من الأسر؟ ما هو رأى رومل فى الجندى الإيطالى والبريطانى؟ لماذا اعتبر رومل الانقلاب ضد هتلر قبل الغزو خطأ؟ ما الأهمية الإستراتيجية العسكرية للجبهة فى الصحراء العربية فى مصر وليبيا وتونس؟ هل كان هناك حل لانتصار القوات الألمانية فى ليبيا ومصر؟ كيف تكون القيادة العسكرية الحديثة؟ ما هو تعليق رومل على الحرب فى الصحراء العربية فى مصر وليبيا والغزو فى أوروبا؟ هل التعليم أسهل من إعادة التعليم؟ هل هتلر هو الذى قرر قتل رومل؟ هذه بعض الأسئلة التى يتم إجابتها فى هذه الدراسة.

تحتوى الدراسة على عدة فصول منها:

الفصل الأول: رومل وتطور الأوضاع العسكرية فى أوروبا 1914 – 1940.

الفصل الثانى: الحرب البريطانية – الإيطالية فى الصحراء المصرية – الليبية من سبتمبر إلى ديسمبر 1940.

الفصل الثالث: انتصارات رومل على القوات البريطانية فى الصحراء الليبية من فبراير إلى إبريل 1941.

أتمنى فى الختام أن تكون هذه الدراسة قد حققت أهدافها، وهى اطلاع القارئ الكريم بمجريات الأمور والمعارك فى الصحراء العربية ابتدا من مصر إلى ليبيا وتونس، وأهمية هذه المنطقة فى تاريخ أوروبا التى تعتبر امتدادًا لتاريخها وخاصة إيطاليا وبريطانيا، إضافة إلى عبقرية رومل فى الإستراتيجية

العسكرية وكيفية إدارته للمعارك برغم قلة عدد الجنود الألمان والعتاد ومعاناتهم من الإمداد، على عكس القوات البريطانية التى كانت تفوق الألمان عدة وعتاد، ولكن دون قيادة رومل وشجاعته وجنوده الألمان. وبالتالى لا يمكن المقارنة بينهما التى كانت لصالح بريطانيا التى تحارب على أرضها فى مصر وجنودها من مستعمراتها الهند وأستراليا ونيوزلندا وجنوب أفريقيا وغيرها بكل إمكانياتها المادية والبشرية والإستراتيجية، فى حين كانت القوات الألمانية بعيدة عن وطنها وإمداداتها وغريبة عن الأرض التى تقاتل عليها أو من أجلها ومن عليها، ومن هنا تأى أهمية هذه الدراسة ومعاركها فى الاستفادة منها فى الإستراتيجية والتاريخ العسكرى والتى أتمنى أن أكون قد وفقت فى إعطاء صورة أقرب إلى التكامل عن رومل وإستراتيجيته العسكرية ومعاركه وإنسانيته كقائد فى نفس الوقت.

البروفيسور د. محمد حسن العيدروس

أستاذ التاريخ والعلاقات الدولية

مدينة اليحر - العين

الإمارات العربية المتحدة

الفصل الأول
رومل وتطور الأوضاع العسكرية فى أوروبا 1914 - 1940

- المارشال إيرفين رومل.
- رومل فيما بين 1818 - 1930.
- رومل فى الفيلق الحر.
- رومل وهتلر.
- الحرب النفسية فى فكر رومل.

المارشال إيرفين رومل:

من هو المشير الألمانى «إيرفين رومل»، الملقب بـ «ثعلب الصحراء»؟ هو جنرال قصير القامة ذو ابتسامة ثعلبية عريضة ماكرة تذهل أقوى أعدائه.

عرف «رومل» كقائد عظيم فى ميدان المعـركة. تميزه عن غيره من القادة صفة نادرة فـيه هى إحساسـه بالمعركة، وشغـفه بالقتال، وهو رجـل شجاع، جسور، وسيم، لا تلين له قناة إبان القتال، قوى الشكيمة، وهو شهم رحب الصـدر فى انتصـاره، وكـريم، كيِّس، مـهذب، لبـق فى مواجـهة أعـدائه المنهزمين.

رجل لا يهزم، لا يغلب، لا يقهر، وتلك حقـيقة آمن بها الأعداء قبل الأصدقاء، فحـيث ما كان النصر يهاجمك الإعصار، وينسـحب فى شجاعة جعلت أعـداءه يتبعـونه فى حال انسحـابه بحذر شديد، خـوفًا من مكر هذا القائد الذى اشتهر بلقب «ثعلب الصحراء».

يقال إن «رومل» قد استطاع أن يعيد لميادين المعركة وسائل القتال بشرف وشهامة وفروسـية نسيها مقاتلو الحروب الحديثة. فـفى حرب وحشية زاد من وحشيتها سلوك نازى متطرف وقاذفات قنابل الحلفاء الاستراتيجية كان «رومل» يأمر جنوده بالقتال النظيف فحين يأخـذ رجاله أسرى حرب يعاملونهم معاملة حسنة وكانوا يحتـرمون الملكيات الخاصة لأعدائهم ولا يعـتبرون كل ما يملكه الأسير من غنائم الحرب.

وجدت فى ملفات «رومل» التى يرجع تاريخها إلى 15 من أكتوبر 1942 بعض توصياته السرية لكل القادة الألمان فى إيطاليـا يأمرهم فيها بالامتناع عن

التصرفات الاستبدادية تجاه الغير وعن النهب فى حال النصر، ويحثهم على الضبط والربط العسكريين، والمحافظة على النظام بما يعكس احترامهم لقواتهم الألمانية المسلحة.

رفض فى فرنسا «رومل» أعمال السخرة وطلب تجنى العمال الفرنسيين وإعطائهم أجورهم كاملة، وأهمل «رومل» أوامر هتلر المتطرفة وخاصة تلك التى أصدرها فى أكتوبر 1942. والتى جعلت من إعدام الأعداء المغاويز الذين يلقى القبض عليهم إلزاميًا وبدون استثناء. وعندما كانت قوات الحلفاء تقوم بتأجير العاطلين من أبناء الدول النامية للقيام بأعمال التخريب فى منشآت دول المحور «ألمانيا - اليابان - إيطاليا» ويلقى «رومل» القبض على عدد منهم، وكان يرفض تشجيع جنوده على الأخذ بالثأر أو رمى هؤلاء بالرصاص ومن أقواله فى هذا «من الأفضل أن نشترك مرتكبى هذه الأعمال التخريبية وخاصة المشتبه فيهم منهم بلا عقاب من أن نعاقب الأبرياء»، ولم يكن «رومل» يسعد لموت جندى من أعدائه.

يعتبر «رومل» بطل حرب من الدرجة الأولى، وواحدًا من أعظم أبطال ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية، حاز شهرة لتكتيكاته البارعة، وقدرته على توقع ما يصدر عن خصمه، وهو من احتفظ باحترافه فى جيش ورايخ معروفين بالوحشية واللاإنسانية، حتى ونستون تشرشل صرح بأن عدوه كان «خصمًا ماهرًا، وقائدًا عظيمًا». وشق «رومل» طريقه فى سلم الرتب العسكرية بخطوات حثيثة متنقلاً ما بين المناصب القيادية فى سلاح المشاة، والمهام التدريسية فى الأكاديمية الحربية.

لم يثق «رومل» بهتلر ولم يكن نازيًا بالرغم من أنه كان يحارب تحت قيادة «هتلر» والأيديولوجيا النازية، وكان يطيع الأوامر لأنه وطنى ويحب بلاده ألمانيا ولكن ليس أكثر من ذلك[1].

1891 - ولادة إيرون جوان أوجين رومل فى (هايدنهايم) قرب (أولم) - إقليم وورتمبرغ.

1910 - تطوع رومل بكتيبة المشاة 124 برتبة مرشح.

1911 - التحق بالأكاديمية الحربية فى (دانتزيغ).

1912 - تخرج من الأكاديمية برتبة ملازم ثان.

1914 - ألحق بكتيبة مدفعية ميدان فى (أولم).

1915 - منح وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى.

1916 - تزوج من (لوسى ماريا مولين).

1917 - احتل جبل ماتاجور - غرب كاوريتو فى إيطاليا. وكان قد جرح مرتين فى الحرب ووصل إلى قيادة فوج.

1918 - 1934 تنقل فى قيادة عدد من أفواج المدفعية والمشاة.

1935 - نقل إلى وزارة الحرب برتبة عقيد.

1936 - 1938 تنقل بين الكلية العسكرية فى دريسدن والكلية العسكرية فى بوتسدام برتبة عميد.

1939 - نقل إلى هيئة الأركان العامة.

1940 - تولى قيادة فرقة المدرعات السابعة برتبة لواء.

---

(1) درع الوطن - العدد 387 - عام 2004.

1941 - تولى قيادة الفيلق الأفريقى (فى ليبيا) برتبة فريق.

1942 - أصبح القائد الأعلى لجيش البانزر الأفريقى، ثم القائد الأعلى للجيوش الألمانية - الإيطالية المدرعة.

1943 - ألحق بالأركان العامة فى ألمانيا برتبة مشير (مارشال).

1943 - أسندت إليه قيادة مجموعة الجيوش (ب) فى فرنسا وهولندا وبلجيكا.

1944 - أعيد إلى القيادة العامة، واتهم بالتآمر على هتلر، وأعطى السم فمات منتحراً.

لمعت شخصية رومل العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية وملأت الدنيا صيتًا وشهرة فمن هو هذا الرجل؟ جاء إلى الدنيا ليكون واسطة العقد بين إخوته الخمسة فقد جاء قبله «مانفرد» الذى مات شابًا وتبعته هيلينا وكان إيروين أو إيرفين رومل ثالث إخوته فقد ولد فى مدية هايدينهايم - Hei-denheim» فى 12 من نوفمبر 1891، وتبعه كارل الذى دخل الجيش والتحق بسلاح الطيران وعمل فى الأناضول خلال الحرب العالمية. أما أخوه الخامس فهو «جيرهارت». وكان والد إيروين أو جوان أو جين رومل يعمل معلمًا كما كان يعمل والده من قبل وكان التعليم عملاً مرموقًا وقد اكتسب والد إيروين وجده شهرة لما كانا يملكان من معرفة فى علم الرياضيات، وتزوج والد إيروين من ابنة رئيس حكومة أو رئيس دوفيه Wurttemberg و«ورتمبرغ» «كارل فون لوز» واسمها «هيدلينا» وعاشت الأسرة فى قريتهم الصغيرة «هايدنهايم» القريبة من «أولم ULM» فى إقليم «وورسمبرغ Wurtemberg» وتقع على نهر الدانوب حيث استسلم الجيش النمساوى الذى كان يقوده «ماك Mack» لنابليون بونابرت عام 1805 وهو موطن عالم الرياضيات الشهير «أينشتاين

Einststein» فعاش إيروين روميل فى أحضان الطبيعة الغناء وسط الحقول التى اشتهرت بها ألمانيا، ولم يكن روميل فى طفولته حاملاً لتلك الصفات التى سيكتسبها عندما سيصبح قائدًا، إذ كان وديعًا جدًا وطفلاً مطواعًا كثير الشبه بأمه قصير القامة بالنسبة لعمره، بشرته بيضاء وشعره أشقر فكان أهله يطلقون عليه لقب الدب الأبيض، وكان مقتصداً فى كلامه لا يتحدث إلا بعد أن يمعن فى التروى، حسن الخلق، سمح الطباع، حلو الشمائل، جرئ ولا يهاب أحد، عاش روميل وإخوته فى أحضان الطبيعة الغناء يمضون نهارهم فى الحديقة أو الحقول والغابات، ولذلك فقد كان من الصعب على «روميل» التكيف مع المدرسة وقيودها وأظهر تخلفًا عن لداته وأقرانه وأصبح موضوع سخرية رفاقه حتى فاجأه أستاذه يومًا بقوله: «إذا استطاع روميل أن يكتب الإملاء بدون غلطة فسوف نستأجر جوقة موسيقية ونقضى يومًا فى نزهة ريفية». وأيقظ هذا التحدى روميل. فكتب على الفور الإملاء دون أن يخطئ حتى فى وضع الفواصل والنقاط ولما لم يفِ الأستاذ بوعده، عاود روميل سيرته فى الإهمال وعدم المبالاة وبقى سنوات يعيش فى شرود مع أحلامه وعالمه الخاص معرضًا عن الكتب أو الألعاب.

دخل روميل مرحلة المراهقة حيث انقلب بعدها إنسانًا آخر فقد استيقظ نشاطه الفكرى والجسمى من سياسته وظهرت لديه الموهبة الرياضية الموروثة ومضى لممارسة الرياضة التى اختارها وهى ركوب الدراجة فى الصيف والتزلج على الجليد فى الشتاء وصار يجتاز فحوصه بنجاح وفقد ذهوله ونظراته الحالمة وأخذ عن محيطه - «محيط وورتمبرغ» الواقعية والذوق السليم والحرص على النقود وشغلته دراسة الطائرات حتى أنه صنع وزميل له طائرة شراعية كبيرة لم تتمكن من التحليق وقرر روميل الالتحاق فى الجيش.

بدأ حياته العسكرية فى 19/ 7/ 1910 حيث التحق بكتيبة المشاة 124 ثم التحق بالكلية الحربية فى «دانزيغ Danzig» فى مارس 1911 وخلال هذه الفترة التقى بفتاة أحلامه لوسى مارى مولين التى وجدت فى رومل شابًا رصينًا جادًا وكان إعجابًا متبادلاً وصداقة استمرت لمدة أربع سنوات، عقدت بعدها خطبتهما بصورة رسمية وبقيت لوسى هى المرأة الوحيدة فى حياة رومل والتى برهنت على أنها رفيقة صالحة لقائد المستقبل، واجتاز رومل فحوصه بنجاح وتخرج من الكلية برتبة ملازم فى يناير 1912 فمضى لإفراغ نشاطه فى تدريب المجندين، وكان مدربًا ناجحًا يبتعد عن الجدل والنقاش يجيد الإصغاء أكثر من إتقانه للحديث. لم يكن يدخن أو يشرب الكحوليات ويتجنب مرابع وصالات اللهو الليلى، يتعامل مع الناس ومع مجنديه بأسلوب رزين لا يتساهل فى الابتذال أو الظهور بمظهر غير لائق يميل إلى الدعابة يشارك جنده حياتهم ويحمل عن رفاقه بعض أعمالهم ومسؤولياتهم إذا ما اضطروا للعون والمساعدة وعرف بإرادته الصلبة واستقلاله الفكرى وانتباهه الشديد وحذره وقوة شخصيته وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى تحركت الكتيبة 124 من كتائب مدفعية الميدان من «أولم» إلى الجبهة فى 1/ 8/ 1914 وسرعان ما استيقظت روح المحارب البروسى فى نفس «رومل» فما إن استقبلته نار المعركة حتى بدا محاربًا صلبًا رابط الجأش ماكرًا شديد القسوة صبورًا لا يعرف التعب يتخذ قراراته بسرعة، شجاعًا ومقدامًا حتى التهور.

قام رومل بتنفيذ أول مهمة قتالية صباح 22/ 8/ 1914 إذ تولى قيادة دورية استطلاعية للمواقع الفرنسية فى قرية «بليد» قرب «لونغوى»، واستمر رومل فى تنفيذ مهمته بنجاح فى مدة 24 ساعة ثم عاد لتنفيذ مهمات أخرى وحصل على وسام الصليب الحديدى من الدرجة الثانية، وأصبح قائد الفوج

أكثر اعتمادًا عليه فى تنفيذ الواجبات الصعبة والمهمات الشاقة فحصل بجهده على وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى يوم 29/ 1/ 1915 وذلك نتيجة لنجاحه فى تنفيذ عملية قوية ضد القوات الفرنسية ثم رفع إلى رتبة ملازم أول ثم نقل إلى فوج جبلى شكل حديثًا من ست سرايا من حملة البنادق وست فصائل مسلحة بالرشاشات الجبلية وأمضى الفوج زهاء سنة فى التدريب الشاق على القتال الجبلى فى النمسا قبل أن يلتحق بفيلق الألب فى جبهة رومانيا وأتيحت لرومل الفرصة لقيادة مجموعة تختلف فى حجمها وتشكيلها بحسب المهمة وقد نظم أربع سرايا واستولى بها على موقع قوى التحصين فى قمة «كوزنا» فى رومانيا خلال شهر أغسطس 1917 واتبع فى تنفيذ المهمة أسلوبًا مميزًا فقد سار بالمزايا بنظام الرتل الأحادى على طريقة الهنود الحمر وتمكن بذلك من المرور عبر الغابات بين مخفرين للعدو تفصل بينهما مسافة 120 متر دون أن يستطيع أحد اكتشاف حركة رومل. وجنوده وكان خلال سيره يمد سلكًا هاتفيًا وأمضى أسبوعًا فى تنفيذ المهمة لم يذق خلاله طعمًا للنوم أو الراحة حتى وصل القمة وكان مصابًا بجرح بليغ فى ذراعه من رصاصة جاءته من الخلف قبل أيام قليلة من تنفيذه لهذه المهمة واستطاع رومل تنفيذ مهمته بنجاح مثير، ثم قام فى ديسمبر من السنة ذاتها بالاستيلاء على قرية «غاجيتس» ولقد تطلب تنفيذ هذه المهمة من رومل أن يبقى ممددًا على الجليد فى خطوط المخافر الأمامية الرومانية والبقاء حتى الساعة العاشرة ليلاً وقد تدنت درجة الحرارة عن العشرة تحت الصفر واحتمال قوة الطبيعة فى أصعب أيام الشتاء من شهر ديسمبر وعندما أيقن أن الرومانيين قد استسلموا للنوم والراحة صب نيران رشاشاته وقسمًا من نيران البنادق على القرية ثم أغار بالبقية من حملة البنادق على البيوت وقد بلغ صراخهم عنان السماء،

وما أن أفاق الأعداء مذعورين وخرجوا من البيوت يتعثرون من سباتهم ويتهافتون كالأنعام حتى أحاط بهم من كل جانب وأسر 400 منهم وحشرهم في الكنيسة وأوصد الباب دونهم وكانت خسائره طفيفة.

يفضل رومل في عملياته الصغرى جميعها القيام بأعمال الالتفاف والاستدارة الواسعة وتجنب الهجوم الجبهي ولكنه كان إذا أرغم على القيام بهجوم جبهي سلط نارًا كثيفة من رشاشاته على القطاع بأسره مع تركيز شديد على النقطة التي يستهدفها الهجوم ثم يتبع ذلك بهجوم صاعق على جبهة ضيقة جدًا وتكون القطاعات المهاجمة مسلحة برشاشات تسرع إلى نصبها حينما تحدث ثغرة في خط دفاع العدو وتسلط نيرانها الجانبية على الأجنحة ثم تضغط بقية القوى المندفعة إلى الأمام غير مبالية لما يجري على مؤخرتها.

نفذ رومل بعد ذلك أروع عملياته يوم 26 أكتوبر عام 1917م، عندما احتل جبل ماتاجور الواقع جنوب غرب كاوريتو. فقد شن الإيطاليون على النمساويين مجموعة من الهجمات المضادة التي استنزفت قوتهم وأضعفتهم، فاستنجدوا بالألمان الذين استجابوا لطلب النمساويين رغم انشغال القوات الألمانية على كافة الجبهات، فتم إرسال الجيش الرابع عشر الألماني المكون من سبع فرق ممتازة ليقوم بالهجوم على المواقع الإيطالية في وادي (إيزونزو). وألحق فوج رومل الجبلي بفيلق الألب، للقيام بالهجوم في المنطقة الوسطى، باتجاه ماتاجور. وأسند إلى فوج رومل الجبلي في اليوم الأول مهمة حماية الجناح الأيمن لكتيبة بافارية وكل إليها قيادة الهجوم، ثم يسير الفوج بعد ذلك خلف الكتيبة البافارية. غير أن رومل لم يقتنع بصحة الخطة، فاقترح على قائده السماح له بالسير على يمين الكتيبة البافارية ليقوم بالهجوم وحده على المواقع الإيطالية، وتمت الموافقة على اقتراح رومل وبينما كانت القوات

النمساوية متوقفة، لتعذر تقدمها، قاد رومل جنوده قبيل الفجر، عبر الجبهة الإيطالية، دون أن يشعر به العدو، ونجحت جماعة من قوته فى التوغل داخل الخطوط الإيطالية مع الفجر وأسرت بطارية بالحراب، دون أن تتمكن هذه من إطلاق ولو طلقة واحدة. ثم ترك رومل هناك سرية واحدة لتوسيع الثغرة، ومضى بسرعة نحو مؤخرة الإيطاليين، ثم عاد بسرعة لمساعدة السرية الأولى التى تعرضت لهجوم مضاد قام به فوج إيطالى كامل. وباغت رومل الإيطاليين بهجومه عليهم من الخلف، فاستسلموا له جميعًا، فبعث رسالة لآمر فوجه، أشفعها بأكثر من ألف أسير. وعندها أسرع قائد الفوج (سبروسر) لدعم رومل ومعه أربع سرايا، فيما انطلق رومل متوغلاً فى عمق التنظيم الدفاعى الإيطالى، ووجد رومل طريقًا مستورًا عن الأنظار، فسلكه بعد أن نظم قواته بترتيب الرتل الأحادى، وسار أربعة كيلومترات تقريبًا، فيما كان الإيطاليون يخوضون معركتهم الجبهية، ثم نشر قواته على الطريق الرئيسى الممتد خلف المواقع الإيطالية، وأسر رتلاً من سيارات التموين، وسيارة أركان، و50 ضابطًا وألفى مقاتل (من رجال لواء برزاغليرى الرابع)، وركب فى سيارة الأركان التى أسرها، وقام بجولة استطلاعية سريعة، ثم قرر المضى إلى جبل ماتاجور، الذى كان مفتاح مواقع العدو، ضاربًا فى عرض الريف على خط مستقيم نحو الجبل، وأمضى سحابة نهاره وسواد ليله وهو يسير برجال أنهكهم التعب والسير الطويل، ووجد رومل نفسه عند الفجر أمام مخيم لواء سالرنو، فأخذ ضابطين وبعضًا من المشاة، وتقدم إلى جماعة من الجنود الإيطاليين المسلحين، وأمرهم بالتسليم، فاستسلم له بعد هنيهة 43 ضابطًا و1500 جنديًا، وقد صعقتهم المباغتة، واحتل رومل قمة جبل ماتاجور، بعد أن قضى خمسين ساعة، لم يتوقف خلالها عن السير، وقطع عشرين كيلومترًا كما يطير العقاب فوق الجبال، وصعد جبلاً ارتفاعه ألفى متر

بذلك قاد رومل فى 26 من أكتوبر 1917 هجومًا بالسلاح الأبيض على رأس مائتى ألمانى ضد معقل جبلى إيطالى حصين، فأسر تسعة آلاف من جنود العدو وما يزيد على ثمانين مدفعًا ثقيلاً، بينما لم يتكبد سوى خسائر طفيفية، ونظرًا إلى هذا الإنجاز المذهل، ترقّى «رومل» إلى رتبة نقيب ومنح أعلى ميدالية قتال ألمانية[1] وهى وسام (الاستحقاق) الذى لم يكن يمنح إلا لكبار القادة.

وبعد مدة قصيرة، عبر رومل سباحة مياه (نهر البياف) القارصة ليلاً، مع ستة من رجاله، وقد شدوا إلى أوساطهم حبلاً. ثم هاجموا قرية (لونغارون) من نقاط مختلفة، مستفيدين من ستار الظلام، وعند الفجر تقدم إلى الإيطاليين وحده، وأخبرهم بأنهم محاطون من كل جانب، ولا مفر لهم، وأمرهم بالاستسلام، ومنح حينئذ إجازة.

ثم عين على كره منه فى هيئة الأركان، وبقى فى عمله هذا حتى نهاية الحرب، حيث أعيد فى 21 ديسمبر - 1918 إلى كتيبته الأصلية (كتيبة المشاة 124 فى وينغارتن) وكانت ألمانيا تعانى من التمزق الداخلى، والاضطرابات المستمرة.

رومل فيما بين 1918 - 1930:

طعم الهزيمة مر المذاق دائمًا ولكن انهيار ألمانيا عام 1818 كان مفاجأة لكل جندى ألمانى، على العكس من استسلام الجيوش الألمانية فى مايو عام 1945؛ لأن ذلك كان متوقعًا من الألمان جميعًا ويرونه واقعًا لا محالة وكان يجب أن تقصر خطوط الألمان بعد معارك السوم وأن يجلوا عن شمال فرنسا كله وعن بلجيكا وأن تبرم معاهدة للسلام مع ألمانيا وكان قواد الجيش والقيادة

---

(1) درع الوطن - العدد 378 - عام 2004 ص 81.

العليا أدركوا فى الأسبوعين الأخـيرين من تلك الحرب أنه لم يكن ثمة مجال للاختـيار بين الاستسـلام وبين الكارثة التامة، وقد كـان فهم الحلفاء لنفـسية الشعب الألمانى فهمًا خاطئًا غـريبًا بل أنهم جعلوا الألمان يستمرئون هذه الحالة النفسـية وذلك حـين أذنوا لهم فى أن يعودوا إلى بـلادهم بأسلحتـهم مارين بجسور نهر الراين تـتقدمهم موسيقـاهم!! ومضى الحلفاء يعطون الألمان فكرة ثابتة مسـتمرة عن ذلك الضيم المشروع الذى لحق بهم فتـجاهلوا تلك الشروط التى تمت الهدنة بمقتضاها وهى شروط سافرة لا لبس فيها كما لم يكن واحدًا من أبناء الشـعب الألمانى يقبل التنازل عن قطاع كـبيـر من غرب بروسـيا إلى بولندا وأنها لخسارة أن تصبح مدينة «دانزغ» وفـيها مليونان من الألمان خاضعة بصفة دائمة للحكم البولندى وهذا مـا كان من أهم أسباب مطالبة هتلر بعودة تلك الأراضى إلى الوطن الأم، وبالتالى مـهاجمة بولندا عندمـا رفضت ذلك الطلب وقيام الحـرب العالمية الثانية وعلى هذا الأسـاس يمكن أن نفهم بجلاء سلوك أى ضابط ألمانى فيما بعد، فطبـقة الضباط يرون أنهم قد غرر بهم حين ألقوا سلاحهم فـيما عسى أن يقبلوه من الشروط التى يفرضـها عليهم الحلفاء مهما تكن تلك الشروط مثيرة للسـخط وكانت روح التبرم التى تثير البعض ما زالت متقـدة بين الألمان على أساس أن اليوم الذى يتألبون فيـه على الغزاة ما يزال بعيدًا وإن كانوا أنفسـهم لا يشكون فى أن ذلك اليوم آت لا محالة وقال أحـد الصناعيـين فى دسلدورف عـام 1919 «اخـرجوا من هنا وسنعـود إلى اصطياد الفرنسيين بالعصى فى عقر دارهم».

رأى الألمان منظر الضباط العائدين من الميـدان وهم يسيرون فى الشوارع ويهبطون من القطارات مجردين من رتبـهم العسكرية وممزقى الأوصال مما كان له بالغ الأثر فى نـفس الشـعب الألمانى، وبالتـالى أعلن هتـلر فى يقـين بأن

الشعب الألمانى سيرحب به فى الوقت المناسب مما أدى إلى ظهور الفيلة الحر بما له من وحشية وظهور أمثال «غورنغ» و«ديتريخ» و«دورهم» و«نوسكة».

وفى 21/ 11/ 1918 عين رومل مرة أخرى فى كتيبته الأصلية المشاة 124 فى «فانغارتن» وكان عليه فى الشهر نفسه خلال ألمانيا الثائرة ليأتى بزوجته من «دانزغ» حيث ثقل عليها الداء فلزمت بيت جدتها وسافر رومل إليها فى زيه العسكرى، فكان مدعاة للتساؤل والتعرض الهين به وكاد يلقى القبض عليه، لكن النقيب رومل عاد بزوجته آمنًا إلى بيت أمه فى «فانغارتن» وكانت الأم والكنة صديقتين حميمتين، وفى الصيف ذهب رومل على رأس سرية فى سلمه للإشراف على الأمن فى «فريدريكسهافن» وكانت هذه أولى تجاربه فى كبح جماح الألمان الذين لم يوطنوا أنفسهم بعد على إطاعة الأوامر؛ وبعد ذلك قاد رومل سريته إلى «الروهر» ليقوم بنشر الأمن وفى 21/1/ 1921 قام بحملة تفتيشية تأديبية فى «اشنابسيغوند» ثم عاد إلى اشتبغارت على رأس سرية من كتيبة المشاه الثالثة عشرة حيث ألغيت كتيبة 124 بعد أن خفض عدد الجيش الألمانى وهناك ظل رومل برتبة نقيب تسع سنوات أخرى.

لعل أسعد ما يحمله آل رومل من ذكريات بين حربين، هى ذكريات حياتهم فى «فينر نويشتادت» حيث كان رومل يعمل فى كليتهما الحربية، على الجبال الواقعة جنوب غربى «فيينا». فقد كانت لرومل قيادة مستقلة، بمنأى عن أى تدخل من السلطات العليا، وكان يعمل عمله الأثير لديه المحبب إلى نفسه، أعنى تدريب الضباط الناشئين، أو تلك البراعم التى لما تتفتح بعد، على فن التكتيكات الصغيرة، وآداب السلوك العسكرى.

كما كان رومل وزوجه وولده يسكنون فى بيت خلوى منعزل جميل، تحيط به حديقة كبيرة. وفى تلك المنطقة طالما قام آل رومل بنزهات لا عداد

لها، كما أغرت رومل نفسه بأن يعود إلى ممارسة هوايته الخاصة، أعنى التصوير الفوتوغرافى، الذى أبدى تفوقًا فنيًا كبيرًا فيه، وفى اختيار موضوعات التصوير والتأليف بينهما، وفضلاً عن ذلك كله، كانت أسرة رومل مغتبطة أشد الاغتباط بالحياة المنزلية، مكتفين بأنفسهم عمن عداهم من بقية أسرة التدريس فى الكلية. وهكذا مضت أيام الصيف جميلة هادئة.

حينما جثم شبح الحرب على صدر أوروبا، لم يكن بدعًا ولا مستغربًا أن يعتقد رومل، كما اعتقد الألمان جميعًا، بعد ما حدث فى ميونخ وبراغ، إن هتلر لا بد أن يشعل الحرب على نحو ما. ولقد لاحظ الجنرال توماس، رئيس فرع الشئون الاقتصادية فى القيادة العليا الألمانية «إن كل ألمانى مثقف، يعتقد أن الدول الغربية تنظر إلى ألمانيا على أنها المعقل الحصين ضد البلشفية، وأنها من أجل ذلك قد رحبت بإعادة التسلح فى ألمانيا، وهذا يدلنا على مدى ما يمكن أن تفضى إليه سياسة اللين التى اتبعها الحلفاء من فهم سيء خطر. كما أن رومل لم يكن على يقين من أنه قد ذهب به مرة أخرى إلى الميدان حتى بعد ترقيته فى 23 أغسطس عام 1939 إلى رتبة فريق، وعين فى هيئة أركان حرب هتلر، ليكون مسئولاً مرة أخرى عن سلامة الفوهرر.

لو أن تسوية تمت فى آخر لحظة لما فوجئ رومل بها، كما فوجئ بذلك التحالف الذى أبرم فى نفس اليوم بين ألمانيا وروسيا، فبهذا التحالف، أصبحت الحرب لا مناص من وقوعها. ففى الساعة الخامسة إلا العشرين دقيقة من صبيحة يوم أول أيلول شن الألمان هجومًا جويًا على بولندا. فصح إذن ما كان قد قاله «لويد جورج» فى مذكراته التى بعث إلى مؤثر يقضى بأنه يجب أن نضع مليونين من الألمان تحت إشراف شعب من جنس آخر لم تثبت قدرته على أن يحكم نفسه حكمًا ذاتيًا فى تاريخه كله، لابد فى نظرى أن يؤدى، إن عاجلاً وإن آجلاً إلى وقوع حرب جديدة فى شرق أوروبا.

من السخف أن نزعم أن رومل قد أنبه ضميره على غزو بولندا، فكما أنه رحب بإعادة التسلح للجيش الألمانى، سواء أكان ذلك فى السر أم فى العلن، لأنه يشعر بأن ألمانيا لا تتوقع من الحلفاء إلا القليل من التقدير لها إلى أن يشتد ساعدها، فلا شك فى أنه اعتقد أيضًا أن الممر البولندى يجب أن يتلاشى، وأن «دانزغ» يجب أن تعود إلى رحاب الرايخ، بالاتفاق الودى إن أمكن، وبحد السلاح إذا اقتضى الأمر ذلك.

لعل اهتمام رومل اهتمامًا شخصيًا مباشرًا بشكله دانزغ، راجع إلى أن أسرة زوجته تعيش فى غرب بروسيا إذ أنه التقى بزوجته فى دانزغ، أو لعله يرجع إلى أنه تخرج فى الكلية الحربية فى دانزغ، ثم أن رأى رومل هذا، يوافقه عليه السواد الأعظم من الشعب الألمانى!. ومن الإنصاف أن نذكر لمناسبة الحديث عن السوديت وتشيكوسلوفاكيا، أن الألمان حتى المثقفين منهم، قد أثرت فيهم الدعاية التى وجهها غوبلز توجيهًا بارعًا، فلم يتح لهؤلاء المثقفين أن يستمعوا إلى وجهات نظر أخرى غير مزاعم غوبلز. وقليلون هم الذين استطاعوا كما صنع الجنرال بيك وأولريخ فون هاسل، أن ينظروا إلى الأمور الأوروبية من وجهة نظر منزهة عن الغرض، ومن وجهة نظر عالمية، ومثل هؤلاء الرجال فى كل الدول، قلما يجدون سميعًا. وليس هذا عذرًا ننتحله لهذا العدوان الألمانى المسلح، وإنما نذكره تفسيرًا وتعليلاً للطريقة التى فزع بها الجنود الألمان المحترفون، كما فزع غيرهم فى جميع أنحاء العالم[1].

(1) درموند يونغ - رومل ومذكراته السرية ص 67.

رومل فى الفيلق الحر:

لم يكن بد لرومل من أن يستأنف عمله وينساق للانضمام إلى «الفيلق الحر» ملاذ كثير من المتعطلين والساخطين من ضباط الجيش السابقين كما أن أحدًا لم تغب عن باله قط الرغبة فى زيادة عدد الجيش فى أول فرصة ممكنة فقد جاء فى المادة 160 من معاهدة فرساى أنه فى تاريخ غايته 31 مارس يجب ألا يزيد الجيش الألمانى على سبع فرق من المشاة وثلاثة من فرق الخيالة وأن لا يزيد على مائة ألف جندى وضابط كما لا يزيد المجموع الكلى للضباط عن أربعة آلاف ضابط، وكان القائد الأعلى الجنرال «هان فون سيكت» استطاع الحصول على دعامة صلبة من المحاربين المحترفين أقام عليها بنيان جيش المستقبل حين أصبح من الممكن فتح باب التجنيد من جديد كما فعل هتلر فى مارس 1935.

كان طبيعيًا أن يقع الاختيار على رومل للقيام بدوره فى هذه الفترة فهو يحمل وسام الاستحقاق وله شهرة ممتازة بوصفة ضابطًا بريًا ورغم أنه لم يكن يعرف الجنرال «فون سيكت» فإن الأخير كان يعرف تمامًا أن رومل هو الرجل الذى يريده وليس ثمة أدنى شك فى أن رومل كان يعلم تمام العلم هدف المؤامرة واسعة النطاق التى نشر أطرافها الجنرال «سيكت» لزيادة عدد الجيش وإخفاء مدى قوته عن أعين الخلفاء ولا شك أن كل ضابط من الضباط الأربعة آلاف كان عليه أن يعلم تمام العلم أن رسالته ليست حفظ الأمن الداخلى فحسب وإنما هى خلق وتدريب جيش جديد وقوى يبعث من حطام ذلك الجيش القديم. ويقول اللواء الجنرال «مرغان» أحد أعضاء لجنة نزع السلاح عن الحيل والخدع التى أحبطت جهوده فأصبح كل الجيش الألمانى بفضلها قائمًا سليمًا لم يمسسه سوء تحت ستار تلك الألفاظ الجوفاء من أمثال تسريح

الجيش والصالح العام ومراكز المعاشـات وغيرها وكلفتة إنسانية من روملِ ألف جماعة المحـاربين القدماء فى «فيرتمبرغ» وتفرغ لهـا تمامًا ويقضى معظم وقت الفراغ وهو يـتصل بكل الجنود الذين حـاربوا فى هذه الكتيـبة ويبعـث إليهم برسائل خاصة، ويحاول أن يأخـذ بيد هؤلاء الذين يقاسون شظف العيش فى ألمانيا بعـد الحرب. وفى عام 1935 كان روملِ برتبـة عقيـد وعلى رأس أحد الأفواج فى «غـوزلار» وهو «الفوج الجـبلى» وقد اخـتيرت «غـوزلار» لتكون مسـرحًا لإحـدى حفلات الـشكر والتقديـر التى يشهدهـا هتلر بنفسـه وكان مفروضًـا آن يعد كل شىء إعدادًا خاصًا كمـا كان طبيعيًـا فى هذه المناسبة أن يقوم «الفوج الجبلى» باستعراض عسكرى، ثم التقى روملِ بهتلر للمرة الأولى بعد الاسـتعراض العـسكرى وكان هذا اللقاء رسـميًا للغـاية فقد حـياه روملِ وقدموه إليه فسلم عليه ولاحظ هتلر وسام الاستحقاق على صدر روملِ وهنأه على ما رآه من استعراض فوجه.

عين روملِ فى أكتوبر 1935 وهو برتبة عقيد مـدرسًا بالكلية الحربية فى «بوتسدام» وهكذا وجد نفسه لأول مرة على مقربة من مراكز السياسة والأمور العامة وأصبح من بين النخبة الممـتازة من ضباطها، وفى نفس العام أسند إلى روملِ قيادة وإشراف وتدريب «فرق العاصفة A.S» أو «شبيبة هتلر» وأعلن أنه سيجد متعـة فى تدريب جنود فرق العاصفة، وأدرك أن هذا العبء لن يكون سهلاً، وأن يحسن تدريبها ويرفع مستوى نظامها، وأن أكثر هؤلاء الشباب بما لهم من غريزة طبيعـية تحبب إليهم البطولة قد أكبـروا روملِ وأجلوه فقد كان جنديًا ذائع الصيت وقد رأوه يتـبسط معهم ويتحدث إليهم كـما لو كان واحد منهم. ولقد حاربوا أفراد هذه الفرقة فى آخر أيام الهـزيمة الألمانية ببسالة كما مات الكثيـرون منهم تحت قيادة «كورت مـاير» قائد فرقة جنود الدفـاع الثانية

عشـرة فى «كان» ولقد كـان الفيلق الأفـريقى مؤلفًا من جنـود لهم مثل هذه الروح المعنوية العارمة فـالشبان الذين حاربوا تحت لواء الفـيلق الأفريقى كانوا أقوياء شجعانًا وكانوا أيضًا مزهوين بأنفـسهم وحين تلتقى بالأحياء من الفيلق الأفريقى وبالأحياء من فـرقة الصاعقة شبيبـة هتلر فإنك لن تجد أى فارق بين هؤلاء وهؤلاء لأن المعدن والمدرب والمعلم واحد وهو رومل، ولما انتهى رومل من خدمة السنوات الثلاث فى بوتسدام فى 9/ 11/ 1838 عين فى اليوم التالى رئيسًا للكلية الحربية فى «فينونونيشتادت». وفى العام السابق كان قد ترقى إلى رتبة عقيـد وهى ترقية سريعة فى أيام السلم ولكنها ليـست غريبة إذا ما نظرنا إلى سجل خدمـاته، أما الشىء الذى يرد فى ثبت خدماته فـهو أن رومل قبل أن يغادر «بوتسدام» تلقى من الكلية الحربية دعوة إلى القيام بعمل مؤقت فكان هذا العمل هو الذى غـير مسـتقبله كله إلى الأحـسن وإلى الأسوأ معًا: فـقد احتاجت السلطات إلى من يـتولى قيادة الفوج الموكل بحـراسة هتلر والمحافظة عليه عند دخوله "السـوديت" فى أكتوبر عام 1938، و"السوديت" جزء من أراضى "تشيكوسلوفـاكيا" سكانه من الألمان، وقـد ظل هتلر يطالب به حتى انتزعـه وكان هذا الإقليم هو من ضمن شـرارة واسيا الحـرب العالمية الثـانية، وكان كتـاب رومل "الهجمات أو الـتكتيكات البرية" قد نشـر قبل ذلك بسنة وقرأه هتلر وأعجب به أيما إعـجاب فاختار مؤلفه بنفسه ليـقوم على حمايته، ولأول مرة ينـتقل رومل إلى المقـامات العليـا القريبـة من «هتلر» ذلك الرجل الذى رفعه حتى أصبح "فيلد مارشال" ثم قتله أيضًا.

كتاب الهجمات البرية Infantry Attacks:

مما يذكر أن هذه اليوميات قد عاون رومل على كتابتها وتنظيمها كل من النقيب الدنجر زميله المخلص الوفى له، وكذلك النقيب هلموت لانغ.

وهى تذكرنا بعبارتها وطريقة عرضها وتبويبها، بالكتيب الصغير الذى أصدره رومل وسماه "الهجمات البرية"، مدوناً فيه محاضراته التى ألقاها فى مدرسة المشاة فى درسدن، فيما بين أول تشرين أول سنة 1929 حتى ترك المدرسة فى الثلاثين من سبتمبر عام 1923، وقد أودع رومل هذه المحاضرات خلاصة تجاربه الشخصية إبان الحرب العظمى الأولى، فى بلجيكا وهضبة أرغون، وجبال الفوج والكربات وإيطاليا، كما وصف فيه التكتيكات الصغرى، وصفًا بارعًا، وزوده بخرائط تخطيطية، كما رسم فيه دروس التكتيك رسمًا واضحًا، ولقد أصبح هذا الكتيب من المراجع المقررة فى الجيش السويسرى، .الذى أهدى إلى رومل ساعة ذهبية إعجابًا بهذا الكتيب الممتاز حقًا، رغم ضآلة حجمه. وكان هذا الكتيب نقطة التحول فى حياة رومل، ذلك لأن هتلر ما كاد يطلع عليه حتى أعجب بمؤلفه، وأدناه منه، وجعله قائدًا للفرقة التى تتولى حراسته.

فرومل هو ذلك المخلوق النادر الذى لا يرى، أو الذى لا لون له، ذلك الإنسان الذى تخصص فى فن معين وله عقلية «أحادية» الاتجاه، أو ذات اتجاه واحد، ومقصد واحد، وهدف بعينه، رومل هو ذلك الجندى النظامى الذى لم تكن له أية متعة فى الحياة ولا هواية قط عدا فنه العسكرى. فلم يقرأ رومل فى حياته كلها كتابًا لا يهتم بالأمور العسكرية، فقد حصر عقله فى هذا الباب دون سواه، وقد تظن أن هذا التضييق فى نطاق التفكير قد جعل من رومل إنسانًا محدود الذكاء أو غبيًا، ولكن الواقع يدل على عكس ذلك تمامًا فقد ذكر الجنرال الدكتور أشبيدل الفيلسوف الممتاز، أن رومل لعله لم يقرأ فى حياته كتابًا قط لا يهتم بالأمور الحربية.

حين سأل أشبيدل: ألم يكن روميل غبـيًا بعض الشئ؟ كان آشبيدل قد حملق قائلاً: كلا لم يكن غبـيًا. إن هذا آخر شيء يمكن آن ينعت به. وكان خير معين لرومل فى تلك المعمعة التى خاضها بشجاعة نادرة، وبراعة فائقة، ذلك الإحسـاس الغريب أو تـلك الحاسـة السـادسـة التى يسـميـهـا الألمان «الاستشعار بأطراف الأصابع» Fingerspitzengetuhl تلك الحاسة السادسة التى شهد له بها كل معاونيه وزملائه ورؤسائه[1].

روملوهتلر:

كتب رومل عن هذه القبـة مذكرات، احتفظ بهـا ابنه «منفرد» من بعده ويقول فيـها رومل: «الذى لا شك فيه، أن هتلـر كانت له قوة مغناطيـسية، وربما كانت قوة تنويم مغناطيسى، مردهـا إيمانه الصادق بأن العناية الإلهية قد بعثه ليأخذ بناصر الشـعب الألمانى، ويعرج به إلى الشمس!». لقد كانت قوة هتلر المغناطيسية هذه تتـجلى على أشدها حين يعقد أحد الاجتـماعات، ففى بداية الاجتماع كان ينظر إلى الحـاضرين نظرة شاردة، خالية من أية دلالة، ثم يتتبع هذا بإشارة من يده، شـاردة أيضًا، كأنه يتحسس بها فى حيـرة عجيبة، طريقًا غير معلوم، وفجأة تسعفـه حاسته السادسة، وتقوم بدورها الخطير فإذا هو يصغى بانتباه تام، ثم يطلع على المتحـدثين إليه بجواب فريد، ينتزعه من أغوار نفـسه، فيـرضيهم بـه جميـعًا إرضاء تامًـا، ولو فى تلك اللحظة على الأقل!.

---

(1) اللواء - إدموندز بونغ - نفس المرجع ص 67.

يقول روميل: «إن هتلر فى هذه اللحظة كان يتحدث كما لو كان رسولا نبيًا» ثم يؤكـد روميل أن هتلر «كان يعمل أبدًا بوحى من بديهتـه وحدسه، لا بعقله ومنطقه، وأنه كـان ذا ملكة خارقة يستطيع بها أن يجمـع شتات النقاط الجوهرية لأى نقـاش يدور أمامه، ثم يسـتخلص منها جـميعًا، حـلاً وحدًا. وهذه الميزة نفسها هى الـتى مكنت هتلر من أن يدرك أفكار أى إنسان يتحدث إليه وأن يقـول له، إذا أراد، أى شىء يعجب بـه وطيب له سماعـه، وهكذا فهو عندما يوطن عزمه على شىء، فإنما يستشير بعض من يؤمن هو نفسه بأن لديهم ما لديه من أفكار، وأنهـم مقتنعون بأفكاره، ولو كـرهوا ذلك إلى حد ما. وكان هتلر بارعًا فى ملقه ونفاقه. فكان قبل أن يتخذ قرارًا من القرارات، يستـشيـر فيه أمـثال أولئك المقـربين إليه ليـشبع غـرورهم مرتين: مـرة حين يستشيـرهم، ومرة أخرى حين يصدر القرار فيـداخلهم الظن بأن لهم يدًا فيه! ومن المهـم هنا أن نعـــرف ماذا كـان هـتلر قـد قرأ كـتـاب ديل كارنيـجى الأمريكى كما اطلع هذا الأخير على كـتاب هتلر المشهور «كفاحى». والشىء الثانى الذى بهر روميل فى شخصية هتلر، ذاكرته القوية المواتية. فهتلر، يعرف بالدقة وعن ظهر قلب كل ما يحـويه أى كتاب قرأه، ومثله فى ذلك (الجنرال سمطس) فهو تصور تصورًا دقيقًـا، كل الصفحات والفصول التى اطلع عليها فى أى كتاب.

إدراك هتلر للمعلومات على صورة إحصائية، كان إدراكًا قويًا فذًا، فهو يستطيع أن يسرد لك عدد الجنود، عـدد دبابات العدو، التى تحطمت، ويذكر لك أعدادًا دقيقـة عن احتياطى البترول والمؤن وغـيرها، كل ذلك على صورة تبهر حتى أكثر أعضاء هيئة أركان حربه مرانًا وخبرة.

روى البارون "فون إيزبك" - المارشل الحربى الألمانى - قصة تدل على آن هتلر لم تخنه ملكاته أو بديهتـه التى أودت بالجيوش الألمانية وأوقعتها فى هذه الكارثة. ففـى أوائل ربيع عام 1945 زار هتلر القيـادة العليا فى الجبـهة. وسـأل قـائد الجـيش الألمانى هناك: متى تتـوقع أن يكون الهـجـوم التـالى للروس؟.

فحدد له القائد يومًا، وأبدى الأسباب.

ولكن هتلر عاد فقال: «لا سيكون هذا متأخرًا أسبوعًا» ثم جاءت الأيام مؤيدة ما ذهب إليه!.

سأل هتلر ذلك القائد: «كم طلقة لديك لكل من مدافع الميدان المتوسطة الحجم؟» فذكـر له القائد رقمًا. فـأجابه هتلر: «لا لقد بعثت إليـك بأكثر من هذا وعليك أن تتـصل بفلان وفـلان من القواد: اتصل بهم تلـيفونيًـا، وسل القائد الأعلى لمدفعيتك يخبرك».

وربما كانـت هذه خدعة قـديمة طالما عـول عليهـا القواد فى رحـلاتهم التفتيـشية، ولكن هتلر أستاذ فى فن الخداع، وليس فـى حاجة إلى من يأخذ بيده فى هذا المضمار.

هناك صفة أخـرى لهتلر، أثرت فى رومل تأثيرًا كبيـرًا، وطالما أكبرها طول حيـاته، هى شجاعـة هتلر الجسيـمة. فعندمـا كان الألمان على وشك أن يدخلوا براغ فى 12 مارس عام 1929 وكان رومل مرة أخرى على رأس الفوج الذى يحرس هتلر، فـسأله هتلر: "ماذا تصنع يا عقـيد إذا كنت فى مكانى؟ فأجـابه رومل إجـابة عبـرت عما فى نـفسه تمـامًا فقـال: «أركب فى سـيارة مكشوفة، وأسير بها فى الشوارع دون قوة تحرسنى».

إذا نحن عرفنا مدى تحمس التشيك لهتلر فى ذلك الحين، أدركنا أن هذه النصيحة كان من الممكن أن يتقدم بها بعض المسئولين شخصيًا عن سلامة هتلر، وتلك نصيحة لا يأخذ بها إلا القليلون، ولو كانوا فى مكان هتلر ولكنه أخذ بنصيحة رومل[1]. وفى أعقاب جولة قصيرة قام بها «رومل»، بصفته قائد الأكاديمية الحربية، عاد لقيادة الحرس الخاص لـ «هتلر» برتبة عميد، ونظرًا إلى كونه واحدًا من هيئة أركان «هتلر»، فقد أتيح له أن يدرس عن قرب تكتيكات الحرب الخاطفة التى بدأ الجيش الألمانى يعتمدها مؤخرًا، فأعجب بها، وبعد سقوط بولندا التمس «رومل» أن يمنحه هتلر قيادة فرقة فى الغزو المزمع لأراضى فرنسا، وفى 15 من فبراير 1940، تولى «رومل» قيادة الفرقة السابعة مدرعات.

أتقن القائد الألمانى فى الهجوم على فرنسا فى مايو - يونيو، التكتيكات التى استمر يستخدمها بقية حياته، تقدم «رومل» بسرعة خاطفة موازنًا المخاطر بالمباغتة وقوة النيران، فحشد دباباته ليخترق صفوف العدو بدلاً من أن يعترض للاشتباك على طول جبهة عريضة مستغلاً ما سنح له من تفوق على العدو فى المؤخرة غير المؤمنة نسبيًا. والأهم من ذلك أن «رومل»، وقد تزيا بزيه الموشى بالأوسمة، ووضع منظار الدبابات الواقى على جبهته، كان يقود الهجوم بنفسه فى المقدمة، ومن ثم تجاهل وهو فى مقدمة قوات المدرعات المخاطر الشخصية من أجل الحصول على معلومات أصلية يبنى عليها قرارات فورية، فقاتل الجنود الذين لم يعتادوا على رؤية القادة فى الصفوف الأمامية قتال البواسل بضراوة، وولاءً لقائدهم وحبًا له.

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع ص 66.

بانتهاء الحملة على فرنسا، كان يطلق على الفرقة السابعة مدرعات «فرقة الشبح» لهجمات «روميل» المباغتة وتحركاته السريعة، التى جعلت العدو لا يعرف أين سيكون ظهورها؛ وقد تمكن «روميل»، بخسارة لا تتجاوز 2500 رجل، و42 مدرعة، من أسر نحو مئة ألف جندى، وتدمير أكثر من 450 دبابة للعدو إضافة إلى الآلاف من ناقلات الدعم وقطع المدفعية. وكافأت ألمانيا «روميل» بمنحه وسام صليب الفارس وترقيته إلى رتبة لواء، وتوليته قيادة فيلق أفريقيا المزمع توجيهه إلى شمال أفريقيا لدعم الإيطاليين ضد الحلفاء[1].

لاحظت القيادة الألمانية بقلق متزايد الانتكاسات المتعاقبة التى تعرضت لها القوات المسلحة الإيطالية سواء فى البحر الأبيض المتوسط (حيث عقدت آمالها على قدرة الأسطول الإيطالى تفوق عدديًا بنسبة واضحة على الأسطول الإنجليزى العامل فيه) أو فى جبهات شرق ، الصحراء العربية فى مصر وليبيا واليونان، وأرادت أن تحفظ ماء وجه المحور بإسناد القوات الإيطالية فى الصحراء العربية على غرار ما حصل فى البلقان.

ثمة حقيقتان لا بد من الإشارة إليهما بهذه المناسبة وتتعلق أولاهما بانهيار معنويات الإيطاليين واستسلامهم بالجملة بعد أول اشتباك لهم مع خصومهم الذين استغلوا هذه الحالة المعنوية وصاروا يشنعون عليهم ويشتهرون بهم والسبب الواضح لانهيار معنويات الإيطاليين آنذاك هو أنهم لم يكونوا بموقف المدافع عن الوطن أو المقاتل فى سبيل استعادة إقليم إيطالى مغتصب

---

(1) درع الوطن - العدد رقم 387 عام 2004.

وإنما كانوا غزاة معتدين فى كل حملة شاركوا فيها أو شنوها بدءا من العدوان على ليبيا فى عام 1911 ثم على الحبشة فى عام 1936 ثم على البانيا فى أبريل 1939 وانتهاء بدخولهم الحرب العالمية الثانية بالعدوان على فرنسا يوم 10 يونية 1940 ثم غزواتهم الفاشلة ضد مصر والصومال واليونان فكانت كل هذه الأفعال لمجرد تحقيق حلم زعيمهم المستبد موسولينى فى جعل البحر الأبيض المتوسط بحيرة إيطالية ولم تخل إيطاليا من بعض الغلاة التوسعيين الذين دأبوا على الهتاف مطالبين بضم جزيرة كورسيكا وإقليم تونس ومقاطعة نيزا اليوغسلافية. أما الحقيقة الثانية التى طالما تساءل المتسائلون عن دواعيها فتكمن بالسبب الحقيقى الذى حدى بهتلر لمساعدة موسولينى رغم حراجة موقف الأول فى تلك المرحلة وإسفاف الثانى فى خوض مغامرات عسكرية متعاقبة فاشلة وهو أن هتلر لم ينبس لموسولينى موقفه فى ساعة حرجة عاشها فى مارس 1938 عندما أقدم على تحقيق الوحدة مع النمسا وكان أخشى ما خشيه هو تدخل موسولينى أو معارضته للوحدة فأرسل له الأمير الألمانى فيليب فون هيسن زوج ابنة ملك إيطاليا فكتور عمانوئيل الثانى وعاد الأمير إلى سيده بالبشرى بموافقة موسوليتى على عدم التدخل فى قضية وحدة النمسا وألمانيا عندئذ غمرت قلب هتلر فرحة عارمة وآلى على نفسه ألا ينسى لموسولينى موقفه هذا وأعلن على رؤوس الأشهاد بأنه سيرد لصاحبه جميله عند الضرورة وعند تعرضه لأى خطر وهكذا بر بوعده بالتعجيل بمساعدة إيطاليا بعد الانتكاستين اللتين شهدتهما جيوشها فى جبهتى البلقان والصحراء العربية[1].

(1) اللواء فاروق الحريرى حملات الحرب العالمية الثانية جـ1 ص 220.

وقع اختيار القيادة الألمانية على اللواء إرفين رومل ليكون قائدا للقوات الألمانية المهاجمة على البريطانيين من ليبيا باتجاه مصر. وخصصت له فى أول الأمر الفرقة الخفية 5 والفرقة المدرعة 15 ودعى تشكيله هذا (الفيلق الأفريقى) وكلف فى أول الأمر بمهمة تبديل القوات الإيطالية فى المنطقة الكائنة بين سرت وطرابلس الغرب.

استدعى رومل للمثول أمام القائد العام للقوات البرية المشير فون براوخش يوم 6 من فبراير 1941 فتلقى منه تفاصيل الأوامر الشفوية التمهيدية ثم قابل القائد العام للقوات المسلحة باليوم نفسه وتلقى منه توجيهاته. وتم ترفيعه بهذه المناسبة إلى رتبة فريق.

وصل أرفين رومل فى 11 من فبراير 1941 إلى روما ليقابل قادته الإيطاليين الذين اختلف معهم بعدئذ بالرأى فى مناسبات متعددة. وطار باليوم نفسه إلى مقر الفيلق الجوى 10 الألمانى الذى كان يتعرض بطائرته على قوافل التموين البريطانية المتجهة إلى بنغازى.

وفى اليوم التالى وصل رومل إلى طرابلس الغرب حيث قابل القائد الإيطالى الفريق الأول غاريبالدى الذى عين خلفًا للمشير غرازيانى القائد العام للقوات الإيطالية فى ليبيا وحصل على انطباع بأن الإيطاليين فى غاية التشاؤم بعد أن أصابتهم الانتكاسات المفجعة فى اشتباكهم الأول مع البريطانيين. لذلك قرر الفريق رومل تحرير الإيطاليين من تخوفهم ولما وصلت طلائع الفرقة الخفية 5 الألمانية إلى طرابلس أجرى لها استعراضًا ثم أرسلها فورًا إلى الجبهة وتبعها إلى هناك حيث تولى قيادتها ومنحها نفحة من عنفوانه المأثور.

لما أجرت قواته تماسها الأول الطفيف مع القوات البريطانية تبين لرومل أنه إزاء خصم يتميز بالحذر الشديد وبالرغم من تحذيرات القائد العام

للقوات البرية الألمانية عند زيارة روميل له بعدم شن الهجوم على موضع الإنجليز المدبر فى إجدابية قبل تكامل وصول الفرقة المدرعة 15 فى أواخر مايو 1941 فإن روميل أقدم على شن هجومه الأول ذو الهدف المحدود فى أواخر مارس 1941 واستولى على موضع مناسب فى الزاوية الجنوبية الشرقية من خليج سرت[1].

طبق «روميل» فى شمال أفريقيا تكتيكات الحرب الخاطفة باستخدام المدرعات التى أثبتت نجاحًا فائقًا فى سهول أوروبا، وعلى الصحارى الفسيحة، وفى غضون شهر من وصوله فى فبراير 1941، حقق «روميل» بجيشه العالى التدريب أول انتصاراته ضد البريطانيين وأسر اثنين من كبار قادتهم؛ وفى أقل من عام كان ثعلب الصحراء، ورتبته آنذاك فريق أول، واحدًا من أذيع ضباط الحرب صيتًا. وفى يونيو 1941، شن «روميل» هجومًا على قوات بريطانية تفوقه عددًا وعدة، وبسبب تفوقه فى المناورة، والإقدام تمكن من الاستيلاء على ميناء طبرق الإستراتيجى فى 21 يونيو، وبعدها بيوم رقى «روميل» إلى رتبة مشير.

الحرب النفسية فى فكر روميل:

لم يكن «روميل» داهية حرب ومخططًا لتكتيكاته فقط، بل كان أيضًا خبيرًا بما يعرف اليوم بالحرب النفيسة؛ وعرف مدى آثرها على قواته ووقعها على نفوس جنود العدو، إذ يقول فى مذكراته عن معركة "العلمين" فى مصر فى الحرب العالمية الثانية كان الجنود البريطانيون يفرون من أمام الجيش الألمانى تاركين بنادقهم وذخيرتهم ومدافعهم وآلياتهم، وبعضهم كان يتسمر

(1) اللواء فاروق الحريرى - نفس المرجع جـ1 ص 221.

إصبعه فلا يقوى على الضغط على الزناد إلى أن يأتى عليه الجندى الألمانى ويقتله، إلى أن وصل الجيش الألمانى إلى الجيش المصرى المشارك مع البريطانيين فى الحرب، صمد الجيش المصرى أمام الجيش الألمانى وأخذ يوقع بهم الخسائر، فأخذ "مونتجمرى" القائد البريطانى يعزز خلف الجيش المصرى الصامد بفلول الجنود البريطانية المنهزمين إلى أن حقق الانتصار على الألمان. والسبب كما قال «رومل» كان استغلال الألمان إذاعات باللغة الإنجليزية تبث حربًا نفسية تقول للجنود البريطانيين إن الجندى الألمانى خارق للعادة ولا يقهر، وتروى عنه الأساطير، فكان الجنود البريطانيون (كما ذكر) يتسمرون خلف مدافعهم وآلياتهم، وبعضهم يفر تاركًا عتاده، وبعضهم تتسمر أصابعهم فلا تقوى على الضغط على الزناد إلى أن يأتى الجنود الألمان فيقتلوهم أو يأسروهم[1].

- أوكنلك البريطانى يحذر من "ساحر الجنود" الجرمانى طرف من أساطير عجيبة تذاع عن الرجل "الذى من طراز نابليون".

أصدر الجنرال أوكنلك أمرًا إلى جنوده يحذرهم فيه من خطورة الأساطير التى شاعت حول رومل بين الجنود البريطانيين، وبالرغم من أننى أتذكر هذا الأمر تمامًا كما يتذكر ذلك معظم الذين اشتركوا فى الحرب فى الشرق الأوسط غير أننى لم أتمكن من الحصول على نسخة من هذا الأمر، حتى من الجنرال نفسه. فكان لا بد من أن أعتمد على الترجمة الإنجليزية للترجمة الألمانية، التى عثرت عليها ضمن مذكرات رومل التى احتفظت بها

(1) اللواء فاروق الحريرى - نفس المرجع جـ1 ص 221.

لفـترة، وقـد يكون هنالك بعض الخـلاف اللفظى بين التـرجمـتين الآلمانيـة والإنجليزية إلا أن المعنـى فيهمـا واحد. لقـد أوضح أحد الضبـاط الإيطاليين الذين اشتركوا فى تلك الحرب فى مقال علق به من كتاب برنغ عن روميل بأن عنوان المنشـور الذى أذاعه أوكنلـك على جنوده كان: لا تتـروملوا Do`nt Be Rommelised!. وفـيمـا يلى الأمر الذى أصـدره الجنرال أوكنلك إلى القـواد وهيئة أركان حربه:

«هنالك خطر حقـيق ماثل بين أيدينا وهو أن صاحبنا رومـل قد أصبح بمرورو الأيام ساحـراً لجنودنا فهم يكثرون من الحـديث عنه، وعلى أى حال، فليس رومل إنسـانًا أعلى، وإن كان قائدًا ممتـازًا قديرًا، وحـتى لو كان رومل إنسـانًا أعلى، فليس مسـتحـبًا قـط أن يضفى عليـه جنودنا، مواهب وقـوى خارقة».

«وأننى لأرجو أن تتذرعوا بكل الوسـائل الممكنة لتستأصلوا هذه الفكرة التى تجـعلهم ينظرون إلى رومـل على أنه شىء أكـثر من كـونه قـائدًا ألمانيًـا عاديًا. . . والذى يهمنا هنا هو أن لا نتحـدث عن العدو فى ليبيا، وإنما يجب أن نشيـر دائمًا إلى «الألمان» أو إلى «قوات المحـور» أو إلى «العدو» وأن تقلع عن اسم رومل، تلك النغمة التى لا يفتأ جنودنا يرددونها.

«واجب أن ينفـذ هذا الأمـر فـوراً، وأن يؤتى ثمـرته، بين الجنود، كما أحب أن تؤكدوا لكل الضابط، بأن خرافة رومل على جانب من الخطورة حتى من الناحية النفسية. .

«أوكلنك».

عدد القواد الذين فرضوا شخـصيتهم على جنودهم، فى أية حرب أقل

بكثير جدًا مما يحلو لهؤلاء القواد أن يعتقدوا، وخاصة إذا نحن استبعدنا قوة الأعداء الذين فرضوا شخصيتهم على الجنود فرضًا. ففى الحرب العظمى الأولى كان يقال بحق أن القليلين من الجنود البريطانيين من يعرفون اسم قائد فرقتهم. والحقيقة أنه فى الفترة الطويلة التى مرت بين ظهور "الدوق ولنغتون" إلى "اللورد مونتغمرى" لا يزيد عدد القواد الكبار الذين يعتبرون أبطالاً فى أعين الجنود، على أصابع اليدين.

فبالنسبة للحرب العظمى الثانية، هنالك أسماء مشهورة كمونتى "مونتغمرى" و"بل" سليم وديكى "مونتباتن". وكذلك "ألكس" الذى لم يفكر قط فى أن يكون مشهوراً ومنهم ويفل بالرغم من التزامه الصمت التام، فالجنود لم يشكوا مطلقًا فى كفاءته، كما أنهم أدركوا طيبة قلبه التى لا تبين للعيون. وكذلك كان "أوكلنلك" ملهمًا لكل جندى من جنوده.

يعقب هؤلاء عدد من القادة الذين يأتون فى المرتبة الثانية، ونستطيع أن نعد منهم فرايبورغ و"سترافر غوت" و"جوك كامبل" وآخرون غيرهم برزوا فى ميادين أخرى. ولكن القائد الذى يعرفه كل جنوده ما يزال من الندرة بمكان، كما أن القائد البريطانى الذى يعرفه كل جنود الأعداء لأندر من ذلك بكثير. وهكذا فرومل بين هؤلاء القواد جميعًا ظاهرة لا مثيل لها فهذا الأمر الذى أصدره الجنرال أوكلنلك قد أثار كثيراً من النقاش والسخرية عندما صدر فى القاهرة ولكن بالرغم من ذلك كان هذا الأمر ضروريًا، وإن جاء بعد الأوان فقد اقترن اسم رومل "بالفيلق الأفريقى"، كما أنه قد أثر فى نفوس خصومه، وأكبره المراسلون الحربيون البريطانيون والأمريكيون، وكذلك

الصحفيون المحالفون لبريطانيا فى القاهرة، وكانت نتيجة ذلك أن فاقت شهرة رومل، شهرة كل الشخصيات المعروفة فى الشرق الأوسط، فكان جنودنا يتحدثون عنه فى عبارات ودية، وكان يكفى أن يقولوا أنهم اشتبكوا مع الألمان فى معركة من المعارك، ليكون ذلك تبريرًا لفشلهم، ولعل هؤلاء القلائل الذين يذكرون تلك العبارات التى ملؤها الأشفاق والكراهية، حين تعودنا أن نقول عن الجندى الألمانى، إبان الحرب العظمى الأولى أنه العجوز البائس، يدركون أن رومل خطر محقق، ذلك إننا كنا نقدر الفيلق الأفريقى تقديرًا عاليًا، بينما كانت الانتصارات الهينة التى نحرزها على الإيطاليين، لا نعدها من مفاخرنا. وإذا نحن سلمنا بعظمة رومل فإنه ما يزال من العسير علينا أن نعلل لماذا أصبح رومل بهذه السرعة (رجلاً من طراز نابليون)، وكيف أصبح ساحرًا لجنودنا فى الخطوط الخلفية من الميدان فى القاهرة، بل وأصبح خطرًا يهدد جنودنا فى الخطوط الأمامية؟!.

كان رومل كأنه الشيطان الذى انطلق من عقاله، لكنه لسوء الحظ كان يعرف سبيله تمامًا، ومن الغريب أن قلم مخابراتنا السرية لا يعلم إلا القليل عنه كجندى أو كرجل، وذلك لأن البريطانيين قد اعتمدوا إلى حد بعيد، على حلفائهم الفرنسيين فى أن يمدوهم بترجمة حياة القواد الألمان، وبهذه التفاصيل وحدها يتمكن قائد من القواد تقدير خصمه ومنافسه، ولقد أدى ذلك الانهيار المفاجئ فى فرنسا، إلى المساعدة بين البريطانيين وبين الاتصال بأحلافهم الفرنسيين، وظلت هذه "الإضبارات" فى وزارة الحربية الفرنسية ليقرأها الفرنسيون أنفسهم. وهكذا لم تستطع وزارة الحربية البريطانية أن تمد الجنرال ويفل وهيئة أركان حربه، إلا بتقرير ضئيل عن رومل. ومن هذا

التقرير يطالعنا رومل على أنه ليس سوى رجل عنيف عنيد، أبلى بلاء حسنا فى الحرب العظمى الأولى، وتولى قيادة إحدى الفرق فى غزو الألمان، وكان يقال أنه من النازيين المتعصبين، وأن اختياره للنهوض بأعباء الحملة الألمانية فى الصحراء العربية، كان نتيجة لمحسوبية حزبية.

هكذا كانت الفكرة عن رومل تخطيطية غير دقيقة. والحقيقية أن القصص والأساطير التى حكيت حول رومل وأصله، وعن صدر شبابه ما زالت "عائمة" أو غير معروفة تمامًا. غير أنه فى كتاب "الهزيمة فى الغرب" ذلك الكتاب المدعم بالوثائق والأسانيد، يذكر لنا المؤلف أن رومل كان عضوًا مع غورنغ وهيس وروهم وبورمان وغيرهم من أعضاء "الفيلق الحر". وقد كانوا جميعًا ينتسبون إلى جماعة من "الرجال المتغطرسين غير المسئولين"، وقد شبوا على أن "تكون روحهم عدوانية، وأن يكونوا غلاظًا قساة ضد كل تألب على الأوامر العسكرية، وخاصة فى ألمانيا بعد أن استسلمت فى عام 1918 وأنجبت (خير القواد لتلك الطغمة من الجنود الذين تألفت منهم جناح العاصفة S.A وفرقة الدفاع S.S.)[1].

تقول أنباء أخرى أن رومل كان ابنًا لأحد العمال، وأنه كان فى مقدمة اللذين انضموا إلى (جناح العاصفة)، وآخرون يقولون أنه كان ضابطًا خامل الذكر، وقد برز بين أقرانه أثناء الحرب العظمى الأولى، بينما اعتبره الآخرون من رجال البوليس بين الحربين العظميين.

ولكن الحقيقة هى أقل من ذلك تلونًا ولمعانًا، فلقد كان رومل منذ البداية إلى النهاية ضابطًا، كما يدل على ذلك سجل خدماته العسكرية منذ أن

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع السابق ص 20.

التحق بالجيش حتى مات. فلم يغادر الجيش قط وعلى ذلك فلم يكن من أفراد (الفيلق الحر) ولا من رجال البوليس مطلقًا كما لم يكن من (جناح العاصفة) فضلاً عن أن علاقته بهتلر لم تأت إلا عن طريق المصادفة المحضة، لا أكثر ولا أقل.

ليس من الصعب أن نكشف عن مصدر بعض هذه الأساطير التى دارت حول رومل، ففى صيف عام 1941 ظهرت فى (داس رايخ) وهى صحيفة غوبلز مقالة عن رومل مغفلة من الإمضاء لفتت أنظار مراسلى الصحف الأجانب فى برلين، وقد جاء فى هذه المقالة أن رومل كان ابنًا لأحد العمال، وأنه ترك الخدمة العسكرية بعد الحرب العظمى الأولى، ليدرس فى (جامعة تيبنغن)، وأنه كان من أوائل قواد (جناح العاصفة) وأنه أصبح صديقًا حميمًا لهتلر، إلى غير ذلك مما شاءت الصحيفة ذكره، والاستطراد فيه. وحين أرسلت إلى رومل، فى الصحراء العربية، هذه المقالة ثار فى عنف، وبعث إلى وزارة الدعاية يسألها قائلاً: ماذا يعنون بترويج مثل هذه القصص الملفقة حوله؟ وحاولت وزارة الدعاية أن تخرج من هذا الحرج، فلم تجد أمامها إلا أن تقول أن الملازم الأول (أجمبكه) الذى ألف كتابًا عن "فرقة الدبابات السابعة" الذى تولى رومل قيادتها فى فرنسا، هو وحده الذى أمدها بهذه المعلومات.

لم يتمكن رومل من الاتصال بالضابط (أجمبكه) إلا بعد أن فرغ من معركة "ممر الحلفاية"، وسأله رومل عما إذا كان قد أرسل إلى وزارة الدعاية مثل هذه المعلومات الخاطئة، ثم سأله عن الأسباب التى يهدف إليها من وراء هذه المعلومات؟ فنفى (أجمبكه) أنه قام بشىء من هذا، ولم يكتف أجمبكه

بهذا بل كتب إلى وزراة الدعاية الألمانية يسألهـا عما تهدف إليه من وراء إفساد علاقاته مع روميل؟. وكان جواب الوزارة أنها بعثت برسالة من قسم الصحافة بوزارة الدعاية إلى اجمبكة اختتمت "بهايل هتلر" ووقعت بإمضاء الدكتور "ماسينر" وكانت هذه الرسالة تحفة من أدب وزراة الدعاية الألمانيـة، تبعث على الضحك والسخرية. وقد ختم الدكتور مايسنر رسالته بقوله أنه كان يأمل، من وجهة نظر وزارة الدعـاية نفسهـا، أن تكون تلك العبـارات التى وردت فى المقالة بالرغم من أنها مختلفة، صحيحة واقعية.

بعث أجمبكة بهـذا الخطاب إلى روميل، واحتفظ به روميل ضمن مذكراته، وربما كان ذلك سببًا فى غضب روميل أشد الغضب بل ويرتاب أشد الريبة فى كل شيء ينتسب إلى الدعـاية أو إلى (الاتصال بالرأى العام). وكان أول ضحـايا تلك الريبة ضابط ألمانى حـدث سيء الحظ يدعى "برندت" نقل من وزارة الدعايـة إلى الدفاع فألحق بالفـيلق الأفريقى حـالاً، فقـد أسر هذا الضـابط إلى روميل بأنه قد طلب إليـه ولما يرى الصحـراء من قبل، أن يـقوم ذلك المساء بغارة خلـف أحد الخطوط البريطانية وقد نفـذ برندت ما طلب منه فكان شجاعًا ولطيفًـا فى الوقت ذاته وقد عاد من تلك الغارة وهو يجر وراءه عددًا من الأسرى البريطانيين ويحمل فى جعبته معلومات قيمة[1].

معركة العلمين:

تعتبـر معركة العلمين التى جـرت فى الصحراء الغربية فى مـصر خلال الأسبـوع الأخير من شـهر أكـتوبر، والأسبـوع الأول من شهر نـوفمبـر عام

(1) اللواء إدموندز يونغ - نفس المرجع السابق ص 21.

1942، من المعارك المهمة والحاسمة التى شهدتها الحرب العالمية الثانية 1939 - 1945. لأنها كانت نقطة تحول فى تلك الحرب، مهدت لبداية انهيار ألمانيا الهتلرية وحليفاتها، إيطاليا واليابان، ولانتهاء الحرب العالمية الثانية ذاتها. بالانتصار مرة أخرى على ألمانيا بعد سبع وعشرين سنة على هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918.

كان المتوقع بعد أن باشرت ألمانيا الهتلرية بتحقيق الهدف الأول لها، وللرأسمالية قاطبة، حين بدأت فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يونية عام 1941، بغزو الاتحاد السوفيتى، أن تتخلى عن جبهتها فى الصحراء العربية. ولا تغامر بإثارة معارك واسعة فيها تكلفها المزيد من الرجال والعتاد، وتركز كل ما لديها من قوة على الجبهة الشرقية، جبهة الاتحاد السوفيتى، ذلك لأن وجودها فى الصحراء العربية لا يمكن أن يحقق لها نصرًا حاسمًا فى تلك الجبهة ولا يكون أكثر من مشاغلة بريطانيا، التى بقيت لوحدها فى ميدان المعركة بعد أن انهارت فرنسا، ودانت أوروبا الغربية برمتها للحكم الهتلرى. ومنع وصول الإمدادات إلى بريطانيا سواء من مستعمراتها فيما وراء البحار. أو من الولايات المتحدة الأمريكية.

نعتقد أن تورط ألمانيا فى الصحراء العربية، كان مماشاة لحليفتها إيطاليا، ولدكتاتورها موسولينى، لكى تضمن بقاءها إلى جانبها فى الحرب. ذلك لأن إيطاليا بعد أن غزت الحبشة واحتلتها فى عام 1935 راحت تمهد الطريق للوصول إلى مصر، والاستيلاء عليها، وتكوين الإمبراطورية الإيطالية فى أفريقيا والتى تضم ليبيا والحبشة ومصر، والسيطرة على قناة السويس والبحرين الأحمر والمتوسط، وتهديد مواصلات بريطانيا إلى مستعمراتها فى الشرق وعلى الأخص شبه القارة الهندية.

ومع أن ألمانيا الهتلرية ذاتها كـانت تحلم هى الأخرى بالسيطرة على قناة السويس، وإغلاقها فى وجه المواصلات البريطانية، وربما الاندفاع نحو مناطق تموين النفط فى الخـليج العـربى، وإيران والعراق، إلا أن تحـقـيق مـثل هذا الحلم، لم يكن ميسورًا حـتى بوجود الإمبراطورية الإيطالية فى مصـر وليبيا، ذلك لأن نقل الجيـوش الألمانية والمعدات، وتوفـير الوقود اللازم لهـا بحرًا أو جوًا، لم يكن مضـمونًا بالصفة التى يمكن بها ضـمان مسيرة الجـيوش البرية الزاحفة[1].

يضاف إلى هذا أن ألمانيا قد أخطأت خطأ كبيرًا فى تقدير مستقبل موقف الولايات المتحـدة الأمريكية من الحـرب. فلقد كانت ألمـانيا تظن أن الولايات المتحدة الأمريكية، سوف تظل متمسكة بسياسة "العزلة" التى التزمت بها أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها؛ وغاب عن ألمانيا أن أمريكا قد نبذت سياسة العزلة، وراحت تطلـع إلى مصادر النفط فى الشـرق الأوسط بصفة خـاصة، بعـد أن أصـبحـت هذه المادة تؤلف القـوة الحـاسمـة فى الحـرب والصناعـة والاستعمار ولقد توجت ألمانيا سـوء تقديرها هذا عن مستقبل موقف الولايات المتحـدة الأمريكية من الحـرب، بأن أعلن هتلر الحرب على أمـريكا فى اليوم الثامن من شهر ديسـمبر عام 1941، وبذلك أعطى حكومة "واشنطن" المبرر الرئيسـى الذى تحتاج إليـه للدخول فى الحـرب، والإقلاع بصـفة نهـائية عن "سياسـة العزلة، والإمعان مثل غـيرها من الدول الاستعـمارية الأخرى، فى التسابق على الاستثمار، واقتـسام مناطق النفوذ فى العالم أولاً، والتركيز على تدمير ألمانيا ثانيًا، وتقويض الإمبراطورية الإيطالية فى مصر وليبيا ثالثًا.

---

(1) مونتغمرى - معركة العلمين فى الحرب العالمية الثانية ص 6.

لقد كانت كل هذه العوامل والأخطاء فى نظرنا، هى التى أضعفت موقف ألمانيا فى الصحراء العربية، وأفقدتها المزيد من الرجال والمعدات هناك. ولقد تفاقم هذا الضعف بعد أن تحولت كفة الحرب فى الجبهة الشرقية لصالح الاتحاد السوفيتى، وبعد الهزائم المنكرة التى لحقت بالجيوش الألمانية هناك وعلى الأخص فى معركة ستالينغراد الحاسمة.

يضاف إلى هذا أن جبهة الصحراء العربية كانت تعتبر فى نظر بريطانيا هى الجبهة الرئيسية لها فى الحرب، وكانت أعظم من الجبهة الغربية بالنسبة إليها. ذلك لأن تعزيز قوة بريطانيا فى الصحراء العربية، وتمركزها فيه ولا سيما فى مصر، من شأنه أن يدعم خططها للحفاظ على الهند، وعلى مصادر النفط فى الخليج العربى وإيران والعراق، حيث كانت الاحتكارات النفطية البريطانية هى المهيمنه على تلك المصادر والمتحكمة فى مصيرها. ولهذا فإن فقدان بريطانيا لمركزها فى المشرق العربى، وفى مصر بالدرجة الأولى، يعنى تعرض الهند ومصادر النفط فى الشرق الأوسط للضياع ولذلك ألقت بريطانيا بكل ثقلها بعد أن هربت من الجبهة الغربية، على جبهة الصحراء العربية، وتقرير مصيرها لصالح الإمبراطورية البريطانية[1].

كتاب مذكرات أو يوميات رومل:

يقول الضابط البريطانى اللواء إدموندز يونغ عن يوميات رومل ما يلى:

"ولا شك فى أن ليوميات رومل أهمية عسكرية كبيرة، فضلاً عن أنها تكشف عن مواهبه الفذة فى القدرة على التعبير السريع، مما لا يتيسر إلا لمن أوتى عبقرية فى القيادة الحربية وسرعة الحركة وحسم الأمور".

---

(1) مونتغمرى - نفس المرجع ص 7.

هذا إلى ما ليوميات رومل من أهمية خاصة عند من يريدون دراسة الحملة على الصحراء العربية، والتى وصف فيها رومل ما شهده من المعارك وصفًا موجزًا، ولكنه فى الوقت نفسه دقيق كل الدقة، فكان مثله فيه كمثل الرسام الممتاز الذى يعطيك خطوط قليلة صورة معبرة عن كل خصائص صاحبها أحسن التعبير.

استهل رومل يومياته بقوله: "إن الميدان الأفريقى كان وحده، دون الميادين العسكرية الأخرى، الذى استخدمت فيه الأساليب الحديثة فى القتال، كما أن الصحراء الغربية كانت أول الميادين التى التقى فيها الحلفاء بالألمان"!.

وفى كثير من الأحيان يوجه رومل حديثه فى يومياته إلى القواد العسكريين، وينصح لهم باتخاذ موقف دون سواه، وهو فى هذه النصائح إنما يصدر عن خبرة طويلة استمرت منذ أن التحق بلواء المشاة الرابع والستين فى التاسع عشر من شهر يوليو عام 1910 إلى أن مات، أى أكثر من ثلاثين عامًا.

يبدو طابع رومل المدرس أو الأستاذ فى كتابة هذه اليوميات واضحًا جليًا فهو يحرص على أن ينبه القارئ العسكرى أو المعنى بالشئون العسكرى، إلى بعض الأمور العسكرية الدقيقة التى لا يفطن إليها غير الخبراء الممتازين. وهو يقرر أن تجاربه قد دلت على أن الحسم أو القرار الجرئ يؤتى خير الثمرات على أنه يستدرك فيقول: "إن هناك فرقًا بين الجرأة فى العمليات أو التكتيكات، وبين المغامرة العسكرية، فالعملية الجرئية ليست لها إلا فرصة واحدة للنجاح، ولكن إذا قدر لها الفشل، فستترك للقائد قوات سليمة كافية تمكنه من معالجة الموقف، والثبات على قدميه، أما المغامرة العسكرية، فهى إما أن تقود إلى النصر، وإما أن تحطم القوة التى تستخدم فيها كل التحطيم".

لا يفوت روميل أن يعلق على مواقف خصومه من البريطانيين تعليقا مباشرًا ينم عن فهم واضح للموقف. ومن بين ثنايا هذه المذكرات يطالعنا روميل بتنبؤات تصور بديهته، ،مواقف أعدائه وما ستؤدى إليه هذه المواقف، وقد أثبتت الأيام صحة هذه التنبؤات. ولقد أفاض روميل فى الحديث عن "تفوق الحلفاء الجوى" ، وعن مدى أهمية هذا التفوق، والنتائج العسكرية الهائلة التى ترتبت عليه، لا فى الصحراء الغربية حسب، بل فى الجهبة الغربية وكل الميادين أيضًا.

رأينا كيف كان سلاح طيران الحلفاء سلاحًا قاضيًا مهلكًا قبل فتح الجبهة الثانية، وفى إبان الغزو، بعد أن نزلت قوات الحلفاء فى فرنسا. وكان هذا كله بما تضمنته التقارير التى كتبها روميل وقدمها لهتلر، وأيده فيها بعض القواد الآخرين. ومما ذكره روميل أن تفوق البريطانيين فى الجود قد جعل الرياح تذرو كل الجهود الألمانية، وكل قواعد التكتيك التى وضعوها، ولا سبيل إلى مقاومة هجمات العدو الجوية، إلا بالتفوق عليهم جويًا[1].

استمرت قوات «روميل» المدرعة فى بلائها الحسن فى القتال رغم تنامى قوة العدو وتعرض الحليف الإيطالى للإنهاك، ومع ذلك فإن «هتلر»، إما عن غير رغبة فى دعم فيلق أفريقيا أو عن عجز، أمرهم بالثبات ومواصلة القتال حتى آخر رجل، فرفض «روميل» إهدار حياة رجاله فى معركة لا طائل من ورائها فاستسلموا فى 6 مارس.

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 286.

رغم الغضب الذى انتاب هتلر لعصيان «روميل» وجيشه أوامره. فقد أدرك أنه فى حاجة إلى مواهب المشير، لذا أمر بإجلائه إلى ألمانيا قبل الاستسلام. وعقب إسداء «روميل» النصح لهتلر حول كيفية الدفاع عن إيطاليا، توجه إلى فرنسا فى 15 من يوليو 1943، وتولى مسؤولية تعزيز الدفاعات ترقبًا لغزو من الحلفاء وكان «روميل» يحبذ تكليف سلاح المدرعات الاحتياطى بشكل مباشر بتدمير الحلفاء الغزاة بمجرد إنزالهم إلا أن ما أبداه من قلق لم يعره أحد آذانًا صاغية، فكان كل ما استطاع أن يفعله هو تقوية الروح المعنوية للجنود من خلال قيادته الشخصية والإشراف على زرع خمسة ملايين لغم ونصف مليون عائق إبرار.

كان «روميل» فى إجازة فى ألمانيا عندما قام الحلفاء بالإبرار فاندفع من فوره لتولى مهام الدفاع عن الشاطئ ومع أنه كان ما يزال مقيدًا نتيجة رفض «هتلر» المستمر تكليف فرق المدرعات الاحتياطية، فقد تمكن من إيقاف البريطانيين عند رأس الشاطئ عن طريق إقامة سلسلة من أحزمة الدفاع على طول الطريق المتوقع لسلوكهم إياه، واستطاع «روميل» أن يتفوق فى مناوراته على قوة الحلفاء الجوية التى تفوقه عددًا، وذلك بتحريك رجاله إلى المؤخرة أثناء القصف وإعادتهم إلى المواقع الدفاعية المقصوفة قبل الهجوم البرى.

وفى وسط المعركة، فى 17 من يوليو 1944 قصفت طائرة مقاتلة بريطانية عربية «روميل»، فأصيب المشير بجرح خطير فى الرأس، وأعيد إلى ألمانيا للعلاج، غير أن تطور الأحداث جعل عودته لتولى القيادة أمرًا محالاً، وفى 20 يوليو زرع ضابط ألمانى قنبلة بهدف قتل «هتلر»، ورغم أن «روميل» لم يشارك فعليًا فى محاولة الاغتيال، فقد كان مطلعًا على الخطة لأن المتآمرين كانوا على اتصال به قبلها بأشهر، وفى حملة التطهير التى أعقبت ذلك، اعتبر

«روميل» متآمرًا عندما علم «هتلر» أن الخطة كانت تدعو إلى أن يتولى «روميل»، وهو واحد من الضباط الألمان القلائل المتمتعين باحترام الحلفاء، ورئاسة الدولة ويدخل فى مفاوضات سلام لإنقاذ ألمانيا من الدمار الشامل.

أرسل «هتلر» فى 14 من أكتوبر 1944 بجنرالين إلى منزل «روميل» يخيرانه ما بين الانتحار مع تأمين سلامة أسرته، وبين محاكمة علنية مع الإعدام والمهانة وإنزال العقاب بأسرته وهيئة ضباطه، ورافق «روميل» البالغ من العمر ثلاثة وخمسين عامًا الجنرالين فى جولة بالسيارة وتناول السم الذى قدماه له، وبعد الإعلان عن وفاته نتيجة مضاعفات الجروح التى أصيب بها فى المعركة، دفن وفقًا لمراسم الشرف العسكرية.

تولى «روميل» قيادة بضع فرق بينما تولى معاصروه على الجبهات الأخرى قيادة عشرات الفرق، ومع ذلك فإن جاذبيته الشخصية وشجاعته وإدراكه الممتاز وتنفيذه لحرب المدرعات هو ما أكسبه شهرة لدى طرفى القتال، ويظل اسم «روميل» مرتبطًا بعمليات الدبابات الناجحة، حتى إن تكتيكاته ما تزال تدرس فى معاهد المدرعات فى أرجاء العالم، وحتى النهاية، عندما خشى «هتلر» من تلطيخ صورة أعظم أبطال ألمانيا فى الحرب العاليمة الثانية. تصرف «روميل» بأقصى درجات الاحترافية والإباء[1].

تطور الأسلحة وأساليب القتال فى الحرب العالمية الأولى:

لم تحدث منذ عام 1871 نزاعات تقابلت فيها جيوش الدول الكبرى ولم تتوفر لأركان حربها المسؤولية لإعداد وإدارة العمليات وخبرة حربية شخصية باستثناء خبرة الغزوات الاستعمارية فى بعض المستعمرات، واستوحت

---

(1) درع الوطن - العدد 387 عام 2004.

مـفاهيـمهـا من درس النزاعـات فى أفريـقيـا الجنوبية ومـنشوريا والبلقـان، والاختراعات التى طورت الحرب ومن ثم ظروف المعـركة وكل كان مقتنعًا بأن الحرب لا يمكن أن تطول وبأن النصر سـيحرز بمعارك طاحنة قصـيرة، فأعدوا العدة لمثل هذه الحروب، وقد قال ملك ألمانـيا غليوم الثانى فى أغسطس 1914 "سوف نعود إلى ديارنا فى عيـد الميلاد" . إلا أن الحرب التى اندلعت فى هذا التاريخ دامت أربع سنوات ظهرت خلالها أسلحـة جديدة وظروف معارك غير مرتقبة أرغمت أركان الحرب على المادة النظر كليًـا فى مفاهيمها فى عام 1918 مختلفين كثـيرًا عنهما فى عام 1914، وللمرة الأولى استجابت الدول الكبرى باستثناء بريطانيا بجـيوش وطنية استند فى تأليفها إلى مـبدأ «الأمة فى حرب» فإن هذه الجيوش المعبأة بحكم الخدمة العسكرية الإلزامية، أتاحت إرسال أعداد كبيرة من الجنود إلى ساحات القتال فى حـين زادت التحسينات التقنية من قوة النيران بعدما أصبح إطلاق النار أكثر دقـة وتواصلاً بفضل استعمال البارود 13 الذى حل محل البارود الأسود الذى لا ينـشر دخانًا ولا يوسخ جدران المدافع الداخلية إضـافة إلى الرماية السريعـة؛ وتطورت البندقية التى أصـبحت تطلق طلقـات نارية متـواترة وأدخل استـعمال المدفـع الرشاش وكان مـن شأن هذا الأخير منع كل تجمع عسكرى كثيف حتى مسافة 2.000 متر، وتصيب البندقية الفرنسية "ليبـل" الهدف على مسافة 800 متر وامتدت فـاعلية المدفع من عيار 75 حتى مسافة 5 كم والمدفعية الثقيلة الألمانية حتى 12 كم.

قيام الحرب العالمية الثانية عام 1939:

ترجع جذور الحرب العالمية الثـانية إلى المشكلة الألماينة - البولندية حول مسـألة الممر حيث اقـتطع الجانب الشرقى من بروسـيا من بقيـة ألمانيا بموجب شروط معاهدة فـرساى مضافًا إليها مطالبة الألمان الملحـة حول انضمام المدينة

الحـرة "دانزغ" وبذلك ابتدأت المشكلـة بالظهور منذ إبريل عـام 1939 عندما فرضت الحكومة الألمانية معاهدة عدم الاعـتداء المعقودة بينها وبين بولونيا قبل خمس سنوات. ولم يكن هتلر راغبًا فى حل يتضمن بعض التنازلات كما أن مـوقف البولونيـين سـاهم فى تعقيـد الموقف فى النصف الثـانى من شهـر أغســطس، ولم يكن لدى الألمان سوى خطة واحـدة فى حالة انـدلاع الحرب والتى تستند على افـتراض أن الفرنسـيين سيقـومون بالهجـوم على ألمانيا لذا كانت الخطة ترتأتى بصورة مـشددة اتخاذ تدابير دفاعيـة فى كلا جانبى الحدود الغربيـة والحدود المتاخمـة فى نفس الوقت وعليه فـقد كان القسم الأكـبر من الجيش الـبرى جاهزًا لـلحركة، وفـى عام 1939 أمر هتلر باتـخاذ الترتيـبات اللازمة لإمداد الصـفوف المحاربة الثلاثة للقوات المسلحـة وهى القوات البرية والبحرية والجوية، وتهيئـة خطة الهجوم على بولونيا بأسرع وقت ممكن وذلك فى حالة عـدم التوصل إلى حل معقـول مع بولونيا بالطرق السليمة تـتضمن استخدام المشاة والقوات الجوية ضد بولندا بينما يتم الاحتفاظ بالحد الأدنى من القوات المسلحة على الحدود مع فرنسا حيث افترض هتلر بعدم تدخل بريطانيا وفرنسـا الحرب ضدها بعد عـقد اتفاقيـة عدم الاعتداء مع روسـيا فى 23 من أغسطس 1939 والتى كان من المقرر أن يتـبعها تقسـيم بولندا للمـرة الرابعة، وفى يوم 31 أغسطس صـدرت الأوامر للقوات المسلحـة بالتقدم وفى صـباح الأول من سـبتـمبـر وفى الساعـة 5.54، تقدمت 44 فرقـة نظاميـة بجمـيع تشكيلاتهـا الآلية والسيـارة عبر الحـدود وكان هدفهـا تدمير القـوات المسحلة البـولندية، وأطاع الرجال الـذين كانوا فى سن الخـدمة أوامـر النفـير العـالم والتحقوا بمراكز تدريبهم.

أقسم هتلر فى 1/ 9/ 1939 فى خطاب له فى الرايخشتاغ أنه سيعود إلى الوطن منتصرًا أو لا يعود إطلاقًا. وابتـدأت الحملة على بولندا بنصر بعد آخر

واندحر البولنديون خلال ثلاثة أسابيع كما دخل الجيش الروسى حتى وصلوا إلى الخط الفاصل الذى رسمه "رينبتروب" مع الروس فى موسكو وهكذا أزيلت الدولة البولندية من الوجود وجرى تقسيمها بين ألمانيا وروسيا، وفى خلال الحملة البولندية كان الجيش الألمانى على الحدود الغربية مكون من 35 فرقة معظمها رديئة التدريب ومؤلفة من الاحتياط ووحدات الدفاع الداخلى، أما الجيش الفرنسى فكان يتألف من 65 فرقة عاملة و45 فرقة احتياطية وعليه فإن هذا الجيش الفرنسى لو قام بهجوم ضد قوات الأمن الألمانية التى كانت تحرس الحدود لكانت النتيجة وصول الفرنسيين إلى نهر الراين بأقل مجهود وربما كان فى استطاعتهم عبور النهر أيضًا وعليه فإن النتائج المترتبة كانت سترسم طريقًا آخر لمجرى الحرب، ولكن لشدة دهشة الضباط الألمان فإن الفرنسيين لم يقوموا بعمل أى شىء حتى اجتمعت جميع الفرق الألمانية تقريبًا فى الغرب، وهكذا أثبت هتلر أنه كان مصيبًا بتأكيده أن الفرنسيين لن يستثمروا الفرصة الذهبية، وفعلاً فإن الفرنسيين بفشلهم فى استغلال موقف ألمانيا بشن هجوم فورى سريع قد فوتوا على أنفسهم الفرصة الذهبية التى سنحت لهم لإيقاع الهزيمة الشنيعة بألمانيا لذا ظهر أن المرحلة الثانية ستكون الإطاحة بفرنسا وتغير نظام المعركة للجيش الألمانى وبدلاً من ثلاثة جيوش فقد تجمعت ثمانية جيوش فى الغرب.

رغب هتلر فى أن يبدأ الهجوم فى 12/ 11/ 1939 إلا أن رئيس الأركان للجيش لم يوافق على ذلك بسبب الأحوال الجوية ولعدم قدرة الجيش على شن هجوم واسع النطاق. وحددت فى ذلك الشتاء اثنا عشر موعدًا للهجوم إلا أن جميعها ألغيت فى اللحظة الأخيرة بسبب رداءة الأحوال الجوية التى كان فيها الشتاء قارس البرد وأخيرًا فى 10/ 5 / 1940 فى الساعة 5,45 تحركت

الجيـوش الألمانية وقامت بهـجوم كبـير على طول الجـبهة الممـتدة بين «أورن» و"كارلسرده" أما الخطة التى طبقت فى هذا الهجوم فهى خطة "مارنشتاين". حقق الجـيش الألمانى نجاحًا ونصرًا أكـثر مما كان متـوقع وبسرعة حيث أجـبر الجيش الهولندى على الاسـتسلام فى 14/ 5/ 1940 وبعد أسبـوعين من ذلك التاريخ استسـلمت القوات البلجيكية مما أدى إلى انسحاب القـوات البريطانية إلى السواحل حيث وجـدت نفسها فى موضع مكـشوف لم تنج منه إلا بقرار من هتلر الذى أوقف تقـدم الجيـوش الألمانية بناء على اقـتراح من "غـورنغ" الذى طلب الاكتفـاء باستخدام سلاح الطيـران لقصف البريطانيين المتجـمعين على الشاطئ إلا أن سـلاح الطيران الألمانى لم يكن قادرًا على إيقاف عـملية إجلاء وانسحاب القوات البريطانية التى ساعدها سوء الأحوال الجوية وبحلول الرابع من يونية تمكن البريطانيون من سـحب قواتهم وبذلك انتصر الألمان فى معركة "دنكرك" التى خسـر فيها البريطانيون جميع معـداتهم الحربية. عبرت الجيوش الألمانية نهر السين فى 5/ 6/ 1940.

أعلنت باريس فى 14/ 6 مدينة مفتوحة لم تسلم إلا بعد أن بلغ الجيش الألمانى سواحل الأطلسى ومنذ 10/ 6 دخل الإيطاليون الحرب وأخيرًا تم توقيع الهدنة فى غابة «كـومبين» فى نفس المكان الذى تم فيه توقـيع الهدنة فى عام 1918 فى نفس عربة المارشال الفرنسى «فوش» التى بقيت فى نفس تلك البقعة مدة 22 سنة وهى محفـوظة داخل غرفة زجاجية ولقـد حضر كل من «هتلر» و«غـورنغ» و«زيبرنتـروب» و«هيس» و«كـاتيل» و«براوخيـتش» و«رايدر» عن الجانب الألمانى، والجـنرال «هونتزيغر» وجنرال الجـو «بيرجـورى» والفايس أو مـيرال «لى لـولوك» و«م. نوويل» السـفيـر الفـرنسى فى بولندا عن الجـانب الفرنسى.

الإستراتيجية العسكرية للحرب الألمانية - الفرنسية:

أصبحت ألمانيا أكثر تقدمًا على أعـدائها بعد مرور إحدى وعشرين عامًا مما كانت عليه عام 1914 وذلك بفضل تعزيز تسلحها منذ عام 1933م فى حين تخلف الحلفاء عنها فى نطاق مفاهيم الإستراتيـجية العسكرية، وكانت النتيجة المستخلصة من الحـرب العالمية الأولى هى قوة الجبهـة المتصلة التى تدافع عنها نيران قـوية تطلقها المدفعـية والأسلحة الذاتية الحـركة لقد أسهـمت الأسلحة الجديدة كالدبابات والطائرات فى تحسيـن ظروف العمليات، فإن الدبابة كانت ترافق سلاح المشاة وتشن أمـامه الطريق وتسانده فى تقدمه بتدمـيرها الأسلحة الذاتية الحركة وكان الطيران يستكشف مراكز دفاع العدو وحركاته ويحول دون قيام طيران العدو بأية مهـمة استطلاعية وإذا هزمت فى عام 1918 فمرد ذلك افتقـارها إلى الرديف الضرورى لسد الجيوب التى أحـدثتها الهجمـات الحليفة ولكن الإستـراتيجية العـسكرية الفرنسيـة لم تغير أية محـاولة منذ عام 1918 لتجديدها أو تبديلها، فإن الاقتناع بمناعة الجـبهة المتصلة وبالأهمية الأولية لقوة النار وبتأثير طبـقة الأرض على كل مناورة قد جمعت أركان الحـرب الفرنسية على انتهاج إستراتيجية دفاعية بحـتة، أما الطيران الذى أصبح سلاحًا مستقلاً فى عام 1928 فقد عـانى فى تنظيمه من المنازعات بين المـدارس المختلفة ومن تردد التـعليم وتأخر إلى عـام 1936 حـيث أنشئت وحـدات جوية مـستـقلة وصممت نماذج طائرات جديدة كثيرة إلا أن فرنسا لم تمتلك فى عام 1939 إلا عددًا قليلاً من قـاذفات القنابل وكان لديها طائرات مطاردة ذات فـعالية ولكن عددها لم يكن كـافيًا ولم يكن هنـاك طيران هجومى انقـضاضى ولا طائرات لنقل الجيوش جوًا، أما بريطانيا فقد توفـر لديها طيران إستراتيجى من قاذفات القنابل قادرًا على مـهاجمـة الأهداف الصناعية الألمانيـة ولكنها افتـقرت على غرار فرنسا إلى طائرات قادرة على تقديم المساعدة للوحدات البرية.

اختلفت قيادة الأركان فى الجيش الألمانى نشاطها عن الجمود الفكرى الذى اتصفت به قيادتا الأركان الفرنسية والبريطانية بعد ما استخلصت دروسا من هزيمتها عام 1918، فقد ارتكز مذهبها إلى الحاجة إلى هجوم سريع من شأنه مفاجأة العدو محليًا بقوى متفوقة فى أضعف مراكزه ومنعه بعد ذلك من توطيد جبهته فيجب من ثم مباغتته بضرب سريع وقوى بغية القضاء عليه والاستفادة جهد المستطاع من وسائل النقل الآلية التى توازى سرعتها خمسة أضعاف سرعة الوسائل القديمة وتتيح مرونة كبرى فى المناورة وسرعة فى تجميع القوات فى مركز الثقل ويكفى من ثم تحقيق تفوق ساحق على جبهة ضيقة فى النقلة الحاسمة وفتح ثغرة فيها وتوسيع هذه الأخيرة والاندفاع نحو الداخل قبل أن يكون للعدو مجال للمقاومة؛ وبعد اجتياز الثغرة المفتوحة يستغل النجاح استغلالاً منظمًا باندفاعات جانبية تحمى جناحى الوحدة المتقدمة وتستند هذه المهمة المزدوجة الأساسية إلى الدبابات حيث يستلزم جمع الدبابات فى وحدات كبرى مثل فيالق ووحدات مدرعة تتوفر لديها كافة الأجهزة التى تتيح لها الاندفاع اندفاعًا مستقلاً إلى مسافات بعيدة أمام الجيوش وإثارة الفوضى فى صفوف العدو وتحقيق انهيار مقاومته بالمباغتة وسرعة الحركات ومنعه من جمع شمله فى مركز انكفاء وهذه الإستراتيجية العسكرية الجديدة التى ستضمن للألمان انتصاراتها العسكرية بين عامى 1939 - 1942، أما الطيران فقد أسندت إليه أيضًا مهمة هجومية فإن أسرابه الكبرى المستقلة تنقل الفوضى إلى قلب بلاد العدو ولكنها فى الدرجة الأولى تتعاون تعاونًا وثيقًا مع القوات البرية لا بالاستكشاف والرقابة وكتمان سر المنطقة فحسب بل بالحلول محل المدفعية بإعداد الهجمات عن طريق قذف القنابل بالجملة وبالتعاون والمدرعات والمشاة بالانقضاض وإلقاء القنابل على جيوش العدو وألحقت المدفعية المضادة للطائرات بالجيش الجوى الذى يعمل بالاتفاق مع

الجيوش البرية وتطورت تطوراً عظيماً وأعيرت الاتصالات الكهربية اللاسلكية اهتماماً خاصاً والتعاون والاتصال بين الأسلحة والاتصال بالوحدات المندفعة بعيداً وراء خطوط العدو منوطان بتقدمهما ودقتهما على السواء.

نجد أن إنشاء جيش قوى مؤلف من 7 فيالق مدرعة الذي اقترحه القومندان «ديغول» عام 1935 قد صرف النظر عنه إجمالاً باعتبار أنه مناقض لمنطق التاريخ، بيد أن فرنسا أخذت تنشئ فى خريف عام 1938 فيالق مدرعة ولكنه بقى سلاحًا من أسلحة المشاة ولم يكن استخدامه ممكنا إلا فى إطار وحدة مشاة كبرى وكان سلاحًا للهجوم المعاكس معدًا لسد الثغرات فى الجبهة أى لإحراز نجاح محدود ولم يزود بوسائل استكشاف ولا بوسائل دفاع ضد الطائرات والدبابات ولا بفرق مشاة ومدفعي، تنقل بالسيارات وكان عاجزاً عن العيش وخوض المعركة مستقلاً ومن خلال المعارك التى دارت بين ألمانيا وفرنسا فى مايو 1940 آنه كان فى وجه الدبابات الألمانية الـ 2.700 امتلكت فرنسا 2.300 تضاف إليها الدبابات البريطانية أى زهاء 3.000 وفى القوات الجوية كان لدى الألمان فى بداية شهر مايو عام 1940 بين 700 و800 طائرة مطاردة مقابل 700 لدى الفرنسيين والبريطانيين 1.200 قاذفة قنابل مقابل 150 إلى 175 و400 طائرة انقضاضية stuka فيكون المجموع 2600 طائرة مقابل 1.700 طائرة فرنسية وبريطانية قد لا توازيها سرعة واستقلال ولكنها أنزلت بالألمان خلال معارك عام 1940 ثلاثة أضعاف خسائرها فلم يكن الجو من ثم خاليًا كما اعتقدت الجيوش البرية التى تأثرت تأثرًا قويًا بنشاط الطائرات الانقضاضية بينما كانت الطائرات الفرنسية موزعة بين الوحدات البرية فى الجبهة ولم يكن من تفوق ساحق للقوات الألمانية إلا فى نطاق قوات الدفاع الجوى 9.300 قلعة مقابل 1.600 لفرنسا وبريطانيا وقاذفات القنابل الانقضاضية والسلاح المنقول جوا والتى لم يجهز بها لا الجيش الفرنسى ولا الجيش البريطانى وبالمقابل كانت

المدفعية الفرنسية متنوعة عددًا ونوعية ولكنها كانت معدة لحرب جامدة لأن معظمها كان يبحر بواسطة الجياد وكان الأسطول البحرى البريطانى متفوق على الأسطول الألمانى تفوقًا أعظم منه فى عام 1914.

التوجه الألمانى إلى شمال أوروبا:

استمرت الحملة مدة 44 يومًا تمكنت الجيوش الألمانية فى خلالها من دحر جيوش فرنسا وبلجيكا وهولندا وبريطانيا واحتلت معظم الأراضى الفرنسية ولم يبق إلا عدو واحد لم يتم القضاء عليه ألا وهو بريطانيا.

ومن الجدير بالذكر أنه كانت هناك حركة جريئة أخرى تأخذ مجراها بنجاح ألا وهى احتلال الدانمارك والنرويج إذ أن ألمانيا كانت تستورد لوقت طويل القسم الأكبر من الحديد الخام من السويد عن طريق النرويج وكان هذا المعدن لا شك ذا أهمية حيوية لمجهود ألمانيا الحربى وهذا يعنى خرق حياد الدول الاسكندنافية، واتخذت الترتيبات لذلك فى شتاء 1939 - 1940 أى خلال فترة هجوم الاتحاد السوفيتى على فنلندا، لقد كان هتلر أسرع من خصومه ففى 9/5/1940 نزلت قطاعاته فى جميع الموانئ النرويجية المهمة من "أوسلو" إلى "نارفك" وتم نقل الجنود الألمان بواسطة السفن التجارية التى كانت تبحر ضمن المياه الإقليمية للدول الإسكندنافية تحت سمع وبصر البوارج الحربية البريطانية وتسللت إلى الموانئ المذكورة أعلاه خلسة فى أثناء الليل واحتلتها بعملية أشبه بغزوات القراصنة ولم تمض إلا خمسة أيام حتى ألقيت القطاعات البريطانية والفرنسية على سواحل "ناسوز" و"اندالسترنزا" وامتنعت الدانمارك عن القيام بأية مقاومة لا قيمة لها لذلك تم احتلالها بدون أى سفك للدماء؛ وفى نهاية شهر مايو 1940 أصبح الموقف فى "نارفك" حرجًا جدًا حتى أن «هتلر» فكر آنذاك بإيقاف الحركات فى شمال النرويج إلا

أن القطعات الجبلية الألمانية تشبثت فى هذه الأثناء بمواقعها وتابعت القتال بشجاعة حتى توقفت النرويج عن القتال فى 8/ 6/ 1940 وانسحبت القوات البريطانية والفرنسية وأصبحت جميع سواحل الأطلسى الممتدة من "نارفك" حتى ملتقى الحدود الفرنسية - الأسبانية بين الألمان وامتدت إمبراطورية هتلر من فرنسا فى الغرب إلى أطراف "برست ليتوفسك" فى الشرق.



الفصل الثانى

الحرب البريطانية - الإيطالية فى الصحراء المصرية - الليبية من سبتمبر إلى ديسمبر 1940

- جبهة العمليات العسكرية فى الصحراء المصرية - الليبية.
- الحرب الإيطالية - المصرية فى شرق ليبيا عام 1940.
- تطور الأسلحة والإستراتيجية العسكرية.

جبهة العمليات العسكرية فى الصحراء العربية: مصر - ليبيا:

تمتد الصحراء المصرية على 240 ميلاً من الشرق إلى الغرب ويبلغ أقصى عرض لها شمال - جنوب 150 ميلاً وتتألف من قسمة ساحلية رملية وطريق واحد وسكة حديد واحدة وتنتهى فى "مرسى مطروح" وهو ميناء صغير احتله لواء بريطانى مدرع فى يونية 1940 وفى أقصى الجنوب نجد بعض النتوءات الصخرية ويبلغ ارتفاع الهضبة الليبية فى الغرب 160 مترًا وقبل الوصول إليها نجد "أرضًا وعرة" وممر حلفايا، وتلتقى معظم نقاط المياه فى الحزام الساحلى مع بعض القرى القليد مثل "سيدى برانى" "السلوم" "مرسى مطروح" فى مصر "وبردية" و"طبرق" فى ليبيا المحتلة من قبل الإيطاليين. أما المناخ فيها فهو حار فى الصيف والليالى باردة أما فى الشتاء فالجو بارد جدًا وممطر وفى الربيع والخريف تهب الرياح من الجنوب وتغطى السحب الرملية السماء وتحجبها، وتشكل هذه الصحراء مسرح عمليات لا يمكن تصور إمكان مناورة جيوش فيها أبدًا ولا يمكن التفكير فيها إلا بتكتيك الإزعاج بواسطة الغارات والكمائن.

يقول مونتغمرى عن مسار العمليات الحربية التى جرت فى مسرح شمال أفريقيا حيث يقول: بعض الذين لا يعرفون الصحراء الممتدة من جنوب شرق تونس مرورًا بشمال ليبيا حتى غرب إسكندرية، هناك بعض المعالم الصخرية، والهضاب ومنحدرات ليست للسيارات فيها أية طرق للسير إلا فى بعض المعالم الصخرية، والهضاب ومنحدرات ليست للسيارات فيها أية طرق للسير إلا فى بعض الأماكن المحدودة من أمثال "ممر الحلفايا" قرب "السلوم" ومنخفضات شديدة الانحدار وما خلا هذه العقبات تبدو الصحراء للعين

الاعتبارية منبسطة تمام الانبساط، غير أن الأمر يكون على خلاف ذلك بالنسبة للعين المجردة التى تجد الكثير من التموجات والتضاريس على بعد بضعة أقدام ليس إلا، والتى قد توفر ستارًا، يحجب نظر العدو، ففى الصحراء الليبية الكبرى أو الصحراء الغربية التى قد تبلغ مساحتها مليونى ميل مربع، لا يوجد سوى النذر القليل من آثار الحياة فيه، فقد يحدث أن تلتقى هناك ببضعة أفراد من العرب الرحل مصادفة ولكن لا يوجد شخص واحد يعيش فيها بصفة دائمة أبدًا، سوى بعض مواطن متناثرة على الساحل وواحات قليلة تقع بعيدا نحو الجنوب.

تكون الصحراء شديدة الحرارة جدًا خلال شهور الصيف حيث يتكاثف الذباب أثناء النهار، أما الليالى فإنها تكون باردة بل قـرّة أيضًا وإذ ذاك يكف الذباب عن المضايقة والإزعاج أما الحياة النباتية فيها فإنها تتألف من أدغال صغيرة شوكية تتناولها الإبل وإلى الجنوب من حاجز "منخفض القطارة" والذى يقع فى المؤخرة بعيدًا يمتد بحر هائل من الرمال إلى مئات الأميال، وهذا البحر الرملى يصعب السير فيه إلا للسيارات المزودة بإطارات صحراوية والتى لا تحمل سوى حمولات خفيفة، أما الجزءان الشمالى والغربى من حاجز الصحراء فإنهما يختلفان تمامًا جدًا. فهما قريبان من البحر ومن كثبان الرمال ومن المستنقعات الملحية العرضية حولهما وما خلا ذلك فإن الأرض تغطيها الصخور والحصباء ما عدا بقع من الرمال الناعمة التى يمكن تجنبها بيسر، ففى هذه البقاع تستطيع وسائل النقل أن تتحرك بسرعة وحسبما ترغب وتكون المياة نادرة غير أنها تكون متوفرة لأولئك الذين يستطيعون أن يتحملوا الأعباء فى سبيلها والذين تتوفر لديهم وسائل نقلها وهناك القليل من آبار المياه التى كان العرب يستعملونها على أن المنغصات الأساسية للصحراء تتمثل فى

الذباب وفى العـواصف الرملية أو التـرابية ومـا عدا ذلك فإن الجنـود يجدون الحياة فـيها صالحة علـى وجه التعميم لكنهـا ليست حياة ناعـمة. ورغم شدة الحرارة فإن الهواء يحتـفظ بخاصية تضفى على الجو إحساسـا بهيجًا ولقد كنا نحن الذين حاربنا واخترقنا من العلمين إلى تونـس ملائمين جدًا لتلك الحياة ومبتـهجين بها ومـا خلا بعض المنغصات الخـاصة من أمثال دمـامل الصحراء ومغصات المعدة و"اليرقان" وهذا الأخير يصيـب الضباط بصفة رئيسية ما عدا ذلك فلم يقع سوى القليل من الأمراض.

الحرب الإيطالية - البريطانية فى شرق ليبيا عام 1940:

دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية كانت مـثيرة لاشمئزاز السياسة لدول العالم بعامة وغرب أوروبا بخاصة لأنها دلت على الميكافيلية الإيطالية والمتمثلة فى الانتهازية السافرة التى تمثلت بطعن فرنسا من الخلف فى إحراج مرحلة من مراحل الحـملة الألمانية عليهـا، وكان "موسـوليني" يطمع لقاء انحـيازه إلى صفوف الألمان بالحصول على بعض المستعمرات الفرنسية والبريطانية حيث كان قد قـال لقادته بأن الحرب سـتنتهى عاجـلاً ويهمـه كثيـرًا الجلوس على مائدة الصلح فى صفوف المنتصرين لقاء التضحية ببضعة آلاف إيطالى وأنه سيحصل من البريطانيين والفرنسيين على منطقة "نيس" من ساحل "الريفيرا" الفرنسية وجزيرة "كورسيكا" "وتونس" والجزء السـاحلى من الجزائر والقسم الأكبر من السودان إلا أنَّ قواته العـسكرية فى المغرب العربى كانت موجهـة نحو الحدود المصريـة وكانت أحلام رئـيس وزراء إيطاليا "نبـتوموسـوليني" زعـيم الحزب الفاشى الحاكم بجعل البحر المتوسط بحـيرة رومانية. الحافز الأول لإعداد قوة عسكرية ضـخمة جـاهزة للعدوان على الدول التى تسنح الفـرصة لاحتـلالها تنفيذًا لتلك المطامع وكانت إيطاليا قد احتلت ليبيا بعد حرب غير متكافئة ضد

الدولة العثمانية عام 1911 واستولت على جزر "الدوديكانيز التركية ثمنا لانحيازها للحلفاء فى 26/4/1915 فلما وصل موسولينى إلى الحكم عام 1922 أعلن عن فكرته التوسعية وأخذ يهدد الدول المجاورة لإيطاليا بشتى المناسبات فى حقبة الثلاثينيات صرح مراراً بعزمه على احتلال تركيا لدرجة أثار معها حفيظة الرئيس التركى مصطفى كمال أتاتورك الذى أقام وليمة للسفراء الأجانب فى أنقرة آنذاك واستقبلهم بملابسه المدنية ثم طلب إليهم ضبط ساعاتهم، وغاب عنهم بضع دقائق وبعدها خرج عليهم بلباسه العسكرى الكامل ثم توجه نحو السفير الإيطالى قائلاً: إذا بدلت لباسى العسكرى خلال خمس دقائق فكم من الوقت يلزمنى لارتداء الحذاء الطويل؟ كناية عن إيطاليا وكان هذا تهديداً مقابلاً حاسمًا.

ألقى الدوتشيى خطابًا أعلن فيه أن إيطاليا قد أرسلت إلى ليبيا عام 1936 جيشًا من 14 ألف ضابط و237 ألف جندى مع إمدادات ضخمة من الوسائط القتالية والذخائر وكان يحق لموسولينى أن يتفاخر بإرسال هذا الجيش الضخم للقضاء على ثورة العرب المسلمين فى ليبيا بقيادة السنوسيين وعمر المختار والذين كانوا لا يمتلكون فى مواجهة القوى المسيحية الاستعمارية إلا القليل من الأسلحة والذخائر والكثير من الإيمان، ولقد استطاع هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله أن يتعبوا القوات الإيطالية التى استخدمت ثقل جهازها الحربى لاقتلاع شعب من أرضه وإبعاده إلى جوف الصحراء فى إطار حرب إبادة بربرية وحشية لم يعرف لها التاريخ مثيلاً حتى فى غزوات المغول التتار.

وجد موسولينى فى خضم الاضطراب السياسى الذى شهدته أوروبا بعد وصول هتلر إلى الحكم، الفرصة السانحة لاحتلال الحبشة عام 1936 وفى

7/ 4/ 1939 احتلت إيطاليا مملكة ألبانيا الصغيرة واحتلتها بعد مقاومة عنيفة أبداها الشعب الألبانى الباسل. ولكن ما القدرة الحقيقية لهذا الجيش الكبير فى مواجهة متطلبات الحرب الحديثة؟ لقد كانت دبابات الإيطاليين ومركباتهم المدرعة خفيفة جدًا وكانت قدرة محركاتها ضعيفة، كما كانت مدفعية الإيطاليين من إنتاج الحرب العالمية الأولى ولا ترعى إلا لمسافة قصيرة، ولم يكن لدى الجيش الإيطالى إلا القليل من المدفعية الحديثة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات وحتى بواريد هذا الجيش الاستعمارى؛ ومدافعه الرشاشة كانت من النماذج القديمة وكان معظم الجيش الإيطالى فى ليبيا مكونًا من المشاة الذين نظموا لاحتلال مواقع دفاعية ثابتة ومراكز محصنة وكان مثل هذا الجيش قادرًا على فرض سيطرته ضد سكان عزل. غير أنه كان يفتقر للقدرة على الحركة السريعة والتى تتناسب مع طبيعة الصحراء الشاسعة.

أعدت إيطاليا قواتها فى يونية 1940 أى بعد مشاركتها بالهجوم على فرنسا وكانت هذه القوات تتكون من: 4 فرق مشاه، 2 فرقتين من ذوى القمصان السوداء، 2 فرقتين من جنود المستعمرات، 8 كتائب مدرعة، وكان مجموع أفراد هذه التشكيلات حوالى ربع مليون جندى وجعلت كلها تحت قيادة المشير "غرازيانى" الحاكم الإيطالى العام فى ليبيا الذى خلف حاكمها السابق المشير "بالبو" الذى كان يستقل طائرة خاصة ولما حلّقت فون طبرق أسقطتها خطأ مدفعية مقاومة الطائرات الإيطالية يوم 30/ 9/ 1940، وعندئذ ادعى الإيطاليون أنه قتل فى اشتباك جوى مع الطائرات البريطانية.

و"غرازيانى" هو رودولنو "Razianl Rodol fo-" مارشال إيطالى 1882 - 1942 تعين عام 1930 لإخماد ثورة ليبيا فقمعها بوحشية حتى لقب بسفاح ليبيا وهو الذى أمر بإعدام الشهيد عمر المختار ولكل أبناء الشعب العربى الليبى ثم أنه

قاد الحملة الإيطالية الناجحة على الجيش فحاز شهرة واسعة باعتباره أحسن عسكرى إيطالى آنذاك وعين عام 1936 نائبًا لملك الحبشة فرئيسًا لهيئة الأركان الجيش الإيطالى 1939 - 1941 وبرغم ذلك فإنه كان يفتقر للكفاءة العسكرية غير أن البريطانيين فى مصر لم يكونوا يمتلكون فى هذه الفترة ما يكفى من القوات للدفاع عن وادى النيل.

يقول رومل فى مذكراته:

- تسليح الجيش عتيق والمشاة مترجلة:

ألقى الدوتشى فى فبراير1941 خطابًا قال فيه أن إيطاليا أرسلت إلى ليبيا جيشًا قوته ثلاثمائة وسبعة وعشرون ألفًا من الجنود وأربعة عشر ألفًا من الضباط وقد تم إمداده بكميات ضخمة من العتاد فى الفترة ما بين 1936، 1940، وهذا الخطاب يوحى بالعظمة والجبروت، ولكن الحقيقة العارية أن هذا الجيش لم يصل بأى حال من الأحوال إلى المستوى الذى تتطلبه الحرب الحديثة، (لأنه كان معدًا ليواجه حركات تمرد القبائل فى المستعمرات والتى خاض غمارها جوازيانى ضد السنوسيين والنجاشى)، فكانت دباباته وعرباته المدرعة خفيفة التدريع ومحركاتها ضعيفة ومدى عملها قصير، أما المدافع الموجودة بوحدات المدفعية فكان تصميمها يرجع لحرب 1914 - 1918 ومرماها قصيرًا، علاوة على ذلك افتقر هذا الجيش للمدفعية المضادة للدبابات والمضادة للطائرات، أما أسلحته الصغيرة فكانت من أنواع عتيقة لا تلائم ظروف الحرب الحديثة.

وكانت الطامة الكبرى أن أغلب وحدات الجيش من المشاة التى تسير على الأقدام، (غير المحملة)، وهذه القوات المترجلة تصبح غير ذات قيمة إذا واجهت عدوا ميكانيكيا، وخاصة فى صحراء شمال أفريقيا، لأن القوات

الميكانيكية تستطيع فى كل المواقف الاشتباك فى المعارك التصادمية ثم القيام بحركات تطويق نحو الجنوب، بينما لا تستطيع التشكيلات المترجلة منعها من القيام بمثل هذه العمليات وذلك لأنها بطيئة الحركة وتصلح فقط للدفاع فى المواقع المجهزة. وقد ثبت أن التفوق فى الحرب الميكانيكية عمومًا يكون فى جانب الطرف الغير مقيد بأى قيود من الناحية التكتيكية (كأن تكون قواته مترجلة). ونخرج من كل هذا بأن العيب الرئيسى لجيش جرازيانى الإيطالى (أثناء مقاتلته للبريطانيين) انحصر فى أن أغلب تشكيلاته كانت مترجلة وغير محملة[1].

تلقى الجنرال غرازيانى فى يونية 1940 مهمة الانتقال إلى الهجوم كان يملك وقتًا كافيًا لانتظار الأسلحة التقنية والتموينات ولم يبدأ هجومه إلا بتاريخ 13/ 9/ 1940 بأمر قاطع من موسولينى، وهاجم بقوات مؤلفة من 7 فرق و7 كتائب دبابات و300 طائرة وكانت المخابرات الإيطالية تعلم بوجود فرقة مدرعة وفرقة هندية وفرقة نيوزلاندية ولكنها ضعف تعدادها وكان تعدادها وكان من الضرورى الاستيلاء بأسرع ما يمكن على المرفأ الأول وهو مرسى مطروح فى أرض الخصم كى تتاح فرصة نجاح جدى للإيطاليين؛ ولم تكن القطاعات الإيطالية تملك بعد تجربة المناورة فى الصحراء على جبهة واسعة وأهملت القيام بحركة التفاف واسعة من الجنوب "للأرض الوعرة" وانسحب البريطانيون بمهارة إلى خطوط دفاعية متتابعة أمام قوات متفوقة عليهم من الناحية العددية وكبدوا خصمهم بعض الخسائر دون أن يتورطوا وذلك عندما اجتازت القوات المسلحة الإيطالية الحدود الليبية – المصرية بكل حذر على "البردية" "فالسلوم" وتابعت تحركاتها على الساحل حتى "سيدى

---

(1) مذكرات رومل – تحقيق ب جـ. ليدل هارت تعريب فتحى عبدالله ص 2.

براني"، إلا أنها بدلاً من الاستمرار على التقدم توقفت عند ذلك الموقع وباشرت بإنشاء تحصينات دفاعية جنوب المدينة. اهتم غرازياني عندئذ بإصلاح طريق الصحراء الوحيد وبإقامة "خط للأنابيب لجلب المياه كما نشر فرازياني جيشه بين عشرة من المعسكرات على جبهة عرضها 45 كم وعمقها 55 كم بأنظار الوسائل التي طلبها بيد أن إدراة المخابرات نجحت في اكتشاف ثغرة عرضها أكثر من 20 كم بين معسكري "نيبيفا" و"رابيا" وتمكنت من تحديد نقطتها الضعيفة على الواجهة الخلفية ومخرجها المخصص للدبابات وخلافًا لهذه المعلومات غير مؤكدة فيما يتعلق بعدد القوات الإيطالية وقد فقدت القيادة البريطانية أهميتها في حين بلغت 5 فرق أمام المنطقة وفرقتين في المؤخرة.

أما القوات البريطانية التي كانت بمواجهة تلك التشكيلات الإيطالية فكان قوامها 36.000 ألف جندي في مصر، 27.000 ألف جندي في فلسطين وهي موضوعة تحت قيادة الشرق الأوسط التي كان قائدها الفريق الأول سيرا "رشيبالد ويفل".

يقول رومل في مذكراته ما يلي:

الإداريون يعملون على أسس نظرية:

بدأ جيش جرازياني تحركه في سبتمبر 1940 في وقت لم يكن لدى البريطانيين أي قوات تستطيع إيقافه قبل الإسكندرية، وبدأت التشكيلات الإيطالية تحركها من منطقة البردية وعبرت الحدود المصرية عند السلوم ثم تقدمت على الطريق الساحلي إلى سيدي براني ولم تحاول القوات السائرة البريطانية الضعيفة صد التقدم أو الدخول في معركة حاسمة وإنما انسحبت بمهارة نحو الشرق أمام التقدم الإيطالي وبعد وصول جرازياني لسيدي براني،

لم يستمـــر فى التقدم، وإنما أخذ يعزز المنطقـة التى احتلها ويمد طريقًا مـعبدا بجـوار الساحل، ثم بـدأ فى إنشاء قـاعدة له هـناك، مع تخزين الإمـدادات وإحضار التعزيزات وتنظيم موارد المياه، وكان ينوى متابعة الهجوم نحو الشرق من هذه القاعدة الجديدة.

ترك جرازيانى تنظيم الشـئون الإدارية والمستخدمين المـدنيين يفعلون كل شيء بأسلوبهم النـظرى فى الإمداد فـأدى هذا إلى الإبطاء إلى حـد خطيـر. وذلك لأن الإداريين يميلون للعمل على أسس نظرية ويقـيمون كل تقديراتهم على أسس ثابتـة ولا يرضون إلا بالمسـتوى الذى يحـققه هذا الأسـلوب وقد يؤدى إلى كارثة مـروعة، لأنه لو وجـد رجل فى الجانب المضاد ينـفذ خططه بأسلوب أكثر اندفاعًا وأكثر نشاطًا، فسوف يسبق الخصم وفى مثل هذا الموقف يجب على القائد أن يكون عنيفًا للغاية ويفـرض على الجميع أن يبذلوا كل ما فى وسـعهم؛ ولو وجـد شخـصًا فى منصب قـيادى يبـدو عليه أنه لا يـقوم بالمطلوب أو لا يتميز بإدراكه العملى للموضوعات التنظيمية فيجب منذ البداية إعفـاؤه على الفور من مهـام منصبه ويجب على القـائد أن يعوِّد هيئـة أركان حربه على العمل بسرعـة وأن تحافظ على سرعتها باستمـرار ولو سمح لنفسه (ولو مرة واحدة) بالمستـوى المعتاد أو ما هو أقل من أقصى مجـهود للجميع، فإنه بذلك يتنازل منذ البداية عن تفوقه فى السباق، لأنه بعد ذلك بوقت قصير سيتلقى درسًـا مريرًا على أيدى عدوه الأكثر سرعـة، وسيضطر عندئذ التنازل عن أى جمود يشوب أفكاره[1].

استغل البريطانيون فترة الهدوء هذه وضاعفوا غاراتهم الجوية التى كانت فوق ذلك متواضعة إلى حد كبـير ومقتصرة فى الغالب على طائرة واحدة فى

---

(1) مذكرات رومل - تحقيق ب جـ. ليدل هارت تعريب فتحى عبدالله ص3.

كل طلعة وجسدت هذه الغارات جهدًا هائلاً لأن معركة بريطانيا كانت مستمرة فى تلك الفترة ومن سبتمبر إلى ديسمبر 1940 نجح البريطانيون فى شحن 213 طائرة إلى الحدود الغربية فى مصر قرب الجبهة مع القوات الإيطالية وتضم 87 طائرة حربية بريطانية من نوع «ماريكان» و85 طائرة من نوع «بلنهايم». كما زرعت البحرية الملكية البريطانية الألغام أمام بنغازى وقصفت بعض النقاط الساحلية. وكان الجنرال البريطانى «أوكونور» قائد «قوة الصحراء الغربية» يملك فرقتين فقط وهما، الفرقة 4 الهندية و«الفرقة المدرعة 7» ومجموعة سبلى 1800 رجل، وأصبح لدى القوة الجوية البريطانية التى عززت بعملية جريئة من عدن ومن السودان ودلتا النيل إذ لم يبق فى هذه المنطقة خلال خمسة أيام من القوات الجوية البريطانية بعد ذلك من طائرتين، حيث ارتفع العدد إلى 48 طائرة قتال و116 قاذفة قنابل بالإضافة إلى سربين مختلطين من طائرات المطاردة والاستطلاع. وكانت هناك مخاطر كثيرة فى مجال الشئون الإدارية و«اللوجستيكية» إذ كانت المسافة من قاعدة الانطلاق حتى الأهداف الأولى تساوى 160كم ومن 11 من نوفمبر إلى 4 من ديسمبر 1940 أقامت 300 سيارة نقل و3 سرايا صيانة على بعد 60كم إلى الغرب من مرسى مطروح وفى منطقة تشرف عليها الدوريات مستودعين كبيرين مجهزين بمؤن ومحروقات وذخائر تكفى لمدة خمسة أيام وماء يكفى ليومين بمعدل 2 لتر للرجل الواحد و4 لتر لكل مبرد سيارة.

يبلغ الجنرال "ويفل" - Wavel, sir Arvchibacd Perrciv Al 1883 - 1950 من العمر 85 عامًا. القائد العام فى الشرق الأوسط منذ عام 1939 وكانت مهمته تنسيق استخدام بعض القطاعات المنتشرة بين مصر والسودان وفلسطين وشرق الأردن وقبرص والعراق وعدن والصومال والخليج العربى يعاونه قائد عام القوات البحرية فى البحر المتوسط وبقى الإشراف على

البحر الأحمر والمحيط الهندى موكلاً إلى القائد العام "شرق الهند" وله ممثل في القاهرة وكانت القيادة العليا بهذا الشكل مؤلفة من ثلاثة قواد لهم مسؤولياتهم المتكافئة وتتبع بشكلها هذا لجنة رؤساء الأركان وكانت تملك "هيئة تخطيط مشتركة" ومركز استعلامات مشترك "ويقصد بمشترك هنا وجود ممثلين من ضباط أركان القوات الجوية والبرية والبحرية؛ وخدم "ويفل" فى جنوب أفريقيا والهند قبل الحرب العالمية الأولى ثم أمضى معظم خدمته فى العالم العربى وأصبح قائدًا أعلى للقوات البريطانية 1939 - 1941 فقاد معارك اليونان وكريت والحبشة وكينيا وسوريا والعراق ثم حملة الصحراء ضد "غرازيانى" . لم تكن علاقته جيدة بتشرشل فنقل إلى الهند بدلاً من "أوكنلك" - "Auchinl Eckls" الذى حل محله فى قيادة قوات الشرق الأوسط، وخاصة ضد اليابانيين صراعًا مريرًا فى الهند المصينية فى "بورما" وأصبح نائب ملك الهند عام 1943 وبقى فى منصبه هذا حتى عام 1947 واشتهر بكفاءته القيادية العليا وبمؤلفاته التى صدر منها "فلسطين 1928" و"اللنبى 1940" و"القادة والقيادة 1941" والجنرال اللنبى فى مصر 1943، وكانت تشكيلات القوات البريطانية على حدود مصر مؤلفة من: الفرقة 7 المدرعة، فرقة المشاة 4 الهندية، فرقة المشاة النيوزيلندية، وكانت هذه القوة بقيادة اللواء" "ريتشارد أوكونر" وكان أول قرار للجنرال ويفل عدم الشروع بهجوم فى ليبيا إلا بعد ضمان أن القوافل فى البحر الأحمر.

رغم عدم اشتباك القوات الإيطالية فى معركة حاسمة ضد القوات البريطانية، فإن القائد الإيطالى "غرازيانى" شرع فى استقدام قواته وحشدها فى هذه القاعدة المتقدمة مع تكديس كميات كبيرة من الإمدادات ومرت الأسابيع والشهور وغرازيانى لم يتحرك مما أتاح لقائد حازم مثل و"يفل" أن

يعيد تنظيم قواته وأن يحشد ما تلقاه من دعم فى "مرسى مطروح" وبالرغم من بقاء جيشه ضعيفًا جدًا فى عدد أفراد قواته وذلك بالمقارنة مع الإيطاليين إلا أن تسليحه كان أفضل بكثير من الإيطاليين.

يقول رومل:

جمود جرازيانى فى سيدى برانى:

مرت الأسابيع والشهور وما زال جرازيانى جامدًا فى موقعه عند سيدى برانى ولذلك توفر لأعدائه البريطانيين (الذين تميزوا بالذكاء والمثابرة) الوقت ليستعدوا لمواجهة أى تقدم آخر للإيطاليين مع تجهيز دفاع جيد عن مصر، فحشدوا القوات من كل أنحاء الإمبراطورية البريطانية، والأهم من ذلك إحضارهم للقوات الميكانيكية (وكان ضمنها مدرعات كثيرة) إلى الجبهة فى مصر وكانت المدرعات البريطانية متفوقة للغاية على المدرعات الإيطالية من حيث النوع والتسليح والسرعة. وبالرغم من أن الجيش البريطانى كان أقل بكثير من الجيش الإيطالى فى العدد إلا أنه كان أفضل فى العتاد، (فالطيران الذى يعاونه كان أفضل، ودباباته أحدث وأسرع وأقوى، ومدفعيته أقوى، وأهم من هذا كله كانت قواته الضاربة كاملة التحميل وكان الأسطول البريطانى مسيطرًا على غرب البحر الأبيض المتوسط، ولم تحاول سفن الأسطول الإيطالى لمنازلته (بالرغم من تفوقها عليه عدديًا).

أخيرًا كان البريطانيون (طوال الحرب فى شمال الصحراء المصرية كلها)، يسيطرون على الخط الحديدى الموجود على الساحل حتى مرسى مطروح، وهذا أمر شديد الأهمية، لأن هذا الخط مرتبطٌ بباقى شبكة السكة الحديد فى مصر، وبذلك أمكن استخدامه فى إحضار العتاد للجبهة. وعليه أمكن استخدام مصر كترسانة للعتاد الحربى بكل أنواعه.

نهاية نوفمبر بدأ الجنرال ويفل هجومه فجأة "بدأ الهجوم الفعلى يوم 9 ديسمبر" وقد مهد الطيران للهجوم، فقامت كل طائرة متيسرة للبريطانيين (من كل الأنواع) بضرب المواقع الإيطالية فى سيدى برانى ومطاراتهم الأمامية وفى نفس الوقت قامت الطرادات البريطانية بضرب سيدى برانى والطريق الساحلى من البحر. وبدأ الهجوم فى ضوء القمر بعملية التفاف على المواقع الإيطالية فى سيدى برانى بواسطة قوة ضاربة مكونة من عناصر بريطانية وأسترالية وفرنسية وبولندية وهندية، وكانت كل وحداتها كاملة التحميل، وبعد قتال قصير أمكنها التغلب على المواقع الإيطالية (التى تقع على مسافة خمسة عشر ميلاً جنوبى سيدى برانى)، وأسرت 2000 من الإيطاليين.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"كان الجزء الأكبر من القوات المهاجمة قوات بريطانية أما أغلب القوات الباقية فكانت قوات هندية، وهذه القوات البرية تتكون من الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الرابعة الهندية ووحدات بريطانية ولواءين مشاة بريطانيين"، وكان مجموعها 31 ألفًا من الجنود، أما القوات الإيطالية الموجودة فى الجبهة فكانت حوالى 80 ألفًا، يساندها 120 دبابة فقط فى مواجهة 275 دبابة بريطانية ضمنها 35 دبابة ثقيلة من طراز مانيلدا (وهى الكتيبة السابعة دبابات). وأثناء الهجوم الابتدائى ضد معسكر نبيوه أمكن أسر 4000 وليس 2000 كما يقول رومل، ثم استمرت الفرقة الرابعة الهندية، فى تقدمها شمالاً وأمامها الكتيبة السابعة دبابات وأخذت تهاجم القوات الإيطالية فى سيدى برانى نفسها".

يتابع رومل مذكراته فيقول:

ثم انقسم القول المحمل البريطانى إلى قسمين استمر الجزء الأول فى هجومه شمالاً ضد منطقة سيدى برانى، بينما اندفع الجزء الآخر نحو الغرب ومؤخرة الإيطاليين.

يعلق ليدل هارت فيقول:

"هذا الجزء يتكون من الفرقة السابعة المدرعة وقد تحركت فى الواقع منذ البداية وهى منفصلة".

يتابع رومل كتابة مذكراته فيقول:

تقدمت المشاة البريطانية من الشرق تساندها الدبابات الثقيلة وأخذت تهاجم المواقع الإيطالية فى سيدى برانى، وكان ذلك يتمشى من الناحية الزمنية مع القوات الملتفة القائمة بالهجوم من المؤخرة، ومرة أخرى تدخلت الطرادات البريطانية بمدافعها الثقيلة فى المعركة، وانقض كل هذا على الإيطاليين مثل الصاعقة، وفى نهاية الأمر، أبيدت تماماً الفرق المشاة الثلاث الإيطالية الموجودة فى منطقة سيدى برانى، واستمر ويفل فى هجومه ولكنه بعد ذلك بوقت قصير اصطدم مع فرقة "القمصان السوداء" التى استسلمت بعد معركة قصيرة، ولكن الإيطاليون أظهروا شجاعة عظيمة وفى يوم 16 ديسمبر وصل ويفل إلى حدود ليبيا وهزم قوات جرازيانى فى كابوتزو[1].

لم تكن دبابات "I" قد واجهت الصحراء بعد ولم تكن المشاة تملك سوى ناقلات "برين" ورشاشات و"هاونات"، وكان البريطانيون يتداركون نقص الأسلحة وعدم كفايتها بالمفاجأة وبإخفاء التحضيرات وبإشاعات تطلق

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 6.

عن إرسال قوات إلى اليونان وبمضاعفة أعمال الإزعاج فى منطقة المعسكرات لجعل خصومهم يعتقدون بأنها عمليات تجرى بصورة مطردة، حتى أن سياسة "التضليل" امتدت إلى القيادة البريطانية فلم يكن "ويفل" يتحدث إلا عن غارة لمدة خمسة أيام وأرسل الأمر الأول والوحيد إلى أكونور بتاريخ 5 ديسمبر ونقل البن بتاريخ 6 ديسمبر يوم بدء الحشد على ارتفاع المستودعات الأمامية. وعلمت الوحدات أخيرًا بتاريخ 7 ديسمبر أن الهدف شيء آخر غير التمارين وسمحت المسيرات الأولية التى تمت ليلاً بانضباط رائع بجمع جزء من القوات على بعد 10 كم فى الجنوب الغربى من معسكر "نيبيقا" فى مؤخرات العدو. وقد فوجئ بذلك الركن الشمالى الغربى من المعسكر بتاريخ 9/12/1940 فى الساعة 7,15 إذ انطلقت نيران 72 مدفعًا وقام هجوم للدبابات اخترق المنطقة ودخلها.

وبعد أقل من أربع ساعات كان المعسكر قد تم الاستيلاء عليه ووقع 2,000 رجل بالأسر مقابل خسارة 52 من الجانب البريطانى، وهوجم معسكر آخر تحت ستار عاصفة رملية كانت تحجب كل التحركات؛ ولكن المعسكر قاوم مدة أطول وزج جميع طائراته أقدمها وأحدثها فى إغارة مباغتة على المطارات الإيطالية المتقدمة وعلى قاعدة "سيدى برانى" وقامت مدافع السفن الحربية بقذف قنابلها الثقيلة لتغطية سيدى برانى والطريق الساحلى؛ وانطلقت القوات البريطانية مستفيدة من ضوء القمر فتوغلت داخل الخطوط الدفاعية الإيطالية ووصلت إلى نقطة دفاعية قوية تبعد 24 كيلو مترًا إلى الجنوب من "سيدى برانى" فاستولت عليها وأسرت أربعة آلاف إيطالى فى "نبوه" كان معظم قوات الحملة من البريطانيين ومعهم قسم كبير من الهنود - الفرقة الرابعة - مع فصائل من قوات بولونية وفرنسية ومجموعها 31 ألف مقاتل

ومعها 275 دبابة منها 35 دبابة "ماتيلدا" حديثة جدًا فى حين كانت قوات الإيطاليين فى قطاع الهجوم تزيد على 80 ألف جندى ومعهم 120 دبابة فقط. وقد قسمت القوة البريطانية إلى رتلين توجه أولهما إلى سيدى برانى فى الشمال بينما توجه غربًا للوصول إلى مؤخرة الإيطاليين، الفرقة البريطانية السابعة التى وصلت إلى "يقبق" وقطعت الطريق الساحلى فى حين كانت الفرقة 7 المدرعة احتلت موقع "بيكادلى" فقد دأب البريطانيون على تسمية العوارض التى يجهلون أسمائها بأسماء إنجليزية تسهيلاً للتعرف عليها، وكان تقدم الدروع البريطانية سريعًا لدرجة أن وصلت معها فى مساء ذلك اليوم بالذات إلى "طومار الغربية" ورافق عملية الهجوم على سيدى برانى إنزال للقوات وقصف جوى وقصف بحرى.

استمرت المعارك بتاريخ 10/ 12/ 1940 لتطويق "سيدى برانى" ولكن فى 11/ 12 انتهى كل شيء وكانت النتيجة أن خسر الإيطاليون 28.000 أسير و37 دبابة و227 مدفعًا؛ وخسر البريطانيون مقابل ذلك 624 رجلاً فدمرت الفرق الإيطالية المتمركزة فى "سيدى برانى" تدميرًا تامًا وتلاشت كما تتلاشى أوراق الأشجار الميتة عندما تهب عليها عواصف الخريف العاتية.

تابعت القوة البريطانية تحركها فاصطدمت بفرقة إيطالية من فرق القمصان السوداء واشتبكت معها فى معركة ضارية غير أنها سرعان ما دمرت هذه الفرقة ووصلت القوة البريطانية إلى "كابوزو" يوم 16/ 12/ 1940 فسحقت القوات الإيطالية فيها واستسلم 38 ألف جندى إيطالى وغنم البريطانيون أيضًا 50 دبابة و400 مدفعًا، وخسر البريطانيون 500 قتيلاً. وانسحب القسم الأكبر من القوات الإيطالية إلى داخل الأراضى الليبية إلى "البردية" و"طبرق" وزال من الوجود الجيش الإيطالى "العاشر"، ووصلت

الفـرقة البـريطانيـة السابـعة إلى "البـردية" يوم 19/12/1940 وشرعت فى تطويقها، ولما كانت الفرقة الهندية الرابعـة قد أرسلت إلى السودان بعد معركة "سيدى برانى" فقـد وقع عبء الحصار على الفرقة الأستـرالية السادسة التى وصلت حديثًا وقامت بالهجوم على "البردية" يوم 3/1/1941 وبعد ثلاثة أيام من القتال اقتحم الأستراليون البردية وأسروا 45 ألف جندى و462 مدفعًا وتابع البـريطانيون تقـدمهم وهكذا فـقدت إيطاليـا خلال أيام قـلائل زهاء 8 فرق واندحرت قواتها الباقية متراجـعة نحو الغرب على امتداد الساحل الليبى، أما القوات البريطانية فقد وجدت نفسها وقد امتدت خطوط أداتها فاضطرت على التوقف عن المطاردة وفى هذه الأثناء تأزم الموقع البـريطانى فى اليونان لدرجة اضطر معـها الجنرال "ويفل" على إرسال قسم من قطاعـاته إلى اليونان ومع ذلك كله فقد أقدم الجيش البريطانى فى مواصلة زحفه فوصلوا إلى طبرق يوم 8/1/1941 وشرعـوا فى مجـابهة دفاعـتهـا الحصينة واسـتمـر الصراع طوال أسبوعين حـتى إذا ما كان يوم 21/1/1941 قامت الفـرقة البريطانية السـابعة المدرعة والفرقـة الأسترالية السادســة مشاة ميكانيكية بالانقـضاض على طبرق وانهارت مقـاومة الإيطاليين فاستسلم مـنهم للبريطانيين 36 ألف جندى وغنم البريطانيون 236 مدفعًا.

أخلى الإيطاليون "درنة" فـاحتلتها القوات البـريطانية يوم 30/1/1941 ثم تابع البريطانيون تـقدمهم واستولوا على "المخليـة" بعد اشتباكات قـصيرة وحاسمة مع الإيطاليين، وتقدم البريطانيـون بسرعة رغم صعوبة التحرك على أرض وعرة فوصلوا إلى "بنغازى" يوم 7/2/1941 واستولوا عليهـا فيما كان رتل بريطانى يتحرك بسرعة وصل إلى مسافة 50 كيلو متر إلى الجنوب الغربى من بنغازى ودارت معـركة عند "فم البيضـاء" أمكن حسمها بسـرعة لمصلحة البـريطانيـين الذين أسـروا 20 ألف إيطالى و216 مـدفعًـا و120 دبابة وفى

9/ 2/ 1941 احتل البـريطانيون "العقلة" وتوقـفوا عن مواصلة التـقدم خشـية امتداد خطـوط تموينهم إلى درجة تهدد وجودهم بالرغم من عـدم وجودد أية مقاومـة إيطالية ووصلت القوات البريطانية إلى الحـدود الفاصلة بين برقة عن طرابلس، وبـذلك زال جـيش "غـــرازيانى" مـن الوجـود ولم يـبقَ منه إلا مجموعات من الجنوب الذين تخلوا عن أسلحتهم وأخذوا فى التماس الطريق نحو الغرب فيما كـانت عربات نقل الجند تتناثر على أطراف الطرقات، وكان مجموع غنائم البـريطانيين قد ارتفع إلى 130 ألف أسير و1.300 مدفعًا و400 دبابة.

مما لا شك فيه أن هزيمة القوات الإيطاليـة السريعة فى سيدى برانى فى 12/11 تعزى إلى عدم نباهة قـادة الفرق الأمامية الإيطالية وإلى عدم اسـتثمار المعلومـات التى قـدمـتهـا القـوات الجـوية الإيطاليـة التى دلت على وجـود التحضيرات البريطانية وتعزى هذه الهزيمة أيضًا إلى انتقاص جراة الخصم وإلى التخـلف التقنى الملحـوظ فى الوحدات المدرعـة الإيطالية وعـدم تكيفـها مع الحرب فى الصحراء وترجع أهمية معركة "سيدى برانى" لأنها المعركة الأولى التى فرضت نفســها على وضع القوات الإيطالية لأن الانتبـاه بعد هذه الحرب انتقل فقط إلى معـركة العلمين وإلى قائدها "مونتغمـرى" على حساب القادة الذين سبقـوه والذين حصلوا بوسائل تكاد لا تذكر إذا مـا توفر لديه هو على النتائج الباهرة ذاتها.

لأن "ويفل" استطاع بعـد هذا الانتصار وبفرقـتين فقط وهما الـفرقة 7 المدرعة "جرذان الصحراء" والفـرقة الأسترالية 6، متابعة الاندفاع إلى الغرب بعد أن حـسن الإمكانيات الإدارية بـالاستيـلاء على السلوم 12/16 التى كان إعدادها طويلاً، وقد فرض الافتـقار إلى الماء وضرورة جلب الذخائر وتقريب

القواعد الجوية فترة توقف، واستولت الفرقة الأسترالية 6 على "بردية" فى ثلاثة أيام قتال من 3 إلى 6 من يناير 1941 ولم تسقط إلا يوم 22/1/1941 وخسر الجيش الإيطالى أيضًا الذى جرى قتال التلاقى معه 20.000 رجل بينما لم يكن لدى الفرقة 7 المدرعة التى تقوم بهذه المطاردة سوى 3.000 رجل و32 دبابة "كروزادر" ووصل البريطانيون بتاريخ 8/2/1941 إلى "العقيلة" على حدود ولاية طرابلس وكان يبدو أنه ليس هناك أى شىء بوسعه أن يوقف هذه المسيرة إلى طرابلس.

وكان باستطاعة "ويفل" متابعة تقدمه للقضاء على بقية الوجود الإيطالى فى طرابلس، ولكن تشرشل أصدر أوامره إلى "ويفل" بإيقاف الهجوم من أجل إرسال فيلق إلى اليونان لتهدئ القوات الألمانية فى البلقان؛ ونقل و"يفل" إلى الهند وحل محله "أوكنلك" وحرم "ويفل" من قطف ثمرة هجومه غير أن ما حققه من انتصارات كان كافيًا لترك دوى هائل فى العالم فقد تم إبعاد الخطر الإيطالى عن مصر وبات موقف موسولينى حرجًا للغاية حتى أن هتلر خاف من خروج إيطاليا من الحرب. وعقد صلح مع البريطانيين المنتصرين وكان لابد لألمانيا من التحرك بسرعة لإنقاذ الموقف المتدهور على رمال الصحراء الليبية. وكانت القوات الإيطالية التى فى مستعمراتها من فرق المشاة الراجلة المحرومة من أية قدرة على التنقل السريع. أما القوات الآلية المؤلفة من 3 فرق مشاة منقلوة بالسيارات وفرقتين آليتين وفرقتين مدرعتين فقد بقيت فى إيطاليا احتياطيًا لمساحة أوروبا ولو أنها لم تكن بمستوى التشكيلات الألمانية أو البريطانية.

القوات البحرية الإيطالية:

لم تكن للإيطاليين خطة واضحة أو استحضارات مدبرة تسهل لهم تنفيذ نواياهم وإنما كانوا ينفذون رغبات موسولينى الآنية التى يتخذها وفق تصوراته للموقف الدولى دون تقييم دقيق لقدرات قواته المسلحة التى كانت تفتقر للاستعداد القتالى وللمعنويات، وقد تبين من الوثائق التى كشفت بعد الحرب أن موسولينى كان يبغى احتلال جزيرة مالطة بهجوم سريع آخر من ليبيا لاكتساح مصر والوصول إلى قناة السويس وبذا سيقطع شريان المواصلات البريطانية مع الهند والمشرق الإسلامى والعربى ويقضى على السيادة البحرية البريطانية ليس فى حوض البحر المتوسط فحسب وإنما فى شرق أفريقيا، ولما كان القسم الأكبر من قطع الأسطول البريطانى مشغولاً بالدفاع عن الجزر البريطانية، فقد أصبح الأسطول الإيطالى متفوقًا على الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط عدديًا حيث لم تتيسر للأسطول البريطانى سوى مجموعة بحرية متواضعة من ميناء الإسكندرية وقوات ضعيفة فى جزر مالطة وقبرص وكريت وقوة دفاعية تسيطر على موضوع جبل طارق أما القوات البحرية الإيطالية فى البحر المتوسط فكانت تتألف من القطع البحرية التالية:

7 سفن حربية ثقيلة 72 درعات ثقيلة، 15 دراعة خفيفة، 55 مدمرة، 68 زورق طوربيد 111 غواصة، 13 زورق لبث الألغام، 43 زورق لكسح الألغام 1 حاملة طائرات قديمة، بالإضافة إلى وجود سفينتين حربيتين ثقيلتين و12 دراعة أخرى قيد الإنشاء، وقد علقت ألمانيا آمالاً كبيرة على هذه القوة البحرية الضخمة فى السيطرة على البحر المتوسط والقضاء على الوجود البحرى البريطانى فيه وبالتالى قطع سبل المواصلات البحرية التى تربط بريطانيا بمستعمراتها.

لما كانت البحرية الإيطالية شأنها شأن البحرية الألمانية تفتقر لحاملات الطائرات الضرورية لنصب مظلة جوية فوق أسطولها فإنها أصبحت مقيدة بالتنقل بمحاذاة السواحل الكائنة ضمن مجال عمل الطائرات المقاتلة التى تحميها، وقد أدرك البريطانيون خطورة موقفهم منذ بدء الحرب فلجأوا للتحرك بأسطولهم فى البحر الأبيض للتعويض عن ضعفهم العددى وحاولوا الحصول على المبادأة فى الحرب البحرية منذ اليوم الأول لدخول إيطاليا الحرب حيث انطلقت مجموعة بحرية بريطانية - فرنسية يوم 11/ 9/ 1940 بمحاذاة سواحل إيطاليا الجنوبية ثم توغلت فى البحر الأدرياتيكى دون أن يتعرض لها الإيطاليون، وفى 9/ 7/ 1940 تحركت مجموعة من السفن الحربية البريطانية المرابطة فى الإسكندرية إلى جزيرة مالطة فصادفت قوة بحرية إيطالية متفوقة عليها عدديًا وكانت محمية بطائرات إيطالية مقاتلة وهى قريبة جدًا من وطنها ولكنها ما أن تلقت إحدى سفنها قنبلة أصابتها إصابة مباشرة إلا وأنهزم الطليان شر هزيمة، ولما حاولت الطائرات الإيطالية مهاجمة المجموعة البريطانية لم تحقق أى نجاح يذكر، وقد اقتصرت فعاليات الإيطاليين فى هذه الفترة على استغلال تفوقهم النسبى عدديًا لأغراض استطلاع طرق التموين الأمنية الممتدة من الموانئ الإيطالية إلى قواعدهم البحرية فى ليبيا ووجدوا هذه المهمة أكثر سهولة من التعرض على القوة البريطانية الواهنة جدًا التى كانت تدافع عن جزيرة مالطة القريبة من إيطاليا والتى تعذر على بريطانيا الاستفادة منها كقاعدة بحرية بسبب التفوق الجوى الإيطالى الساحق آنذاك.

الخلاصة:

حاولت إيطاليا فى عهد موسولينى استغلال الفرص التى يتيحها لها الموقف الدولى لإنشاء إمبراطورية واسعة فى حوض البحر المتوسط وفى شرق أفريقيا فاحتلت ليبيا والحبشة عام 1936 موسعة وجودها فى القرن الأفريقى

بعد احتلال الصومال وأرتيريا ثم وثبت على ألبانيا الصغيرة فى إبريل 1939 لكى توسع نفوذها باتجاه اليونان لكنها بمحاولاتها هذه أثارت ريبة الدول الاستعمارية الأخرى ذات القدم الراسخة فى تلك الأنحاء مما حدا ببريطانيا وفرنسا إلى متابعة النشاط السياسى والعسكرى لإيطاليا عن كثب تمهيدا لإحباط فعالياتها بعدئذ فادخرت بريطانيا مثلاً إمبراطور الحبشة الهارب هيلاسلاسى لكى تستفيد من نفوذه بالوقت المناسب، وقد كان موسولينى ملأ الدنيا ضجيجًا بخطبه المتسمة بالوعيد وبطش بقوة متناهية بالشعب العربى الليبى كما بطش بعدئذ بأبناء الحبشة والصومال وألبانيا إلا أنه لم يهئ قوة عسكرية توازى مطامعه وتحمى مستعمراته إزاء الدول المسيحية الاستعمارية الكبرى التى صار ينافسها فى مجالات نفوذها وكانت حصيلة الأوهام التى شيدها أن اندحرت قواته فى جبهة ليبيا عند محاولتها التقدم باتجاه مصر وكذلك القضاء على الوجود الإيطالى فى شرق أفريقيا بقوات قليلة نسبيًا، وقاتل الإيطاليون بمعنويات واهنة فى كافة المجالات فقواتهم البرية المتفوقة عدديًا لم تصمد أمام هجمات البريطانيين على الحدود الليبية المصرية وقواتهم البحرية المتفوقة لم تجسر على منازلة القوة البحرية البريطانية الضعيفة فى البحر المتوسط ولم يحاولوا احتلال جزيرة مالطة التى كانت دفاعاتها ضعيفة جدًا واكتفت قوتهم الجوية باستطلاع السبل البحرية الأمنية من الموانئ الإيطالية إلى الموانئ الليبية.

يقول رومل فى مذكراته عن القوات الإيطالية:

- مصرع قائد المدرعات الإيطالية:

والدبابات الإيطالية كانت تتمزق بكل بساطة بفعل النيران البريطانية، وأثناء المعركة سقط ماليتى (قائد المدرعات الإيطالية الشجاع) صريعًا، وأمكن أسر 30 ألفًا من الإيطاليين، وهكذا تم إبادة الجيش العاشر الإيطالى.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"كانت الأعداد الكلية فى نهاية المعركة كما يلى: 38 ألفًا من الأسرى و400 مدفع، و50 دبابة ولم يتكبد البريطانيون إلا 500 من الخسائر فى الأرواح".

يتابع رومل مذكراته فيقول:

وكان من الواضح أن الانتصارات البريطانية أدت إلى إصابة الإيطاليين بالشلل. فانسحبوا إلى حصونهم فى البردية وطبرق، وانتظروا التصرف الذى سيفعله أعدائهم. وفى 19 ديسمبر ظهرت قوات ويفل أمام البردية وبدأت فى حصار المدينة وقامت المشاة الأسترالية العظيمة باقتحام الحصن تحت ستر قنابل السلاح الجوى البريطانى وقذائف الأسطول، وأدى هذا إلى إجبار 20 ألفًا من الإيطاليين على الاستسلام ونجح القائد الإيطالى فى الهروب إلى طبرق.

يعلق ليدل هارت فيقول:

"لم تقم بالمطاردة سوى الفرقة السابعة المدرعة، وهى التى ظهرت أمام البردية لأن الفرقة الرابعة الهندية أرسلت فى نهاية معركة سيدى برانى إلى السودان، وهكذا فقد تأجل اقتحام البردية لحين وصول فرقة مشاة جديدة (السادسة الأسترالية). وأخيرًا انطلق الهجوم فى 3 يناير تقوده دبابات الكتيبة السابعة من الآلاى الملكى للدبابات من طراز ماتيلدة وبحلول اليوم الثالث سقطت القلعة فى أيدى المهاجمين ومعها 45 ألف أسير و462 مدفعًا".

- طبرق لا تصمد سوى أسبوعين:

يتابع رومل مذكراته فيقول:

واستمر الجيش البريطانى فى التقدم نحو الغرب، وفى 8 من يناير 1941

تم حصار طبرق، وبالرغم من دفاعاتها القـوية للغاية وحاميتها المكونة من 25 ألفًا ومعـززة بوحدات مدفعـية قوية ومؤن وفيـرة إلا آن هذا الحصن المنيع لم يصمد سوى أسبوعين فقط، وبعدها انهار الدفاع تحت وطأة الهجوم البريطانى وكان أسـاسه دبابات المشاة، ولم يكن بحـوزه القوات الإيطالية وسـائل دفاع جديدة لمواجهة المدرعات البريطانية الثقيلة.

يعلق ليدل هارت:

"حوصرت طبـرق بالفعل فى 6 يناير بواسطة الفـرقة السابعـة المدرعة ولكن الفرقـة السادسة الأستـرالية لم يكمل حشـدها ولم تستعد للهـجوم إلا بعدها بأسبوعين. وبدأ الهجوم فى 21 يناير، وبحلول الصباح الباكر من اليوم التالى كانت المقاومة قد انتهت تمامًا. وتم أسر 30 ألفًا ومعهم 236 مدفعًا".

- المدرعات الإيطالية تنسحب على الساحل فى مجموعات صغيرة:

يتابع روميل مذكراته فيقول:

وبعد سقـوط طبرق تغلغل البريطانيون فى بـرقة وخاضوا غمـار معارك قصيرة فى درنة والمخيلى، وتقدم القول البريطانى الشمالى بسرعة (وكان على رأسه الأستـراليون)، وذلك بالرغم من صعوبة أرض برقـة (التى تعطى فرصة كـبيرة لـتنظيم الدفـاع عنه). وفى 7 فـبـراير سـقطت بنى غـازى فى أيدى البريطانييـن وفى نفس الوقت اندفع طابور بريطانى مدرع وتقدم عبـر مسوس ولم يلحظ الإيطاليون هذا، وبلغ الساحل عند نقطة تبعد 30ميلاً جنوب غرب بنى غازى واشـتبك ببقـايا جيش جرازيانى (الذى كان يـنسحب على الطريق الساحلى)، وانتهى الاشتباك (الذى كان محوره الطريق) بتدمير 100 عربة قتال مدرعة إيطالية مع أسر 10 آلاف إيطالى.

يعلق ليدل هارت فيقول:

"وفى هذه المعركة بالقرب من بيضاء فم، بلغ مجموع الأسرى 20 ألفا و216 مدفعًا و120 دبابة وأغلبها من الطراز الإيطالى الجديد "الكروزر". وكانت القوة البريطانية مكونة من جزء من الفرقة السابعة المدرعة ولم تزد عن ثلاثة آلاف، ولم يكن معها سوى 32 دبابة. ولكن الدبابات الإيطالية كانت تنسحب على الساحل فى مجموعات صغيرة أمكن تدميرها الواحدة تلو الأخرى بواسطة البريطانيين (الذين نجحوا فى احتلال مواقع ضرب نار جانبية بمهارة بدباباتهم القليلة). ولم تحاول قوات المشاة الإيطالية بعد تدمير عناصرها المدرعة المقاومة جديًا".

السلاح الجوى الإيطالى يفقد أغلب طائراته:

يتابع روميل كتابة مذكراته:

احتلت القوات البريطانية فى 8 فبراير القائدة العقيلة، وبذا وقفت على الحدود بين برقة وطرابلس، وكان جيش جرازيانى قد أبيد تمامًا، ولم يتبقَ منه إلا بعض قوات من السيارات وجماعات من الجنود العزل من السلاح، وكانت تفر بأقصى سرعتها نحو الغرب وامتلأت قلوبهم بالرعب، لأنهم أدركوا أن أسلحتهم أصبحت عديمة الجدوى فى مواجهة البريطانيين، فبلغت خسائرهم 120 ألفًا من الأسرى (لم تدخل فى حسابنا قتلاهم وجرحاهم)، كما فقدوا 600 عربة وكل مدفعيتهم وسياراتهم وعتادهم تقريبًا كما أن السلاح الجوى الإيطالى نزلت به هزيمة قاصمة على أيدى السلاح الجوى البريطانى وخسر أغلب طائراته ومنشآته الأرضية.

يعلق ليدل هارت فيقول:

"إن الأرقـام التى ذكرها روميل فـى مجـموعـهـا الكلى أصح من التى يحددها لكل معركة على حدة، فقد بلغ مـجموعها خلال العمليات 130 ألفا من الأسرى و1300 مدفع و400 دبابة بدون أن ندخل فى حـسابنا السـيارات المدرعة وحمالات مدافع الماكينة".

ضعف عمليات النسف والتعطيل الإيطالية:

يتابع روميل مذكراته فيقول:

وتابع ويفل تقدمـه داخل ولاية طرابلس ولم يقابل أى مقاومـة تستحق الذكر، وذلك بسبب تأثير نجاح هجومه الباهر وخطته العظيمة.

قام الإيطاليون ببث الألغام على الطريق بين العقيلة وسرتة لتعطيل تقدم ويفل ودمروا كبارى عديدة عـبر الوديان، ولكن عمليات النسف هذه لم تعق العدو (لأنه كـان من السهل تفاديهـا)، وأخيرًا احـتلوا سرتة بحرس مـؤخرة ضعـيف مكون من آلاى مدفعيـة مدعم. كمـا جمعوا آلافـًا من الفارين عند هومـز، وتحركت بـاقى القوات الإيطالـية الموجـودة فى الولاية إلى ضـواحى طرابلس نفـسها وإلى الخط الدفـاعى أمامـها وكان الخط الدفـاعى يتكون من نصف دائرة تبعد اثنى عشر ميلاً مـن مركز المدينة. وكان الخط مقامًا فى أرض رملية، ويتكون من خندق مـضاد للدبابات يتميز بالعـمق والاتساع، ولتداعى الأرض الرملية تم تقـويته فى بعض الأجزاء والمواقع الدفـاعية تغطيهـا موانع أسلاك شائكة وبعض أبراج المراقبة المبنية من الأسمنت، ولكنها كانت مكشوفة من مسافـة بعيدة. وبمقارنة دفاعـات طبرق والبردية نجد أن المنشآت الدفـاعية حول طرابلس كانت غيـر ذات قيمة، ويمكن استخدامـها فقط فى الدفاع فى

مواجهة السنوسيين المتمردين أو القبائل، ولكن لم يكن هذا ممكنًا فى مواجهة البريطانيين. ومع هذا توقف العدو أمام طرابلس لأنه اعتقد أنها ستسقط إن آجلاً أو عاجلاً فى يده مثل الثمرة الناضجة وكانت نيته قطعًا كسب الوقت اللازم لإحضار الإمدادات اللازمة للاستمرار فى التقدم. ولكنه بذلك أعطى الفرصة للمحور للاستعداد للاستمرار فى القتال.

يعلق ليدل هارت فيقول:

توقف التقدم بأوامر من الحكومة البريطانية بغرض إرسال قوة تجريدية إلى اليونان لاعتقادهم أن ألمانيا ستهاجم من اتجاه البلقان وفى أوائل يناير ضغط المستر تشرشل على اليونان (وكانوا مشتبكين بالفعل فى حرب مع إيطاليا) لقبول المساعدات العسكرية من بريطانيا، ولكن الجنرال ميتاكساس (الذى كان يرأس الحكومة اليونانية حينئذ) اعتذر عن قبول هذا العرض، لأنه سيتسبب عنه قيام ألمانيا بالغزو، بينما لا توجد أى قوات كافية لمواجهة هذا الغزو.

توافق وصول هذا الرفض المهذب مع سقوط طبرق، وعليه فقد تقرر السماح لويفل بالاستمرار فى تقدمه فى شمال أفريقيا والاستيلاء على ميناء بنى غازى، وأمكن تحقيق هذا الغرض والقضاء على بقايا الجيش الإيطالى فى برقة. ولكن فى نفس الوقت توفى الجنرال ميتاكساس فى يوم 19 يناير وجدد المستر تشرشل عرضه للحكومة اليونانية، التى أمكن إقناعها فى هذه المرة بقبوله، وعليه أمرت الحكومة البريطانية بإيقاف التقدم فى أفريقيا، مع ترك أقل قوة تلزم للاحتفاظ ببرقة وإرسال أكبر قوة ممكنة إلى اليونان.

ولكن هذه المغامرة (التى تمت فى البلقان) كانت قصيرة الأجل فقد بدأت القوة البريطانية فى النزول إلى اليونان فى 7 مارس وغزا الألمان اليونان

فى 6 إبريل واضطر البريطانيون إلى الانسحاب بحـرًا قبل نهاية نفس الشهر، وهذه الكارثة الغالية الثـمن تلتها كارثة أكبر منها فى مـايو، عندما غزا المحور جزيرة كريت بواسطة القـوات الألمانية المنقولة جوًا، فـأدى ذلك إلى انسحاب البريطانيين بسرعة. وكان الجـنرال أوكـونور القائد التنفيذى للتقدم الرائع فى الصحراء المصـرية - الليبية متلهـفًا لمتابعة التقـدم من بنى غازى إلى طرابلس وذلك بعد إتمام تكديس الإمدادات، وكان مقتنـعًا بقدرته على القيام به، وقد شاركه فى الرأى كثير من الضبـاط المسئولين عن العمليات، ويؤكد روملى هذا الرأى أيضًا.

انهيار الجيش العاشر من الناحيتين المعنوية والإدارية:

يتابع روملى مذكارته فيقول:

وعندما يحرز أى قائد نصرًا حاسمًا (ويعتبر انتصار ويفل على الايطاليين اكتساحًا) فمن الخطأ عمومًا أن يقتنع بغرض إستراتيجى محدود: لأن هذه هى فرصته فى استغلال النجاح خلال المطاردة، لأن العدو المهزوم يكون منهارًا من الناحيـتين المعنوية والإدراية فـيسهل أسـر أغلب قواته والاسـتيلاء على أكـبر الغنائم، فالقـوات التى تكون فى حالة انسحاب يسودها الـفوضى فإن لم تتم مطاردتها وإرهاقهـا والاشتباك بها بـاستمرار؛ فإنهـا ستنظم صفوفهـا بسرعة وتعود لتصبح قوة مقاتلة من جديد.

يرجع سبب إيقـاف المطاردة إلى عدم قدرة رئيس الشـئون الإدارية على تنظيم خطوط مواصلاته التى تطول يومًا بعـد يوم، مع تغطيتها بوسائل النقل المتوفرة لديه. إن القائد يهتم بدرجة كبيرة برأى رئيس الشئون الإدارية ويدخل تقـديراته وإمكانيـاته فى الإمـداد، ضـمن العنـاصر الـتى تتـحكم فى الخطة

الإستراتيجية، وعادة رؤساء الشئون الإدارية الشكوى الدائمة من كل صعوبة تقابلهم، بدلاً من الاستمرار في العمل ومحاولة استخدام قدرتهم على الابتكار (وهى فى الغالب حسب رأيى يمكن تقديرها بصفر صحيح) وعادة يقبل القادة الموقف على علاقته ويعدلون خطتهم لتتلائم مع كلام رؤساء الشئون الإدارية.

فى بعض الأحيان قد تؤدى نصائح رئيس الشئون الإدارية إلى التخلى عن المطاردة (بعد أن يكون قد تم تحطيم العدو وتم الحصول على نصر كبير)، وسوف يقرر التاريخ أن هذا القرار كان خاطئًا، وذلك لضياع هذه الفرصة العظيمة وأننا سوف نواجه دائمًا بمثل هذه التقديرات من الضباط النظريين الذين سيسارعون بإبراز الإحصائيات وضرب الأمثلة السابقة المنسوبة لأفراد لا قيمة لآرائهم لإثبات خطأ هذا الكلام. ولكن الأحداث ستبرز لنا عكس هذا، لأنه كثيرًا ما حدث فى الماضى أن انهزم قائد ذو ثقافة عالية على أيدى قائد أقل ثقافة ولكن أقوى إرادة.

- القوات الإيطالية تفقد الثقة فى سلاحها وفى قيادتها:

الأفضل أن يلم القائد بدقة بالإمكانيات الحقيقية لتنظيمه الإدارى، على أن يحدد كل مطالبه تبعًا لتقديراته الشخصية، وهذا سيجبر رؤساء الشئون الإدارية إلى تطوير قدراتهم، (وسوف يظهر تبرمهم، ولكنهم سيتمكنوا من تحقيق أضعاف ما كانوا سيصلون إليه لو تركوا وشأنهم).

وكانت الهزائم الإيطالية الوخيمة متعلقة بمعنوياتهم، لأن القوات الإيطالية فقدت كل ثقة لها فى سلاحها (والحق فى جانبها قطعًا) كما أنها تعرضت لمراكب نقص خطير ظل مسيطرًا عليها طوال الحرب وهو أن الحكومة

الفاشية لم تتمكن من إمداد قواتها في الصحراء الليبية بالعتاد اللازم. ومن الناحية النفسية نجد أنه من سوء الحظ أن تنتهى أولى معارك الحرب بمثل هذه الهزيمة المنكرة، وخاصة قد سبقها تنبؤات ملأها الغرور والفخر، وهذا يجعل من الصعب على الرجال استعادة الثقة فى أنفسهم[1].

انتزع البريطانيون المبادأة من الإيطاليين اعتبارًا من أول أيام إعلان موسولينى الحرب على الحلفاء فتحدوهم فى عقر دارهم بتوغل قطعات بحرية بريطانية فى البحر الأردياتيكى وبدأوهم بالتعرض على الحدود المصرية - الليبية رغم التفوق الإيطالى عدديًا ثم هاجمهوهم فى البحر واستهانوا بهم بشكل سافر طوال فترة الحرب فى كل معركة قاتلوهم بها وكانوا يأسرون فهم آلافًا مؤلفة، وسارت حركات القوات البريطانية بموجب خطط متقنة تم الاستحضار لها بالتدريب الجيد وتعاون القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية وإعداد المتطلبات الإدارية الضرورية مسبقًا مع الاستفادة من السكان المحليين بينما كانت حركات القوات الإيطالية مرتجلة وتنفذ وفقًا لأهواء رئيس وزراء إيطاليا المستبد موسولينى الذى لم يأبه لمشورة الخبراء السياسيين والقادة العسكريين، وفى الوقت الذى كانت القوات المسلحة البريطانية مجهزة بتجهيزات حديثة ذات نوعيات جيدة، كانت القوات البرية الإيطالية مؤلفة من تشكيلات المشاة الراجلة التى تفتقر لوسائط النقلية الحديثة الضرورية للمحافظة على قابلية الحركة فوقع الآلاف من رجالها فى رتبة الأسر بسبب النواقص الإدارية الجمة التى كانت تعترى تشكيلاتهم كما أن القوات البحرية البريطانية عوضت عن صغر حجمها فى البحر المتوسط بالتحرك المستمر والانطلاق من قاعدة إلى أخرى بقصد التعرض على القطع البحرية الإيطالية التى تصادفها،

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 13.

كما دأب موسوليني على تنفيذ خططه في مسارح متعددة متباعدة فعندما تعرض بقوات كبيرة على القوات البريطانية في مصر أصابه اندحار خسر بنتيجته القسم الأكبر من قواته على تلك الساحة فتحول إلى توسيع مناطق نفوذه في شرق أفريقيا ولما اندحرت قواته في تلك الجبهة وأصبحت مسألة القضاء عليها مسألة وقت فتح جبهة جديدة بتقديم قواته من ألبانيا بقصد احتلال اليونان.

تطور الأسلحة والإستراتيجية العسكرية:

سيطر على ظروف المعركة البرية خلال العمليات الحربية رجحان دور السلاح المدرع والطيران وفي البحر أصبح الطيران العنصر الأساسي في المعارك التي عرفت منذئذ بـ "الجوية البحرية" وحتى في الصراع ضد الغواصات وأن كافة الأبحاث التي أجريت والتي أفضى بعضها إلى اختراعات مهمة جدًا قد استهدفت أما تحسين هذه الأسلحة وأما توفير دفاع فعال ضدها فتكيف في الحرب من ثم بحسب التطورات التقنية التي طرأت على الدبابة والطائرة وبحسب الوسائل الجديدة المكتشفة لاتقائها وكانت النتيجة إدخال تغيرات على تنظيم الجيش وتجهيزه وظروف الحرب نفسها وتطورت الأسلحة المختلفة وخاصة الدبابة والطائرة وهما طبعتا الحرب العالمية الثانية بالطابع الذي يميزها كليا عن الحرب العالمية الأولى وهي السرعة القصوى في تحرك الجيوش، وبينما كادت الجبهة الرئيسية تكون ثابتة بين عام 1915 وعام 1918 استعادت الحركة في عام 1939 تفوقها على النار وأعادت النقل السريع إلى الحرب عاملي المباغته والسرعة اللذين قد تلاشيا من ذي قبل فقاذفة القنابل والجيوش المنقولة جوًا والوحدات الآلية الكبرى قد أعادت تقييم عامل المباغتة وكان باستطاعة الدبابات المسلحة بمدفع من عيار50، 75، 88، 90 أن تسحق الآن

نقاط الدفاع فى طريقها وتتلف الأسلحة الآلية التى كانت توقف فيما مضى سلاحى الفرسان والمشاة بينما تهاجم قاذفات القنابل الإمدادات وتدمر المواصلات والقوافل المتوجهة إلى ميدان المعركة وتفكك الوحدات قبل وصولها إلى مراكزها فى الجبهة، وتجعل استخدام قوات الاحتياط الإستراتيجية أمرا مستحيلاً وهو عامل المفاجأة هذا ما أتاح للأقوى الإفادة من تفوق وإحراز كافة الانتصارات الحربية وأمام هذا المركز الرئيسى الذى احتلته الدبابة والطائرة تطور تجهيز وتنظيم الأسلحة الأخرى، فأمام الدبابات التى أصبحت سيدة ميدان المعركة تسلم سلاح المشاة التقليدى أسلحة ذاتية الحركة متزايدة القوة والفعالية مثل المدفع الرشاش الصغير والبندقية الذاتية الحركة ومدافع هاون خفيفة وثقيلة وأخيراً أسلحة لإلقاء القذائف ذات الحشمة المجوفة التى أتاحت للمشاة مجابهة الدبابة على مسافة قريبة، وزود سلاح المشاة كذلك بمدافع رشاشة مضادة للطائرات مثبتة فى القسم الأمامى من الشاحنات للدفاع عن القوافل وتحسنت الاتصالات تحسنًا عظيمًا فبات المذياع وسيلة الاتصال الاعتيادية حتى مستوى قائد الفصيلة وزود أخيراً بالآليات ففقد كافة حيواناته باستثناء الوحدات الجبلية التى احتفظت ببغالها.

تدل وفرة مدافع الهاون وتزويد وحدات المشاة بالمدافع على المركز المتعاظم أهمية الذى احتلته أسلحة الإطلاق المنحنى المتزايدة على حساب الأسلحة الذاتية الحركة وقد برزت أفضلية المدفع القصير على المدفع الطويل التى اتضحت أهمية فى كافة العمليات الحربية، فمنذ عام 1939 سلح الفيلق الألمانى بـ 11 مجموعة مدافع قصيرة مقابل مجموعة مدافع طويلة واحدة. فى آخر الحرب لم تسلح الفيالق المدرعة الألمانية والأمريكية سوى بمدافع طويلة قصيرة أما التطورات المهمة التى طرأت على المدفعية فهى نقلها الآلى إذ آن

المدافع المجرورة جرًا قد استبدلت أكثر فأكثر بمدافع مثبتة على إسناد تتحرك آليًا وظهور المدفع الذى لا يندفع إلى الوراء فخفف بذلك وزن المدفع وسنده وبات بمقدور المظليين والمغادير استخدامه ولكن المرمى أصبح أدنى مسافة وتعيين الموضع أسهل منالاً أما سلاح الهندسة فقد تعاظم دوره جدًا فى المعركة فهو لم يعد يعمل منفردًا وقد ألحقت وحداته التى ارتفع عدد أفرادها ارتفاعًا كبيرًا بوحدات المشاة والمدفعيين وغالبًا ما تقدمتها لاستهلاك المسالك ونزع الألغام أو زرعها تحت نيران العدو وتركيب الجسور وتولت صيانة أو شق الطرق ومهدت أرض المطارات بالجرافة وقد زودت كذلك بالآليات والمعدات القوية المختلفة.

تنتظم المعركة حول الوحدات المدرعة الكبرى من الدبابات ولكن النجاح ليس منوطًا بها وحدها إذ أنه يستلزم السيطرة على الجو أيضًا فهو من ثم تنسيق الهجوم بين الدبابات والطائرات مما أتاح انتصارات ألمانيا العظيمة فى بولونيا وبلجيكا وفرنسا والبلقان والصحراء العربية فى المرحلة الأولى من الحرب ومن ثم ما نسج على منواله وما عين الطرائق بسبب نجاحاته الجديرة بالاعتبار، وأن قوات "البانزر" وحدة تستطيع التصرف باستغلال واسع وقد ضمت فرقة استكشاف مؤلفة من كافة الأسلحة مثل فصائل مدافع رشاشة وسيارات ودرجات بخارية وفصائل مدافع مشاة ومدافع مضادة للدبابات وفصائل من سلاح الهندسة والاستخبارات ثم لواءين ينظم أحدهما 488 دبابة ويتألف الثانى من رماة ينقلون فى السيارات وفرقة مدافع سيارة من عيار 75 ومدافع مضادة للدبابات من عيار 37، وفوج من سائقى الدرجات البخارية مع مدافع رشاشة ومدافع هاون من عيار 81 ومدافع من عيار 37 وفرق صغيرة مسلحة بمدافع مضادة للطائرات والدبابات وفرق من سلاحى الهندسة والنقل

وفرقة مدافع تجـر جرا من عيار 105 وفوج استـخبارات ووحدات سـيارة فى المؤخرة تؤمـن تأميا منتظمًـا فكان بإمكانها بالاتفـاق التام مع سـلاح الطيران الموجود أبدا فوق ساحة المعركة أن تحقق عامل المفاجأة وقد أتاحت لها سرعتها ومرونة مناوراتها فتح ثغـرات عميقة والقيام بعمليـات تطويقية وخلال الحرب العالميـة تقابلت وتوازت التحـسينات الدفاعـية والتحسـينات الهجومـية ازدياد تصفيح الأبراج حتى 200 مم فى القسم الأمامى وعيار المدافع 75، 88، 105، 150 ومن ثم وزن الدبابة مـثل مـارك 6 (65 طنًا) فـردينان (70 طنًا) شـرمن الأمريكية 31 طنا وشرشل 35 طنًا وكونيغرستيجر 68 طنا، وجاغربانة 46 طنا وبرشنخ 43 طنا وجوزف سـتالين 50طنا وقد أرهب سـلاح مجنزمن الدبابات أى من المتحاربين بمدفعه البالغ 122سم طولاً ومدفعية الرشاشين تحت البرج، إلا أن الدبابة قد أخضعتها حـقول الألغام، فلكى تتمكن من التقدم يجب نزع الألغام تحت نيران العدو من الممـرات الضيقة التى ستسلكها واكـتشاف الألغام بواسطة كاشف مغناطيسى وإخراجـها من الأرض وقد بقى ذلك عملية خطرة حتى ظهـرت دبابات شرمن المزودة بجـهاز يكنس الألغام حـتى تلك التى لا يكشفـها الكاشف العادى على مـسافة عـدة أمتار أمـام الجنازير ولكن أهم ما تعرضت له هو نيران المدافع الكثيفة مثل "كاتيوشا" المركب على جنازير الذى يطلق فى آن واحد 16 أو 24 قنبلة من عيار 15 كيلو غـرامًا وبصورة خـاصة "البازوكـا" الذى كان أول سـلاح فردى مـضاد للدبابات فى أيدى المـشاهن فحتى ظهوره لم تبرهن كافة الأسلحة المستخدمـة عن فعالية كافية أمام سماكة تصفـيح الدبابات أما "البازوكـا" أنبوب بسيط من الحـديد المصفح يطلق من على الكتف أو على الخاصرة فيقذف قنبلة ذات حشوة مجوفة قادرة على خرق سمـاكة 15 إلى 12 سم من الحديد والتى أدت إلى انـقلاب الموقف وشكلت أرهب عدو للدبابة وتتـألف فى حوهرها من مادة متفـجرة تلتصق مغناطيـسيا

بجدار البندقية وقادرة على أن توجه إلى الحدب المصفح غازًا ملتهبًا بسرعة تبلغ 15.000 م فى الثانية ينفذ إلى الداخل، وقد ابتكر الألمان "البانزرشريك" من عيار 88مم القادر على اختراق سماكة 160مم من الحديد المصفح على مسافة 100م بواسطة قذائفه المجنحة و"البانزر فوست القادر على اختراق سماكة 200 ملم من الحديد المصفح على مسافة 50 مترًا مهما بلغ من قوة تصنيع الدبابات وقوة أسلحتها، فد أصبحت أصغر وحدات المشاة.

أخذت بعد ذلك أهمية الدبابة تقل تدريجيًا فمنذ عام 1942 عاد الألمان إلى أساليبهم العسكرية القديمة فلم تعد الدبابة أداة اختراق مستقلة بل أصبحت مرة أخرى سلاحًا مواكبًا وأوضحت مذكرة صادرة عن قيادة أركان الجيش أن مهمة الدبابة هى "تسهيل المشاة " وتغير تكوين "البانزر" الذى كان يضم عام 1940 فرقتين من الدبابات مقابل فرقة من المشاة، فأصبحت فى عام 1942 تضم فرقة من الدبابات مقابل فرقتين من المشاة والدبابة بحاجة إلى حماية المشاة ولا سيما إلى حماية المدفعية التى حلت محل الطائرات الهجومية وهذا هو الدور الذى أسند إلى المدافع السيارة أى إلى فصائل المدفعية التى ضمها الألمان فى عام 1943 وتفسير ذلك راجع إلى هشاشة الدبابة أمام قنابل الطائرات والألغام والأسلحة الذاتية الحركة، واعتمد كافة المحاربين منذ عام 1943 حلولا متشابهة لاستخدام دباباتهم، فإن الفرق المدرعة "البانزر" الألمانية والفرقة المدرعة البريطانية قد ضمت عددًا محدودًا من الدبابات حوالى 250، تساندها مدفعية سيارة مهمة وسلاح المشاة وظهر فى كافة الجيوش ميل إلى جمع مجندين من كافة الأسلحة فى وحدة جديدة أصغر من الفيلق وقادرة على التوفيق بين النار والحركة.

القوات الجوية:

تحسنت الطائرات تحسنًا مطردًا طيلة أيام الحرب وتحسنت بالمقابل وسائل مقاومتها، ولعب الطيران دورًا حاسمًا مطرد الأهمية فى حين لم تستطع أى من الأسلحة الأخرى الاستغناء عنه برهن هوعن أن باستطاعته الاستغناء عن سواه إذ أنه ربح وحده معارك بحرية وحتى جوية بوحداته المنقولة جوًا والمنزلة بواسطة المظلات، وجاءت تحسينات الطيران نتيجة نوعين من التقدم فمن جهة ازدادت قوته المحركة ازديادًا كبيرًا من 1.000 إلى 2.000 وحتى إلى 5.000 حصان 323 – me ومن جهة ثانية ازدادت قوة ناره بفضل ازدياد عدد وعيار سرعة إطلاق نار المدافع الرشاشة من 6مم إلى 12.5 و13.5 والمدافع 40 وحتى 75 مع قنابل متفجرة وإطلاق الصواريخ، ويعود إلى ألمانيا فضل الابتكار فى المرحلة الأولى من الحرب باستخدامها الطائرات الهجومية المطلوب منها إحداث الفراغ فى الميدان العسكرى والسماح لوحدات الهجوم باختراق صفوف العدو دون التعرض تعرضًا كبيرًا لنيرانه فقد قامت مئات الطائرات بضرب العدو وتفريغ متفجراتها وكنس ساحة المعركة بطيرانها المنخفض ومهاجمة القوافل على طول الطرقات وتدمير الجسور ومراكز المدفعية الثقيلة وضعضعة المجندين غير المتمرنيين على الحرب بالدوى الجهنمى الذى تحدثه الطائرة أثناء انقضاضها فتحطم الأعصاب وتشل الدفاع ونرى فعاليتها الكاملة فى بولونيا وفرنسا، وأن طائرات "لا يتننغ" و"موسننغ" و"ثندربولت" البريطانية سوف تستخدم بدورها هذه الطريقة نفسها فى المغرب العربى الأردنى فى ليبيا ومصر وتونس.

حول البريطانيون مجهودهم الرئيسى إلى الغارات الجوية الإستراتيجية فقد كان المقصود تدمير طاقة العدو الصناعية والاقتصادية والعسكرية لذلك

جهّز البريطانيون طائرة قادرة على قذف عدة أطنان من القنابل خلال هجوم واحد مثل بلنهايم4 "وآفرولنكسة أفضل قاذفات القنابل فى السلاح الجوى البريطانى و"لنغتون" و"هالينكس 6"، و"موسكيتو" التى كانت خير طراز ناجح، ومع السرعة والحمولة والمسافة ازداد أيضًا وزن القنابل القابلة للانفجار من 1.800 كيلو غرام إلى 3.600 و5.500 و10.000 بالإضافة إلى الصواريخ والقنابل المحرقة الفوسفورية وقد جهزت كافة الطائرات بالرادار واستخدمت نظام جى ee وطريقة "لوران" - "loran" اللذين أتاحا إرشاد الطائرات ونظام "أوبوه1" "Oboe"، الذى أتاح للسائقين معرفة مركز وجودهم مع فارق 50مترًا تقريبًا وسلوك الطريق المرسومة أمامهم على شاشة مضاءة ونبه السائقون حين يقتربون من الهدف وحين تأزف ساعة إلقاء قنابلهم واستخدمت العلبة "جن" "Gen" التى عرضت أمام أعينهم على شاشة الرادار حتى على ارتفاع شاهق وعبر الغيوم الكثيفة صورة صحيحة للأرض التى يطيرون فوقها، وبغية جعل المدافع والمطاردات والأنوار الكشافة تخطئ هدفها استخدمت "النوافذ" "Windows" وهى أشرطة صغيرة من الورق المفضّض تحدث موجات عكسية تشوش أجهزة الرادار، واستخدم الطيران التكتيكى أسرابًا كثيفة فى مصر وليبيا حيث سهلت ألف مطاردة وقاذفة قنابل هجوم الجيش الثامن وتجاوزاته فى تندمه وحاولت دون التموين الألمانى بحرًا، وكان من أهم مستحدثات الحرب استخدام المظليين والجيوش المنقولة جوًا استخدام واسع النطاق فأتاح ذلك بلوغ الهدف الذى سعت وراءه الإستراتيجية منذ عهد قديم ألا وهو مهاجمة العدو من الوراء بقوات مهمة، وتحسنت كذلك المعدات اللازمة من طائرات هوائية متطورة فأتاحت نقل عدد متزايد من الجنود والمدافع والعربات والدبابات وأن تفوق الحلفاء الجوى الساحق دفع الألمان إلى البحث عن وسائل جديدة لبلوغ أهدافه وكان ذلك منطلق تقنية ثورية عسكرية جديدة

تستخدم أسلحة ذاتية الاندفاع فمنذ عام 1942 أحكم الألمان فى "بينموند" فى جزيرة "أوسدوم" أسلحة بوشر درسها منذ عام 1937 وهى الـ "V1" أسلحة الانتقام "Vergeltungswaffe" وV 2، وكانت V1 صوريخ تبلغ سبعة أمتار طولاً تسيِّر قوة الاندفاع عسكريًا وتحمل طنًا من المتفجرات وكانت تطلق من قواعد ثابتة حتى مسافة 250 كم. أما الـ V1 فكانت أعظم خطرًا، فهى صواريخ سديمية تبلغ 14.05م طولاً وتزن 13.5 طنًا، وكانت تطلق إطلاقا يكاد يكون عموديًا بواسطة جهاز خاص فتبلغ ارتفاع 50 كم وحين تصل إلى الأرض مسيرة بسرعة 1.300 متر فى الثانية كان يستحيل سماعها مما جعل الدفاع ضدها محالاً وجعلها تترك وراءها دمارًا وخرابًا كثيرًا.

القوات البحرية:

طرأت على الحرب البحرية تغيرات كبرى فتبدل وجه المعركة البحرية تبدلاً كليًا وأن إنشاء قوة خفر من الطائرات والسفن الصغرى المضادة للغواصات وتعزيز دفاعها ضد الطائرات ولاسيما زيادة محمولها وتحسين آلاتها وزيادة سرعتها وإمكانية تموينها فى عرض البحر بفضل المازوت قد أتاحت لها البقاء فى البحر طيلة أسابيع عدة والعمل فى نطاق أوسع منه فيما مضى وعزز الطيران وأسندت إليه مهمة الاستكشاف وقذف القنابل والنسف ولكن اليابانيين وحدهم فكروا بالنسف الانقضاضى وكانت البحريتان الأمريكية واليابانية وهما قد بنتا عدة حاملات طائرات وأبرزت معركة "النرويج" فجأة أهمية الغطاء الجوى فاقتضى ذلك إعادة النظر الشاملة فى المفاهيم وتوزيعًا جديدًا للقوات واللجوء إلى أساليب قتال جديدة فبات السلاحان الأوليان منذئذ الغواص والطائرة وكانت الغواصات الألمانية تتراوح وزنها بين 500 و800 طن ويبلغ شعاع نشاطها حتى ثلاثة أسابيع وتحسنت

وبات باستطاعتها بلوغ 200 متر عمـقًا وفى عام 1941 ظهرت غواصات تزن 1.500 طن ويبلغ شعـاع نشاطها 20.000 ميل 37.000 كم يمكن استخـدامها فى المحـيطات، وحـين تعـرضت الغواصـة لضـربات حـاسمـة ظهـرت الـ "شنورشك" فى ربيع 1944، وقد أحدثت ثورة فى ظروف الملاحة تحت سطح الماء فقـد تألف من أنبوب عـازل للهواء يرتفع فوق الغـواصة الغـائصة وأتاح تأمين الهواء النـظيف الضرورى فاستطاعت الغواصـة من ثم النجاة من رادار الطائرة والاحتفـاظ بسرعة تكاد تعادل سـرعة سفن خفر القـافلة والبقاء تحت سطح الماء طيلة أسابيع عـدة ولكن الإيطاليين توقفوا منذ ديسـمبر 1941 بغية الوصول إلى السفن فى الموانئ والدوران حول شبـاك الحماية والمرور من تحتها فقـد نجح الإيطاليـون إلى إصابة مـدمرتين بريطانيـين وناقلة بترول فى مـيناء الإسكندرية وفى أواخـر الحـرب استـخدام الألمان الـطوربيد "مـاردر" الذ ى يحمل سـلاحًا يقذف بطوربيـد متفجـر حين يصبح على مـسافة قصـيرة من الهدف واستخـدام اليابانيون الطوربيد "كابتن" الانتحـارى الذى يسيره الملاح حتى الهدف وينفجر معه.

وصل تعداد القـوات البحرية البريطانيـة الذى زاد أربع مرات بين 1939 و1942 إلى 535.000 رجل وبنيت 970 سفينة فى خلال عامين مع جهة رئيس على المراكب الحربية ذات الحمولة الصغيرة الصغيرة المخصصة لحماية القوافل، مدمرات الحرساة 86 سفن شراعية 27، فرقاطة 118، مركب حراسة 166، غواصة 120، وتم تسليح السفن التجارية إلى حـد كبير وفى الأول من مارس 1941 كان لدى 3.434 سفـينة منها 1.943 سفـينة أسلحة مضادة للغـواصات ولدى 1.693 سفينة مدافع ثقـيلة مضادة لطائرات ولدى 4.431 سفينة أسلحة خفيفة مـضادة للطائرات وكان الوضع واضحًا فى البحر المتوسط من سـبتمبر

1939 إلى مايو 1940 فقد كـان لدى فرنسا 3 طرادات مقاتلة وحاملة طائرات و10طرادات و28 مدمـرة و20 مدمـرة حراسـة و53 غـواصة مـتـمركـزة فى "طولون" و"بـنزرت" والجـزائر و"وهران" بالإضـافـة إلى أسـطول فى الإسكندرية يتـألف من سفـينة قتـال و3 طرادات ثقيلة و1 طراد خفـيف و3 مـدمرات، وكـان للأسطول البـريطانى 4 بوارج و8 طرادات ثقـيلة وحـاملة طائرات و20 مدمرة، وأتاح دخول إيطاليـا الحرب للمحور قوة تفرض هيـبتها مؤلفة من 6 سفن قتال و7 طرادات ثقيلة و12 طراد خفيف و54 مدمرة و65 مدفـرة حراسة ومواكـبة و80 غواصـة موزعة بين "سـردينيا" و"السـيزاى" و"طرابلس" و"طبرق"، وكانت الهدنة الفرنسية - الألمانية ففى 22/ 6/ 1940 والهدنة الفرنسية - الإيطالية بتاريخ 24/ 6 مأساة لبريطانيا فى البحر المتوسط، فقـد كان للأسطول الفـرنسى قبل 23/ 6 دور أساسى لا فى الحـوض الغربى فحسب، بل فى الجزء الأوسط من البحـر المتوسط بواسطة بنزرت متعاونة مع مالطة وكان هـذا الدور يسمح ببعض الاستـمرار فى العمليات البـحرية وكان تخلى هذا الأسطول عن دوره قد أحدث دفعة واحـدة خللاً واضحًا فى ميزان القوى وفـراغًا إستـراتيجيًـا يستطيع الأسطول الإيطالى السـيطرة عليه دون أن يتعرض لأية عـواقب سيئة كما أحدث انقطـاعًا بين الأسطولين البريطانى فى الإسكندرية بمصر و"جبل طارق".

اتخذ قرار مؤلم بتاريخ 27/ 6 عندما طلب الأميرال جنسول قائد السفن الراسية فى المرسى الكبير فى "وهران" إما الالتـحاق بالحلفاء أو الاستسلام أو الذهاب إلى الموانئ البـريطانية يتم نزع سلاح سفـنه أو إغراق نفسـها، ووقع تردد بين 28 يونية و3 يوليـة وسلسلة من الحـماقـات وعناد كـبير من قـبل "تشرشل" وطاعـة حرفية من أمـيرال الأسطول الفرنسى، وازدادت مـشاغل

القوات البحرية البريطانية فقد كان عليها أن تعزز طاقة أسطول الإسكندرية والوحيد الذى يستطيع أن يملك إمكانيات واسعة للمناورة فى الحوض الشرقى محاطًا بتركيا المنتظرة ومصر المتعاونة على مضض وكانت المحافظة على الموجود البريطانى فى مصر أمرًا حيويًا لا من أجل قناة السويس فحسب بل من أجل القواعد البحرية، إلا أن المواقع فى مصر ستعود بهجوم إيطالى منطلق من ليبيا وكان من واجب البريطانيين أن يحشدوا أمامه جيشًا كبيراً وكان عليهم أيضًا جلب بعض القطاعات والأسلحة والعتاد إلى المنطقة وكان على القوافل البحرية المراسلة من بريطانيا أن تمر بجبل طارق والحوض الغربى للمتوسط الذى تشرف عليه أسبانيا التى لم تدخل فى النزاع ولكنها تخضع لإغراءات المحور، وأفريقيا الفرنسية وفرنسا نفسها أصبحتا محايدتين وكانت جزيرة مالطة تنتصب فى المفصلة بين هذا الحوض والحوض الأوسط على مدخل أخطر منطقة حيث بوسع الأسطول الإيطالى المتمركز فى "تارنتو" و"طرابلس" و"طبرق" العمل بفاعلية، وقد تأكدت الأهمية الأساسية لهذه الجزيرة منذ الاشتباكات الأولى ولكن منشآتها غير كافية وتهديدها المستمر وتعرضها للهجمات الجوية لم تكن ليسمح بتحويلها إلى قاعدة ثقيلة وكان الأمر العاجل هو إرسال الطائرات إليها، وكان الطريق الجوى الفرنسى ممنوعًا فقررت بريطانيا فى نهاية يوليو أن تحضر إلى مالطا 12 طائرة "هاريكان" ذات مقعد واحد ومدى العمل 600 ميل وسرعة الطواف 180 ميل، وذلك بواسطة حاملة الطائرات "آرجوش" التى غادرت بريطانيا فى 24 من يولية 1940 وجبل طارق فى 31/ 7/ 1940 ولحماية هذه العملية البسيطة أرسل أرسل الأسطول البريطانى فى الشرق الأدنى بعض المراكب الحربية إلى بحر إيجة وأرسل بارجتين وحاملة الطائرات "أيفل" بين كريت وليبيا وأرسل سفينتين إلى الجزيرة الإيطالية "كاستيلوريزو" لتظاهر بالهجوم عليها.

قـام الأسطول البيـريطانى "M" التـابع لجبل طارق من نـاحيـته أيضـا بهجمات تشـتيتية مثل هجوم جوى على "كـاجليارى" وتحرك تظاهرى باتجاه جزر البليار ضـخمت بأنباء مزيفة أذيعت من جزيرة "مـينورتة" وكان الهدف من كل هذه التدابير المختلفة هو إثارة الشك والبلبلة لدى القيادة البحرية العليا الإيطالية وإبقاؤها فى موقف المتفرج، وكانت هذه أول تجربة على نطاق واسع لسياسة التضليل والتمويه والمخـاتلة والتسمم التى تطورت فيما بعد، وأقلعت "الآرجوس" تواكـبها 61 سفينة من جـبل طارق فى الساعة 8 من صباح 31 يوليو 1940 وهاجم الطيران الإيطالـى القافلة فى اليوم التـالى دون أن يحصل على أية نتيجة وبتاريخ 2 أغسطس وصلت القافلة البحرية إلى النقطة المحددة لها وأطلقت الـ 12 طائرة "هاريكان" فى الجـو فوصلت إلى مـالطا دون آية صعوبة وبعد عدة أيام أحضرت غواصتان العناصر التكميلة للطائرات من أفراد وعتاد، ويشير عدم التكافؤ الفظيع بين الوسائل الموضوعة للعمل والنتيجة إلى الصعوبات الهـائلة للإستراتيجية العـسكرية البحرية البريطانية ويؤكـد الأهمية المعطاة لمالطا، فحول هذه الحـاملة الثابتة للطائرات سوف يمكن تنسـيق أعمال أسطولى الإسكندرية وجـبل طارق فى كل مرة يصـبح من الواجب تعاونهـما وتضـافرهمـا من أجل تحـقيق هدف واضح وسـتتطـلب كل عمليـة من هذه العمليات عـملاً تحضيريًا كـاملاً بواسطة استقصـاء المعلومات عن تحديد مكان الأسطول الإيطالى فى الغـرب منطلقًا من بعض قواعـد "السبـيزيا" ونابولى و"صقـلية" مـهاجمـة القوافل المحـروسة بصـورة قوية أمـا فى الشرق فـإنه سيـصطدم بأسطول الإسكندرية خارج مـدى تدخل طيرانه الخـاص الجوى - البحـرى، وقد مـارست البحـرية الإيطالية مناورة تشـتيـتية لجـذب الأسطول البريطانى إلى منطقة عمل وسـائلها معتمدة على سرعة سـفنها الكبيرة وعلى

قرب القواعد الجوية الساحلية وعلى تفوقها العددى بالغواصات ويفسر جزء من إستراتيجية التأخير هذه بمهمة تأمين حماية القوافل المتجهة إلى طرابلس وبقية الموانئ الليبية وللدعم اللوجيستى الإدارى للهجوم الذى شنه فى 13/ 9/ 1940 .

العمليات البرمائية:

اتساع العمليات البرمائية التى جاوزت المئة واختلفت أهميته تعتبر من المظاهر المميزة للحرب العالمية الثانية وبعد عام 1942 أجريت عمليات إنزال الجيوش الكبرى الحاسمة فى شمال الصحراء العربية وخاصة فى ليبيا ومصر وتحسنت خلالها المعدات والأساليب، ففى الدرجة الأولى تأمنت الحماية بالطيران ومدافع الأسطول الضخمة واستخدمت للنقل زوارق بإمكانها الجنوح على بضعة أمتار من الشاطئ أو القيام برحلة طويلة فى عرض البحر، زوارق ذات طبقتين مسطحة القعر لا تدخل كثيرًا فى الماء وتنفتح فيها مصاريع ضخمة تنقل عليها السيارات والدبابات وسفن كبرى قادرة على نقل زوارق إنزال صغرية مختلفة المحمول، وناقلات دبابات، زوارق هجوم، سيارات برمائية ودبابات. . إلخ، وأن ما سمى من قبل "فن نقل العدو اللازم من الجنود إلى المكان اللازم من ميدان المعركة وفى الوقت اللازم ومع التجهيزات اللازمة "اسمه القديم" فن نقل الجيوش وتموينها "Logistique " العمليات اللوجستية ارتدى طابع أهمية لم يعرفه من قبل بسبب طول خطوط التموين بعده الآلاف من الكيلومترات، وتزايد حجم المواد والمعدات بألوف الأطنان من المواد الغذائية والذخائر الضرورية للجيوش للعمل فى المحطات المتناثرة على طرق المواصلات فتوجب من ثم إعداد تنظيم معقد يستخدم الآف الجنود لتحضير العمليات فى أدق تفاصيلها قبل عدة أشهر وتنفيذها تنفيذًا ناجحًا،

وهنا يكمن سـر أهمية وسـائل النقل المتزايدة وعناء المتحاربين فى مـهاجـمة خطوط مواصلات الـعدو البحرية والبريـة، فهو تشويش حركـة وسائل النقل بفعل قـاذفات القنابل الألمانيـة، وفى ليبيـا تحكمت ظروف التموين بحـركات جـيـوش الأعداء وقـد كـتب "إيزبيك" رئيس أركـان" رومل مـا يلى: "آن الاستيـلاء على مزيد من المناطق لم يعن تحقيق النصـر بل كان من شأنه على نقيض ذلك أن يشكـل ضرراً وخطراً "وطوال الوقت الذى تستـغرقه المعـركة نشاهد سباقًا حقيقيًـا نحو المرافئ التى يجب بلوغها قبل أن يكون للعدو متسع من الوقت لتـعطيلها، نشـاهد تعاقب وتراجع جـيشين بعـضهـما البـعد عن قواعدهما حـين يتقمان ولا يلبثان أن يتـوقفا لأن تموينها يتأخر عنـهما بسبب هجمات طيران العدو، فهذه حـال "رشتى" فى شهر نوفمبر 1941 حين تقدم حتى "غزالـة" وحال «رومل» نفسه بعد اسـتيلائه على بنغـازى وطبرق، فإن الغنائم التى كسبـها فى هذه المدينة وفى سيدى "برانى" قـد أتاحت له التقدم حـتى العلميـن ولكن خطوط تموينه الطويلة تعـرضت للخطر إذ أن الطيـران البريطانى أنزل بوسائل نقله البحرية خسائر فادحة فأرغم على التوقف وبذلك أثارت العمليات البرمـائية مسائل لوجستيـة من نقل وتموين أعظم أهمية حين توجه نقل وتموين الجيوش التى أنزلت فى ليبيا.

حقق الأمريـكيون نجاحًا فى العـمليات اللوجستـية التى أتاحت لهم فى المحيط الهـادى التغلب على صـعوبات حرب تدور رحـاها على مسافـة عدة ألوف من الكيلومترات من بلادهم فقـد توجب عليهم إحكام تنظيم لـم يسمح بنقل أحجام كبرى من الرجال والتجهيزات فحسب بل بتعهد عمليات متواصلة دائمـة أيضًـا ومن أجل ذلك اضطروا إلى بناء مـرافئ جـاهزة بمواد مـوحـدة القيـاسات واستحضـار خشب البناء والأسمنت والمواد اللازمـة لإنشاء الطرق

ومهابط الطائرات ومساكن الجنود... إلخ، وقد رافقت الأسطول فى انتقاله مراكب مساعدة معدة كلها لشحن معين أو خدمة معينة، مثل أحواض سفن عائمة تجمع بين السفينة ومصنع السفن قادرة على إيواء أكبر السفن وإصلاحها فى عرض البحر ونقل المؤن وزودت ناقلات البترول فى عرض البحر أثناء مواصلة تقدمها ونقلت إليها الذخائر والمؤن من السفن التى تحملها وقد حضرت "حزم جاهزة للنقل والتموين" زنة الواحدة منها 14.000 طن معدة لإنشاء مطار يرافق كلا منها 66 ضابط و1600 جندى فكانت ترسله إلى القيادة حال طلبها وحضرت كذلك فى مصانع التصنيع حزم جاهزة لكل نوع من الطائرات والآلات تنسلم عند الحاجة للطائرات أو السفن المتعطبة وكانت الكميات المنقولة كبيرة جدًا وقد قدر فى عام 1944 أن 600.000 طن نقلت شهريًا عبر المحيط الهندى إلى مسافة 5.000 كم من القواعد الأمريكية لا يدخل فيها الفحم الحجرى والبنزين، ففى عملية إنزال الجيوش فى جزيرة "لايت" وحدها استخدمت 80 ناقلة بترول و20 ناقلة تعبئ أو تفرغ و60 أخرى تنقل البنزين الضرورى للقوات المنولة فى الجزيرة وهكذا استطاع الأمريكيون طيلة 16 شهرًا القيام بهجوم "دون توقف" تعاظم عنفًا يومًا بعد يوم أدى فى النهاية إلى سحب اليابان.

يجب الملاحظة أنه فى كل منعطف من منعطفات الحرب ضرورة بل صعوبة التنسيق بين مسارح العمليات المختلفة جدًا والمتباعدة جدًا وبين الخطط الاستراتيجية المرتبطة بها وتبدو الإشارة من خلال هذا الموضع إلى أهمية رؤساء هيئات أركان القوات المسلحة ووزير الدفاع وقد تفوضت المبادئ المألوفة الصالحة لمسرح عمليات واحد فى الشروط الطبيعية التى كانت سائدة فى الحروب الكبرى للقرن التاسع عشر ومن المهم أكثر تنكب "مخاطر محسوبة"

وكانت مدارس الحرب قد عالجت خلال سنوات عديدة موضوع "اللوجيستيك" الشؤون الإدارية "بنوع من الازدراء ولم تهتم إلا "بالأجزاء النبيلة" "الاستراتيجية والتكتيك" وظهر بشكل فاضح أن من الممكن كبح جماح أحدث الجيوش وأفضلها تجهيزًا بسرعة وتجميدها تمامًا إذ لم تحصل بأسرع ما يمكن على نجاحات حاسمة ولم تتلق المدد المتواصل من التموين الهائل الذى تطالب به لكى تعيش وتتحرك وتقاتل فلم يعد بوسع إستراتيجية الحرب بعد الآن أن يقتصر على الخطط الميدانية حتى ولو للحرب مستندة إلى إحصاءات الإنتاج والتوقعات والخطط الطويلة الأمد والحمولات بالأطنان والوسائل المالية والتحسينات التقنية، وقد كرست بريطانيا لهذا الغرض كل انتباهها مدفوعة إلى ذلك بقوة الظروف وقسوة الأحداث.

* * *

الفصل الثالث
انتصارات رومل على القوات البريطانية
من فبراير إلى إبريل 1941

- هزيمة إيطاليا فى البلقان والتدخل الألمانى.
- دخول الفيلق الأفريقى - الألمانى إلى المعركة.
- الموقف البريطانى من رومل.
- أولى عمليات رومل فى الجبهة الليبية.
- فلسفة الهجوم لدى رومل.
- هجوم رومل على بريقة 1941/3/31.
- رومل يستولى على بنغازى 1941/4/3.
- المقاومة البريطانية لرومل فى طبرق 1941/4/10.
- الاستيلاء على السلوم.
- صمود البريطانيين فى طبرق.
- دروس فى حرب المعركة والمواقع.

هزيمة إيطاليا فى البلقان والتدخل الألمانى:

احتلت القطعات الإيطالية فى 7/ 4/ 1939 المدن الألبانية واعتقد البريطانيون بأن هذا العدوان سيتوسع ليشمل اليونان وكانت فرنسا وبريطانيا قد منحتا ضمانة لهذا البلد ولرومانيا ضد أى اعتداء فى 13/ 4/ 1939 وأصبحت الضمانة المعطاة لليونان وهمية ولا قيمة لها فى نظر موسولينى بعد تخلى فرسنا عن المعركة بعام واحد وهكذا بدأ موسولينى باستخلاص النتائج، وكان هتلر وموسولينى قد تقاسما المسئووليات ومناطق النفوذ قبل بدء الحرب وكان البحر المتوسط والإدريايتكا دائرة نفوذ إيطالية وكان الوضع العام فى نهاية يونية 1940 ينصح باستغلال الاستسلام الفرنسى لإلحاق الدمار بالمواقع البريطانية فى مصر ولم يتم غزو مصر الذى تقرر القيام به فى يونية إلا بتاريخ 13/ 9/ 1940 وذلك لأن حوض البلقان كان يتمتع بجاذبية أقوى بالنسبة لموسولينى والذى أصبح عن مهاجمة يوغسلافيا فى أول الأمر وعندما طلب موسولينى من هتلر تقديم عونه الذى كان ضروريًا طالبه هتلر برده 7/7 بأن لا تتسع الحرب فى البلقان ولكن موسولينى لم يكن محتاجًا قط لمساعدة ألمانية فى اليونان ورفع تعداد الجيش الإيطالى فى ألبانيا من 5 إلى 9 فرق وقرر موسولينى بتاريخ 15/ 10 القيام بالهجوم مخالفًا رأى المارشال بادوغيلو ودون أن ينجد هتلر بذلك وبدا العدوان بتاريخ 29/ 10 ولم يعرف هتلر بالخبر إلا فى اليوم ذاته وقد انخدع الألمان خلال عدة شهور بقوات البرية والبحرية لشركائهم الإيطاليين وقد أدى هذا الخطأ فى الحكم بالإضافة إلى افتقاد التنسيق الأولى بين ألمانيا وإيطاليا إلى إنقاذ بريطانيا فيما بعد حيث اضطر هتلر إلى إلغاء خطته احتلال بريطانيا وكان هذا العمل هو الخطيئة الكبرى الثانية

السياسية والإستراتيجية العسكرية لهتلر إذ إنه بهذا الخطأ خرق مبدأ كبير وهو سحق العدو الرئيسى حيث ما يستطيع ذلك بحشد الحد الأقصى من قواته ضده.

وضع القوات اليونانية كان يائسا وسيئة التجهيز والإعداد وخصوصًا فى المدفعين المضاد للطائرات والمدفعية المضادة للدبابات مع بعض وسائل النقل والافتقار إلى الدبابات وكانت تملك 180 طائرة تفتقر إلى كثير من الأجزاء والقطع التبديلية.

شنت القوات الإيطالية هجومًا مباغتا ضد اليونان فى يوم 28/10 1940 من مناطق تحشد قواتها فى ألبانيا بقوات قوامها 162000 رجل منظمين بالجيشين 9 و11 ويعتبر شهر أكتوبر من كل عام موسم الأمطار فى اليونان وعليه فإن اختيار موسولينى لهذا الموسم موعد لشن هجومه لم يكن إجراء حصيفًا فبالرغم من تأثير الأمطار وما تسببه من دخول فى بلاد تفتقر للطرق الجيدة على كلا الطرفين إلا أن تأثيرها لابد أن يكون أشد وطأة على القوات الأجنبية الغازية منه على القوات الوطنية المدافعة عن بلادها. ونجح اليونان تكبيد القوات الإيطالية خسائر كبيرة ثم انتزعوا المبادأة من الإيطاليين عندما توغلوا فى الأراضى الألبانية ففرت من أمامهم تشكيلات إيطالية عديدة مخلفة ورائها مقادير وفيرة من الأسلحة التى غنمها اليونانيون الذين احتلوا أكثر من ربع مساحة ألبانيا التى صار الجيش الإيطالى يدافع عن وجوده فيها.

غادر الأسطول البريطانى بتاريخ 29/10 ليلاً الإسكندرية ووصل بتاريخ 31/10 إلى عرض البحر أمام جزيرة كريت ولم يكن بالنسبة للبريطانيين قد وصلوا إلى مستوى المساعدة الفعلية لليونان وتضاربت الآراء العسكرية

والسياسية فى بريطانيا، وكان تشرشل وإيدن مشغولين بالدفاع عن مصر وكان يعتبران هذا الدفاع أمرًا حيويا فى الوقت الذى كان الجنرال "ويفل" يعد هجومًا فى الصحراء المصرية ضد القوات الإيطالية حيث كان الجنرال "ويفل" يرى الموقف على الشكل التالى فى الفترة ذاتها بتاريخ 17/ 11/ 1940:

أننى متأكد بأن ألمانيا لن تستطيع آن تقبل هزيمة إيطاليا أو احتواءها فى اليونان وأنها ستجد من واجبها أن تتدخل واعتقد أننا سنرى قريبًا جدًا مساعدة جوية لإيطاليا ومن المحتمل أن لا ترغب ألمانيا أبدا فى الوقت الحاضر فى دفع بلغاريا فى الحرب واجتياح يوغسلافيا ولكن من الممكن أن تنساق إلى ذلك أن ألمانيا تقف على خطوط داخلية كما كانت فى الحرب الأخيرة وتستطيع أن تتحرك بصورة أسرع لمهاجمة اليونان وتركيا اللتين لا تستطيع دعمهما".

كان هذا التقدير لويفل يتسم بصحة رائعة فى حين كان هتلر أحس بالوضع فى البلقان منذ 4/ 11/ 1940 فطلب دراسة إرسال قطعات ألمانية لمساعدة الإيطاليين لا بدافع التضامن الخالص ولكن لأن القوات الجوية البريطانية تستطيع قصف آبار البترول الرومانية بالانطلاق من القواعد الجوية فى اليونان وتعتبر رومانيا مصدرًا بتروليًا ضروريًا لألمانيا وأبرز هتلر من جديد لموسولينى بتاريخ 20/ 11 الآثار المؤسفة لعمله السابق لإدانة ووعد بالمساعدة ولكن هذه المساعدة لن تكون ممكنة قبل عام 1941.

عملت كتيبة من الطيران الألمانى بتاريخ 9/ 12/ 1940 بين "فوغيا" وألبانيا فى حين كان شن هجوم ممكنا انطلاقًا من رومانيا وعبر الأراضى البلغارية واكتشف تشرشل هذه النوايا وأصبح لديه منذ تلك الفترة فكرة واضحة عن أهمية البلقان وقد كتب بتاريخ 6/ 1/ 1941 ما يلى:

ربما استطعنا بالحظ واجرأة آن نجنى نجاحا سهلا ومرموقا على الساحل الليبى، إلا أنه ينبغى أن نأخذ بعين الاعتبار الأهمية البالغة فى الاستيلاء على "فالونا" فى الباز والمحافظة على الجبهة اليونانية "وبتاريخ 22/ 1 سقطت طبرق وتبدد منذ ذلك الوقت كل قلق من ناحية هذه الجبهة الليبية وأعطيت الأولوية لليونان، ولم يكن هتلر لمجازفات عسكرية عندما قرر بتاريخ 13/ 12/ 1940 القيام بعملية "ماريتا" ولم تكن الفيالق الخمسة وال 18 فرقة التى تضم 2 فرقة جبلية و1 فرقة آلية، وفرق مدرعة من الجيش 12، "فون ليست" إلا جزءًا صغيرًا من قواته المتوفرة، لكنه كان يفكر منذ ذلك الوقت بخطة "بارباروسا" الهجوم ضد الاتحاد السوفيتى - الذى تحدد يوم 15 مايو 1941 وأخذ على عاتقه تصفية موضوع البلقان قبل هذا التاريخ وبتاريخ 16 من إبريل 1941 اجتاحت جيوش ألمانيا يوغسلافيا واليونان فى وقت واحد.

دخول الفيلق الأفريقى الألمانى إلى المعركة:

يقول بول كارل: «بعد أن تمكن البريطانيون من عجز القوات الإيطالية بقيادة غرازيانى واضطرت هذه القوات إلى الانسحاب السريع إلى طبرق ثم إلى بنغازى ثم إلى بيضاء فم ووقع معظمهم فى قبضة البريطانيين مع معداتها المختلفة كان رجال فوج الفرسان الحادى عشر الذى اشترك فى هذه الحملة يجلسون فى فندق الكونتنيتال فى القاهرة يرون للسيدات بعض وقائع الحملة ويتندورن بقولهم أن رجال غرازيانى - الذين ك ان يبلغ عددهم ربع مليون هندى وقد أسر منهم 130 ألف مقاتل و400 دبابة و1200 مدفع فروا من المعركة كما تفر المرأة عندما ترى فأرًا والواقع أن شعار الفرقة السابعة المدرعة البريطانية التى تولت القسم الأكبر من الحملة كان عبارة عن فأر من فئران الصحراء مرسوم باللون الأحمر وسط دائرة بيضاء وقد رسم هذا الشعار على

جميع عربات الفرقة ومدرعاتها فما يراها الإيطاليون حتى يلوذوا بالفرار ويقول أحد الضباط البريطانى "كلارك" : "لم يكن الجنرال برجندولى هو الجنرال الإيطالى الوحيد الذى وقع فى قبضة البريطانيين بل كان هناك عدد لا بأس به من الجنرالات فهم الجنرال بجانز قائد البرساليرى، والجنرال فيلانز قائد المدفعية والجنرال كوتا، ورئيس أركان حرب الجنرال جويليانو وعندما رأهم الجنرال أوكونور يتنظرون ببساطة وصول البريطانيين لأسرهم لم يتمالك من إبداء دهشته البالغة قائلاً: إننى لم أر مثل هذا الجمع من الجنرالات منذ احتفالات التاج عام 1911" وبعد ذلك أصبحت القوات البريطانية أن أعلنت أنها أسرت فى بنغازى شاحنة محملة بالفتيات الحسناوات المخصصات للضباط "(1).

لاحظت القيادة الألمانية بقلق متزايد الانتكاسات المتعاقبة التى تعرضت لها القوات المسلحة الإيطالية المتفوقة عدداً بنسبة واضحة على الأسطول البريطانى العامل فيها أو فى جبهات بلقان وليبيا ومصر، وأرادت ألمانيا أن تحفظ ماء وجه المتحور بإسناد القوات الإيطالية فى ليبيا على غرار ما حصل فى البلقان، وثمة حقيقتان لا بد من الإشارة إليهما بهذه المناسبة وتتعلق أولاهما بانهيار معنويات الإيطاليين واستسلامهم بالجملة بعد أول اشتباك لهم مع خصومهم الذين استغلوا هذه الحالة المعنوية وصاروا يشنعون عليهم ويشهرون بهم والسبب الواضح لانهيار معنويات الإيطاليين آنذاك هو أنهم لم يكونوا بموقف المدافع عن الوطن أو المقاتل فى سبيل استعادة إقليم إيطالى مغتصب وإنما كانوا غزاة معتدين فى كل حملة شاركوا فيها أو شنوها بدءاً من العدوان على ليبيا فى عام 1911 ثم على الحبشة فى عام 1936 ثم على ألبانيا

---

(1) بسام العسيلى، روميل، ص11.

فى إبريل 1939 وانتهاء بدخولهم الحرب العالمية الثانية بالعدوان على فرنسا يوم 1940/6/10 ثم غزواتهم الفاشلة ضد مصر والصومال واليونان، فكانت كل هذه الأفعال لمجرد تحقيق حلم زعميهم المستبد موسولينى فى جعل البحر المتوسط بحيرة إيطالية ولم تخل إيطاليا من بعض الغلاة التوسعيه الذين وآبوا على الهتاف مطالبين "بضم جزيرة كورسيكا"، وإقليم "تونسى" ومقاطعة «فيزا» اليوغسلافية أما الحقيقية الثانية التى طالما تساءل المتسائلون عن دواعيها تتمكن بالسب الحقيقى الذى حدى بهتلر لمساعدة موسولينى رغم صراحة موقف الأول فى تلك المرحلة واستيفاء الثانى فى خوص مغامرات عسكرية متعاقبة فاشلة وهو أن هتلر لم ينسى لموسولينى فى ساعة حرجة عاشها فى مارس 1938 عندما أقدم على تحقيق الوحدة مع النمسا وكان أخشى ماخشيه هو تدخل موسولينى أو معارضة للوحدة فأرسل له الأمير الألمانى فوق هيسن زوج ابنة ملك إيطاليا فكتور عمانوئيل الثانى وعاد الأمير إلى سيدة بالبشرى بموافقة موسولوينى على عدم التدخل فى قضية وحدة النمسا وألمانيا. عندئذ غمرت قلب هتلر فرحة عارمة وألم على نفسه ألا ينسى لموسولينى موقفه هذا وأعلن على رؤوس الأشهاد بأنه سيرد لصاحبه جميله عند الضرورة وعند تعرض لأى خطر وهكذا بر بوعده بالتعجيل بمساعدة إيطاليا بعد الانتكاستين اللتين شهدتهما جيوشها فى جبهتى البلقان والحدود المصرية - الليبية[1].

إضافة إلى ذلك فإن هتلر كان شديد الاهتمام بالصحراء العربية وخاصة جبهة المصرية - الليبية - وحريصًا على أن لا يدع هذا الميدان لأهواء صديقه موسولينى خشية أن يتعرض جنوبى أوروبا لهجوم الحلفاء، ولذلك أرسل

(1) بول كارل - تعالب الصحراء، ص12.

الفرقة الخامسة الخفيفة إلى تونس وهى التى كانت تسمى "الفيلق الأفريقى الألمانى" وعلى رأسه القائد "روميل آوربن" المشهور بروحه الهجومية[1].

حصل روميل على إجازته التى طالما انتظرها وحلم بها وجاء إلى بيته فى مطلع شهر فبراير 1941 وكله أمل بأن يستطيع الاسترخاء بعد طول توتر، وإن يتمكن من الراحة بعد عناء مرير ومشقة مستمرة ولكن ولما يكد يمضى يومان على وصوله حتى باغتته زيارة قائد المقر العام لقيادة هتلر حتى باغتته زيارة قائد المقر العام لقيادة هتلر ودعاه لزيارة المارشال فون برادختش ومقابلة "هتلر" - براوخدش "-Bravchitsch, Hetnrich Alfred Hermann "walthervon" "وهو جنرال ألمانى" 1881- 1948 "كان قائدًا للمدفعية الألمانية عام 1933 فقائدًا أعلى للقوات الألمانية عام 1939 وهو الذى قام بإعداد المخططات لاحتلال النمسا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وفرنسا وهولندا وبلجيكا والدنمارك وقد عارض هتلر فى توجيه حملة روسيا وكان يعانى من اعتلال صحته فقدم استقالته مرات متتالية إلى أن قبلها هتلر فى آخر عام 1941 واعتقل عام 1945 ومات وهو فى أسر القوات البريطانية.

نظرًا للموقف المتأزم (فى فرنسا نهاية 1940) اضطررت لقطع أجازة رأس السنة وأعود مسرعًا على الطريق الذى غمرته الثلوج إلى بوردكس، (حيث تعسكر فرقتى)، وحتى ذلك الوقت لم يحدث ما يضطرنا للدخول فى عمليات فعلية.

تلى ذلك أسابيع من التدريب الشاق وقررت تعويض أجازتى المقطوعة فقمت بأجازة فى أوائل فبراير، والأقدار تدخلت مرة أخرى فقد أبلغنى ضابط من أركان حرب الفوهرر بوجوب قطع أجازتى وتقديم نفسى على الفور

(1) فاروق الحريرى، حملات الحرب العالمية الثانية، ص22.

للفيلد مارشال فون براوختش والفوهور وكان ذلك بعد ثانى ليلة لى فى منزلى. وفى يوم 6 فبراير أبلغنى الفيلد مارشال فون براوختش بواجبى الجديد، وكان ذلك نتيجة للموقف المتأزم لحلفائنا الإيطاليين فى شمال أفريقيا، ولذلك اتجهت النية لإرسال فرقتين ألمانيتين (إحداهما مدرعة والأخرى خفيفة) لمساندتهم فى ليبيا، وكان على أن أتولى قيادة فيلق أفريقيا الألمانى وأن أسافر فى أقرب فرصة إلى ليبيا لاستطلاع الأرض.

تلقت القيادة الألمانية تقاريراً تفيد باحتمال نشوب ثورة فى الجزء الغير محتل فى فرسنا وقد وضعت خطة لاحتلال كل هذا الجزء من جنوب فرنسا إذا ما وقع مثل هذا الأمر. على أن تصل طلائع القوات الألمانية إلى الصحراء المصرية - الليبية فى منتصف فبراير بينما سيتم تحرك الفرقة الخامسة الخفيفة فى منتصف أبريل والفرقة 15 بانزر فى نهاية مايو.

اشترطت القيادة العليا الألمانية (لتقديم هذا العون) أن تتعهد الحكومة الإيطالية بالقيام بالدفاع عن طرابلس فى منطقة خليج سيرته على خط يتجه نحو الجنوب بالقرب من البوبرات بغرض تأمين الأراضى التى ستلزم لاستخدام السلاح الجوى الألمانى فى الجبهة المصرية الليبية وهذا يخرج عن الخطة الإيطالية الأصلية والتى اكتفت بالمحافظة على الخط الدفاعى فى طرابلس وكانت القوات الإيطالية المحملة فى الجبهة الليبية ستوضع تحت قيادتى[1].

قابل رومل الجنرال براوختش فى يوم 6/ 2/ 1941 الذى أوضح له مهمته القادمة وهى معالجة الموقف الحرج للحلفاء الإيطاليين فى ليبيا وأنه سيتم دعمه

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق، ص11.

بفرقتين هما فرقة مدرعة وفرقة خفيفة يتولى قيادتهما وهذا ما يتطلب منه الذهاب إلى ليبيا بأسرع ما يمكن للتعرف على إمكانيات استخدام هذه القوة الجديدة، وعلم روملِ "براوختش" أن عملية نقل القوات قد نظمت بحيث تصل أولى الوحدات الألمانية إلى ليبيا فى منتصف شهر فبراير وسينتهى نقل الفرقة الخامسة الحقيقة فى منتصف شهر إبريل وستصل بعد ذلك آخر قوات فرقة البانزر الخامسة عشرة فى نهاية مايو 1941 وتكون القوات عندها جاهزة للعمل وتعهدت الحكومة الإيطالية أن تعمل مقابل هذا الدعم العسكرى على تأمين الدفاع عن طرابلس وعن المنطقة الساحلية ما بين خليج سرت وإقليم البويرات حتى الجنوب من هذا الإقليم مما سيسمح لاستخدام التشكيلات الجوية الألمانية فى ليبيا، وكان على الإيطاليين تبعًا لذلك التخلى عن مخططهم الدفاعى لحماية المواقع التى تغطى طرابلس وأن يعملوا على وضع الوحدات الإيطالية المنقولة تحت تصرف روملِ والذى سيمارس عملاً تحت قيادة المارشال "غرازيانى" وتقدم روملِ لمقابلة هتلر بعد ظهر اليوم ذاته، فشرح هتلر لروملِ الموقف على مسرح العمليات فى الجبهة الليبية بالتفصيل واعترف له بأن مستشاريه قد أجمعوا على اختيارى أى روملِ لمعالجة الموقف نظرًا لأنه الرجل الأكثر قدرة على التكيف بسرعة مع الظروف الخاصة لمسرح العمليات فى ليبيا ومصر، ثم قام هتلر فى المساء بإطلاع روملِ على الصحف البريطانية والأمريكية المصورة والتى أسهبت فى وصف تقديم الجنرال "ويفل" عبر إقليم برقة ولم يحاول روملِ إخفاء صدمته من الطريقة المثيرة التى نهج عليها ويفل فى تنسيق التعاون بين التشكيلات المدرعة والقوات الجوية والقوات البحرية وكتب روملِ إلى زوجته "لوسى" فى اليوم ذاته رسالة جاء فيها":

عزيزتى الغالية لوسى 6 من فبراير 1941.

وصلت إلى مقر القيادة فى "ستاتسن" الساعة 12.45 وتقدمت إلى القائد العام ثم قابلنى "الفوهر" وجرت الأمور بسرعة ولحق بى متاعى إلى هنا غير أنى لم أتمكن أن آخذ منه إلا ما هو ضرورى جدًا، ولست بحاجة إلى أن أقول لك إن فكرى مضطرب جدًا، فهناك الكثير مما يجب عمله وقد تنقضى أشهر قبل أن تسير العجلة كما يجب لها أن تسير وها هى أجازتنا قد اقتطعت من جديد لا تحزنى هكذا يجب أن تكونى أو واجبى الجديد هو على درجة كبيرة من الأهمية.

عزيزتى الغالية لو - 7 من فبراير 1941.

نمت الليلة بمتاعى وثيابى وهذه هى الطريقة التى بها أوصيت لعلاج آلام الروماتيزم، لدى الكثير مما يجب على أن أعمله لأجمع كل شىء خلال الساعات القليلة التى بقيت أمامى - وكان رومل يعانى من آلام الروماتيزم وقد نصحه طبيبه بأخذ العلاج والنقاهة فى مصر عند وصوله إليها.

وصل رومل إلى روما فى 11/2/1941 يقابل قادته الإيطاليين الذين اختلف معهم بعدئذ بالرأى فى مناسبات متعددة وقابل رومل القائد الأعلى لقوات المغاوير - الجنرال غوزونى - وعرض عليه مشروعه للدفاع عن خليج سرت والساحل، فأظهر هذا حماسته للمشروع، ثم قابل رئيس هيئة أركان الجيش الإيطالى - الجنرال رواتا - الذى كان قد تلقى أمرًا بمرافقة رومل إلى ليبيا، وانتقل بعد الظهر بالطائرة إلى "كاتانى" لمقابلة قائد القوة الجوية العاشرة - الجنرال غيسلر - واستعرض معه آخر التطورات على مسرح العمليات فى ليبيا وكان الفليق الجوى الألمانى يتعرض بطائراته على قوافل التموين البريطانية المتجهة إلى بنغازى ولم تكن التطورات الحربية فى الجبهة

الليبية باعثة الطمأنينة فقد كان الجنرال البريطانى "ويفل" استولى على بنغازى ودمر فى طريقه آخر الفرق المدرعة الإيطالية جنوب هذه المدينة وأخذ فى الإعداد لاجتياح طرابلس، وكان أسوأ ما فى الموقف هو فقدان الثقة بإمكانيات الاعتماد على بقية القوات الإيطالية لتنظيم دفاع قوى وجازم عن طرابلس، وهو يعنى أنه إذا ما تقدمت القوات البريطانية واستولت على طرابلس فإن وصول الدعم الألمانى بحسب ماهو مخطط له سياتى متأخرًا جدًا فكان لابد من إيقاف الهجوم البريطانى والتحرك بأقصى سرعة ممكنة والتمس رومل من الجنرال "غيسلر" برجاء أن يقذف فى الليل بثقل طائراته للهجوم على بنغازى ثم يقوم فى صباح اليوم التالى يوم 12/2/1941 بالهجوم على الأرتال البريطانية التى كانت تقدم إلى الجنوب الغربى من هذه المدينة، ولكن الجنرال "غيسلر" عارض اقتراح رومل بشدة لأن المستوطنين الإيطاليين فى هذه المدينة ومن بينهم عدد كبير من الضباط كانوا يمتلكون بيوتًا فخمة وقد جهزوها بالأثاث الفاخر وطلبوا إلى الجنرال غيسلر تجنب قصف المدينة أو التعرض لها لكن رومل رفض الأخذ بهذه الحجج.

حصل رومل فى نفس الليلة على موافقة هتلر بقصف القوات البريطانية وما هى إلا ساعات قليلة حتى كانت القازفات الألمانية فى طريقها لقصف قوافل الإمداد البريطانية المتجهة إلى بنغازى فى حين غادرت قوة الاستطلاع الجوى الألمانية "كاتانى" فى الساعة العاشرة من يوم 12/2/1941 وحطت على مطار طرابلس فيما غادر رومل المطار فى الوقت ذاته وشاهد وهو فى الجو أسراب طائرات الجونكر الألمانية وهى تحلق على ارتفاع منخفض حتى كأنها تلامس أمواج البحر وهى فى طريقها لنقل الإمدادات المخصصة للقوات الجوية الألمانية فى مطار "كاستل بنيتو" - إلى الجنوب - طرابلس، ووصل

روميل حوالى الظهـر إلى هذا المطار فعلم فور وصـوله باستقـالة غرازيانى من منصبه القيادى وتسليم هذه القيادة إلى رئيس هيئة أركان الجنرال "غاريبولدى" وعلم أيضًا أن الوحـدات الإيطالية قد انسحـبت من مواقعهـا وهى ممزقة وأن الجنود قد تركـوا وراءهم أسلحتهم وذخائرهم وحـاولوا الوصول إلى طرابلس بمركبات النقل التى حملت فوق قدرتها على الاحتمال وأنهم أثاروا بانسحابهم قدرًا غيـر قليل من الاضطراب والفوضى حتى أن بعضـهم تبادل إطلاق النار مع بعض الآخر وأن الروح المعنوية للإيطاليين فى طرابلس متدهورة حتى أدنى درجاتها وأن القسم الأكبر من الضباط قـد حزموا أمتعتهم ولا أمل إلا بالعودة سريعًا إلى إيطاليا.

نلاحظ مما سـبق أن روميل حتى قبل وصـوله أو تطأ قدمـاه إلى الجبـهة الليبية يقـوم بعمليات قصف جوى هجومى عن طريق الـقاذفات الألمانية على القوات البـريطانية مما يعنى قوة الإرادة والتصـميم على النصر حيث الفـلسفة العسكرية لدى روميل تعنى الخطة الهجومية والقيام بالـهجمات المباغتة السريعة وعنصر المفاجئة الـقتالية الهجومية والذى يعتـبر أخذ المبادرة بدلاً من الانتظار والطريقة الهجومية بدلاً من الطريقة الدفـاعية الانهزامية، وهذا ما كان ينقص القوات الإيطاليـة، هو المبادرة إضافـة إلى ضعف الروح المعنوية القتـالية لدى القوات المسلحة الإيـطالية وبهذه الطريقة فإن روميل يـبعث بروح الأمل ويشد أزر الإيطاليـين للقتـال والخروج إلى أرض المعـارك بدلاً من التخـاذل والروح الانهزامية[1].

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق، ص109

يقول رومل عن خططه فى ليبيا ما يلى:

قدمت نفسى فى صبيحة يوم 11 فبراير للجنرال جازونى رئيس آركان القيادة العليا فى روما، وهناك عرضت عليه خطة نقل الدفاع من طرابلس إلى منطقة خليج سيرته وقد وافق موافقة كاملة. وصدرت التعليمات للجنرال رواتا (رئيس أركان الجيش الإيطالى) بمرافقتى إلى ليبيا. وفى عصر هذا اليوم ركبت الطائرة إلى صقلية حيث قابلت الجنرال جايسلر قائد الفيلق العاشر الجوى الألمانى، وكانت آخر الأنباء الواردة من أفريقيا سيئة للغاية فقد استولى ويفل على بنى غازى ودمر آخر فرقة مدرعة للإيطاليين جنوبى المدينة وكان على وشك التغلغل فى طرابلس، وفى الواقع فلن تستطيع القوات الإيطالية المقاومة بأكثر مما فعلته، ومن الجائز وصول القوات البريطانية القائدة إلى مشارف طرابلس فى الأيام القليلة التالية ولما كانت أولى الفرق الألمانية لن يتم استكمالها فى شمال ليبيا إلا فى منتصف أبريل، فإن معونتها ستكون متأخرة وغير ذات قيمة (إذا ما استمر العدو فى تقديمه)، ولذلك كان يجب على أن عمل فى الحال أى شىء لإيقاف الهجوم البريطانى.

وعليه فقد طلبت من الجنرال جايسلر أن يهاجم ميناء بنى غازى فى نفس الليلة ويرسل قاذفاته فى الصباح التالى لمهاجمة القوات البريطانية جنوب غرب المدينة. ولم يوافق جايسلر فى أول الأمر ويبدو أن الإيطاليين طلبوا منه عدم قذف بنى غازى بالقنابل لأن كثيراً من الضباط والمدنيين الإيطاليين يمتلكون منازلاً هناك. ولم أصبر على هذا، وقام العقيد شماندت بالاتصال بمقر قيادة الفوهرر نلقى تعليماته بالموافقة، وبعدها بساعات قامت أولى القاذفات الألمانية فى مهمتها لضرب قوافل التموين البريطانية المتجهة إلى بنى غازى.

وحوالى سعت (1000) من الصابح التالى (12 فبراير) تحركت مجموعتنا الاستطلاعية جوا من صقلية متجهة إلى طرابلس وأثناء طيراننا المنخفض فوق الماء قابلنا أسرابًا عديدة من الطائرات الألمانية عائدة من طرابلس حيث كانت تقوم بتموين السلاح الجوى الألمانى الموجود فى أفريقيا. وفى وقت الظهيرة حططنا رحالنا فى قصر بنيتو جنوب طرابلس واستقبلنا الملازم هيجزنر (ضابط الاتصال الألمانى لدى القيادة الإيطالية فى الصحراء العربية) وأخبرنا أن المارشال جرازيانى قد تخلى عن القيادة وسلمها لرئيس أركانه الجنرال جاريبولدى. ووضعنى فى الصورة فيما يختص بتوزيع القوات الإيطالية فى أسلحتها وذخيرتها وتسلقت السيارات المحملة فى محاولة يائسة للهروب نحو الغرب وقد أدى هذا إلى حوادث مؤسفة، وصلت إلى تبادل إطلاق النيران وكانت الروح المعنوية منهارة لأقصى درجة فى الدوائر العسكرية فى طرابلس وكان أغلب الضباط الإيطاليين قد حزموا أمتعتهم، بأمل الرحيل إلى إيطاليا.

وفى حوالى سعت (1300) قدمت نفسى للجنرال جاريبولدى ووضعته فى الصورة فيما يتعلق بمهمتى وكان حماسة فاترًا أثناء شرحى لخطة الدفاع عن خليج سيرته، وعلى الخريطة شرحت له الخطوط العريضة لخطتى فى الدفاع عن طرابلس وكانت تتضمن المبادئ التالية: عدم التراجع أى خطوة للخلف مع تقديم معاونة قوية من السلاح الجوى الألمانى والقاء كل ما يتيسر من القوات (بما فى ذلك القوات الألمانية الأولى بمجرد نزولها البر) للدفاع عن منطقة سيرته، وكنت أعتقد أن البريطانيين إن لم يشعروا بالمقاومة فغالبًا سيستمرون فى التقدم ولكنهم لو قرروا خوض غمار معركة أخرى فلن يجازفوا بالهجوم قبل التوقف لتنظيم عملية الإمداد التموين، وكنت آمل استغلال هذا الموقف والوقت فى حشد قواتنا لتصبح على درجة كافية من القوة تسمح لنا بالصمود فى وجه هجوم الأعداء.

رومل يقوم بالاستطلاع فى ليبيا:

ولكن بدا على جاريبولدى عدم الاقتناع بكل هذا. وكان منهارا للغاية بسبب الهزيمة، ونصحنى بإلقاء نظرة على الأرض أولا فى منطقة سرتة لأننى حديث العهد بمسرح العمليات وأعتقد أننى لم أقدر صعوبة الظروف والأرض هناك. وضغطت عليه بقدر ما أمكن وأبلغته أننا لن نساعدهم ما لم يصمدوا فى الدفاع عند سرتة. وأضفت، أننى غير محتاج لوقت طويل للإلمام بطبيعة الأرض، وسأقوم بالاستطلاع جوا فى عصر اليوم والاتصال بالقيادة العليا فى المساء، ونظر لحرج الموقف وفشل القيادة الإيطالية صممت الخروج على التعليمات بالاقتصار على الاستطلاع وقررت بالفعل الاستيلاء على القيادة فى الجبهة فى أقرب وقت (أى بعد وصول أولى القوات الألمانية على أكثر تقدير). وفى روما لمحت بهذا الكلام للجنرال فون رينتلن، ونصحنى بعدم القيام به لأن هذا هو أقصر الطرق لإضاعة الشرف والسمعة وقامت طائرتنا فى عصر هذا اليوم بجولتها فوق الصحراء الليبية وكان معى العقيد شماندت. وبعد استطلاعنا للمواقع والخنادق شرق طرابلس حلقنا فوق منطقة زمنية ويبدو أنه يصعب السير فيها بالسيارات والدبابات على السواء أى أنها ستكون مانعًا جيدًا أمام طرابلس.

استمرت الرحلة فوق المنطقة الجبلية بين طرهونة والخمص وهى غير مناسبة على ما بدا لنا لاستخدام القوات المحملة أما السهل المنبسط بين حمص ومسراته فقد بدا مثاليًا من هذه الناحية وكان الطريق المرصوف يمتد بعيدًا إلى أبعد ما يمكن أن ترى العين مثل شريط أسود فى الأرض الجرداء التى لا تظهر فيها أى شجرة أو زرع ومررنا على البويرات وهى حصن صحراوى صغير

ويوجد حوله عدة أكواخ وأرض لنزول الطائرات، وأخيرا حلقنا فوق منازل سرتة البيضاء ورأينا القوات الإيطالية فى مواقعها شرق وجنوب شرق القرية.

ولم يكن هناك أى ثغرة مثل مضيق أو واد عميق فى الآرض كلها فيما عدا الملاحات بين سيرته والبوريات التى تمتد عدة أميال نحو الجنوب. وأكدت لى الرحلة صحة خطتى (بتحصين سيرته والأرض على جانبى الطريق الساحلى والاحتفاظ بقوات محملة للدفاع المتحرك).

وفى المساء عندما قابلنا الجنرال جاريبولدى لتقديم تقريرى عن استطلاعنا كان الجنرال رواتا قد وصل بالفعل وأحضر معه تعليمات الدوتشى الجديدة. وبعد ذلك لم يكن هناك أى عائق فى طريقى.

وفى اليوم التالى كان على الفيلق العاشر الإيطالى المكون من (فرقتى بريسكيا وبافيا) التقدم إلى منطقة سيرته البوبرات وتجهيز موقع دفاعى على أن تدفع فى أعقابه فرقة أريتى المدرعة (التى كانت فى هذا الحين تمتلك 60 دبابة فقط من أنواع عتيقة للغاية وكانت خفيفة جدًا، وكانت قد استخدمت قبل هذا فى مطاردة الوطنيين فى الحبشة) على أن تحتل موقع غربى البوبرات، وكانت هذه هى القوات التى أمكننى فى ذلك الوقت حشدها. وكان يسبب تحريك هذه القوات (المحدودة للغاية) وحدها إرباكًا للقيادة العليا الإيطالية لأنها لا تمتلك الحملة الكافية، علاوة على طول المسافة بين طرابلس والبوبرات (250ميلاً).

وعلى لم يكن من المتوقع أن تصل هذه التشكيلات الإيطالية إلى الجبهة بسرعة، وهذا كان معناه أن القوة الوحيدة التى تمكنها صد العدو (بجانب الحامية الإيطالية الصغيرة فى سرتة) هو السلاح الجوى الألمانى، وعليه فطلبنا من قائد السلاح الجوى الألمانى فى الصحراء العربية وهو الجنرال فريهليخ

القيام بهذا الواجب بعد أن بينا له أهميته الحيوية بالنسبة لمستقبل العمليات فى الصحراء العربية. وطلبت المعاونة من قائد الفليق العاشر الجوى الألمانى فى هذا الواجب، وقد قاموا بمساعدتنا فى الخروج من هذا المأزق بالقوات المحدودة والمتيسرة لهم وبكل ما فى وسعهم نهارًا وليلاً ونجحوا فى هذا إلى حد كبير لأن جيش الجنرال ويفل ثبت عند العقيلة[1].

الموقف البريطانى من رومل:

استدعى الجنرال البريطانى "جامبير" إلى غرفة خاصة من غرف فندق إيطالى فى بنغازى حيث سلمه أحد ضباط الاستخبارات البريطانية مخلفًا أحمر يتضمن المعلومات عن قائد الفيلق الأفريقى الألمانى وهى تقول:

"إن رومل أورين" ولد فى نوفمبر 1891 فى بلدة هايدن هايم بمقاطعة "ورتمبرغ"، وفى هذه المقاطعة ألحق بأحد أفواج المشاه عام 1910 حين كان لا يزال ملازمًا، والتحق بعد ذلك بأكاديمية الحرب فى "دانزيغ" عام 1912 وفى الحرب العالمية الأولى قاتل فى معركة "آراغون" وفى إيطاليا ورومانيا، وجرح مرتين فمنح وسام الشجاعة وبين الحربين غدا قائد فوج ولما نشبت الحرب العالمية الثانية اختير قائدًا لمركز القيادة النازية فى بولونيا ثم عهد إليه بقيادة الفرقة السابعة المدرعة إحدى فرق الفيلق الخامس عشر". وكان الجنرال "جامبير" يقرأ هذه المعلومات للجنرال "ينم" فلم بلغ هذه النقطة قال الجنرال "ينم" - "لقد كانت هذه الفرقة - أى الفرقة السابعة المدرعة - تدعى فرقة الأشباح، وهى التى قامت باجتياز نهر "الماس" فى معركة فرنسا" وتابع الجنرال البريطانى "جامبير" قراءة التقرير:

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 17 - 21.

"وكـاد روميل يؤسـر فى 21/ 3/ 1940 حـين قـامت القـوات الحليـفـة بهجومها المضاد فى آراسى، وبعدئذ استـطاع اختراق خطوطنا وقاد فرقته حتى مدينة "ليل" وتقـديرًا لانتصاره منح وسام "صليب الفـارس" ويقال أنه منح أيضًا وسام "أوراق البلوط" وأغلب الظن أنه موجود مع هيئة أركان حربه فى طرابلس منذ 12 من فبراير 1941".

ووجد الجنرالان البـريطانيان فى هذا التـقرير الموجز مـا يعطيهـما فكرة كافية عن روميل وما أن انتهى الجنرال "جامبير" من تلاوته حتى توجه الجنرال "ينم" إلى النافـذة واستغـرق فى التفكيـر، لقد كـانت المخابرات البريـطانية استنادًا إلى معلومات مستقاة من أرفع المصادر فى برلين تؤكد أن وجود روميل وقواته فى "ليبيـا" ليس أكثر من محاولة لتقـوية معنويات الإيطاليين ذلك أن فرقة ألمانية واحدة غير كفاية لقـيام الألمان بهجوم فى "ليبيا" وهى لم تكتسب بعد أية خـبرة فى حـرب الصحراء أمـا المعلومات الواردة من الاسـتخـبارات البريطانية فى الدوائر الإيطالية وكانت تؤكد أنه لا يوجـد فى ليبيا قوات ألمانية غيـر الفرقة الخامـسة الخفـيفة وأن الغاية من وجـودها مجرد تقـوية معنويات الإيطاليـين أيضًـا واسـتنادًا إلى هذه التـقـارير وإلى رسـالة سـرية عـسكرية استخـباراتية جاءت من لنـدن توصل الجنرال "ويفل" مع الجنرال "أوكونور" بعد ثلاثة أيام من دراسة هذا الموضـوع فى القاهرة من كافة جوانبـه فى مساء 31/ 3/ 1941 وانتهت إلى الاقتناع بأن الهجـوم الألمانى - الإيطالى غير متوقع قبل آخـر شهـر مايو 1941 ذلك أن تقاريـر عملاء الاسـتخـبارات البريـطانية الأخيـرة كانت تؤكـد أن هتلر منع روميل من القيـام بأى هجوم مـضاد واسع النطاق، وتنفيذ مثل هذا الهجوم كان يقتضى إرسال فرقتين آخريين على الأقل وكل هذا كان متفقًا مع تقارير دوريات الاستطلاع.

هكذا كانت خطط هتلر والقيادة الألمانية العليا فى مسرح العمليات فى ليبيا وأوامره السرية ومؤتمراته العسكرية فى مقر القيادة الألمانية العليا معروفة ومكشوفه كلها لدى البريطانيين بكل دقة، ولكن قد يحدث أحيانًا أن تؤدى تقارير أكفأ أجهزة المخابرات إلى نتائج عكسية تحمل فى طياتها أشد الأخطار وهذا ما حدث للبريطانيين فى ليبيا مرتين رغم صحة تقارير الاستحبارت البريطانية، ذلك أن هذه التقارير كانت قد أشارت إلى أمرين صادرين عن هتلر تحت رقم 18 ورقم 22، واتخذ البريطانيون التدابير المضادة لهذين الأمرين ولكن رومل لم يتبع الخطط الواردة فى الأمرين بل أتبع خططًا أخرى وكانت النتيجة انتصارًا بالغ السهولة للألمان، وكانت تقديرات هتلر تقول باحتمال قيام القوات الإيطالية بعملية اختراق للحدود المصرية، وعلى أساس هذه التقديرات كان يرى أن الإيطاليين لن يحتاجوا فى مثل هذه الحالة إلى مساعدة القوات الألمانية الجوية والمدرعة إلا من أجل احتلال قناة السويس وإغلاقها، ولذلك جاء الأمر الذى أصدره تحت رقم 88 بتاريخ 12/ 11/ 1940 رأى قبل هزيمة إيطاليا فى الجبهة المصرية - الليبية ينص على[1]:

"أن لا تشترك القوات الألمانية فى حرب الجبهة الليبية - المصرية إلا عندما يصل الإيطاليون إلى مرسى مطروح وعندئذ يمكن بصورة مبدئية إشراك القوات الجوية الألمانية بشرط أن يضع الإيطاليون القواعد اللازمة تحت أوامر هذه القوات ولابد أن تتخذ الترتيبات لاشتراك الأسلحة الثلاثة للقوات المسلحة الألمانية فى هذه الحملة أو أية حملة فى الميدان المصرى - الليبى على الأساس الآتى:

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 16.

1 - **القوات البرية**: بتجهيز فرقة مدرعة تبقى على أهبة الاستعداد للعمل فى ليبيا.

2 - **القوات البحرية**: إصلاح السفن الإيطالية الرأسية فى موانئ إيطاليا وأعدادهم لنقل أكبر عدد ممكن إلى ليبيا أو إلى تونس والجزائر.

3 - **القوات الجوية**: الاستعداد للقيام بعمليات هجومية على الإسكندرية وقناة السويس بغية إغلاق هذا الممر المائى فى وجه القوات البريطانية.

نجد أن الموقف العسكرى كان قد انقلب على عقبيه بعد شهر فلم يعد القيام بهجوم إيطالى واردًا، بل كان البريطانيون قد أخذوا يتقدمون باتجاه الغرب منذ 8/ 1/ 1940 وفى العاشر من هذا الشهر وجد هتلر نفسه مضطرًا لإعادة النظر فى أمره السابق وأصدر أمرًا آخر لسلاح الطيران الألمانى يقضى "بالعمل فى ليبيا بأقصى السرعة انطلاقًا من قواعد جنوب إيطاليا وبضرورة مهاجمة الأسطول البريطانى فى الإسكندرية وقناة السويس والمضيق الواقع بين صقلية وساحل الشمالى فى ليبيا ومصر "كما وجد هتلر نفسه مضطرًا فى الوقت نفسه إلى الأمر باتخاذ الاستعدادات لنقل الفرقة المدرعة المخصصة لجبهة العمليات العسكرية فى ليبيا التى كانت تعتبر دائمًا بالنسبة لهتلر مسرحًا ثانويًا من مسارح القتال إذ كانت جميع خططه وأوامره متأثرة بالخطة الموضوعة لغزو روسيا ولم تنقض ثلاثة أسابيع حتى ظهرت الهزيمة الإيطالية بادية للعيان واضطر هتلر فى 11/ 1/ 1941 أن يصدر أمرًا تحت رقم 22 يقول فيه "إن الموقف الإستراتيجى والسياسى والنفسى فى المتوسط يتطلب المعونة ويتحتم فى كل حال إنقاذ طرابلس". على أن هتلر لم يكن ينظر إلى الموقف رغم هذا القرار الحاسم إلا زاوية دفاعية فحسب، إذ كان يعتقد بأنه لا أمل فى

الوصول إلى نتائج حاسمة فى الحرب فى مسرح البحر المتوسط، وكان قد صمم على إخضاع روسيا فى ستة أشهر ولذلك ما كان يعتقد أنه يستطيع تحقيق نصر سريع فى الجبهة المصرية - الليبية، وفى منتصف يناير كان هتلر لا يزال يرى أن الإيطاليين والألمان لن يمكنهم شن هجوم على مصر قبل خريف 1942. ذلك أن كان يعتقد أنه يكون خلال ذلك الوقت قد دمر روسيا وقد بلغ من ثقته بالنصر على الجبهة الشرقية أنه أعلن فى فبراير 1941 أن فقدان ليبيا ليمكن احتماله عسكريًا ولكن تأثيره النفسى على إيطاليا سيكون سيئًا لذلك:

"يجب بذل كل الجهد لضمان بقاء ليبيا وتحقيقًا لهذه الغاية يجب إشراك سلاح الطيران الألمانى مع قوة مناسبة من الجيش". والمقصود بهذه القوة عناصر من "الفيلق الأفريقى". لا تتجاوز حدود فرقة واحدة. على أن سرعة التقدم البريطانى التى أدت إلى بلوغ بنغازى فى 6/ 2/ 1941 حملت هتلر على التبديل من رأيه واضطرته لتدعيم القوة الألمانية التى أرسلت لمساعدة الإيطاليين وذلك بتعزيز الفرقة الخامسة الحقيقة بالفرقة المدرعة الخامسة عشرة وبتعيين "إروين روميل" قائدًا عامًا للقوات الألمانية فى ليبيا، وكان هذا التعيين الذى اقترن بتصديق الفيلد مارشال برادختش القائد الألمانى العالم فى 6/ 2/ 1941 إيذانًا بدخول ثعلب الصحراء أو أبو ثعالب الصحر روميل تاريخ الحرب العالمية الثانية ثم الباب العريض.

أتيحت لروميل الوقت لدراسة ظروف وأسباب الهزيمة القاسية الإيطالية وقد كتب فيما بعد: "على القائد العسكرى أن يطلب بإصرار أقصى جهد من الجميع وينبغى عليه أن يبعد بلا رحمة كل من يستلم منصبًا حيويًا ولا يقدم الجهد المطلوب منه، ولا يملك فهمًا سويًا لمسائل التنظيم العملى. وعلى

القائد أن يعوِّد هيئة أركانه على العمل بأقصى مردود منذ البدء وأن لا يتسامح بأى إبطاء" هذا ما قاله حول روح قيادته والمناخ الذى يسودها، وكان روميل كرجل تكتيك من الطراز الأول يفهم أيضًا ضرورات "اللوجيستك" الشؤون الإدارية إلا أنها ليست عقبة بالنسبة له ابدًا وكان يؤنب ضباط الإدارة "المعتمدية" "Jntendance" الذين يبرزون العراقيل "بدلاً من الارتجال بإمكاناتهم المتيسرة". ولكن على القائد فى رأيه أن يكون فكرة شخصية واضحة جدًا عن الإمكانيات الحقيقية لأجهزة تموينه وأن يبنى طلباته على تقديره الشخصى[1].

أولى عمليات رومل فى الجبهة الليبية:

أصبحت صورة الموقف قاتمة جدًا أمام رومل الذى قابل الجنرال "غاربى ولدى" فى اليوم التالى بعد وصوله طرابلس فى الساعة الواحدة بعد الظهر وعرض عليه مشروعه للدفاع عن طرابلس وإقامة موقع دفاعى لحماية خليج "سرت". وعدم السماح بالتراجع ولو خطوة واحدة نحو الوراء واستخدام كل القوة الجوية المتوافرة لضرب البريطانين مع استخدام كافة القوى المتوافرة لتنظيم الدفاع، لكن الجنرال الإيطالى غاريبولدى لم يظهر حماسة لهذه الخطة وأخذ فى إظهار الحجج عن ضعف الإمكانيات المتوافرة وعن طبيعة الأرض الصعبة للدفاع إلخ... فما كان من رومل إلا أن استقل طائرة استطلاع بعد الظهر وقام بجولة حول طرابلس، فرأس المواقع الدفاعية الإيطالية ورأى الأرض الربعية التى لا تساعد على تقدم المركبات أو الدبابات فى كثير من المناطق والتى تشكل عائقًا طبيعيًا أمام التقدم نحو المواقع الدفاعية الحصينة فى طرابلس وعاد رومل من جولته الاستطلاعية وهو أكثر قناعة بتوافر القدرة

---

(1) أمل دنتيسى - المرجع السابق ص 125.

للدفاع عن سرتة وما حولها، فقابل الجنرال "غاريبولدى" بحضور رئيس هيئة الأركان الإيطالى الجنرال "رواتا" الذى قام بدعم رومل وأجرى الاتصالات مع روما لإصدار الأوامر باسم الدوتشي وهكذا أمسك رومل بالموقف فى قبضة وأكره القيادة الإيطالية فى ليبيا على قبول مشاريعه وتولى القيادة رغمًا عنها وشرع بالتعاون مع القوات الجوية الألمانية التى بذلت كل ما تستطيعه من جهد لإخراج رومل من مأزقه فزجت طائراتها للعمل فى الليل والنهار إلى أن تمكنت من إيقاف تقدم قوات "ويفل" أمام "العقيلة" وقام رومل بعد بضعة أيام بزيارة للمواقع الدفاعية التى أعاد تنظيمها فوجد القوات الإيطالية وقد استعادت الثقة بقدرتها[1].

- رومل يحث الإيطاليين على احتلال منطقة سرتة:

طرت بعد عدة أيام إلى سرتة للتفتيش على القوات الإيطالية المحتلة لمواقعها هناك، وكان مجموعها حوالى لواء من المشاة وقيادتها كانت ناجحة بواسطة العقيد جراتي والرائد سانتا ماريا. وكان هذا التشكيل هو الوحيد المتيسر لمواجهة الإنجليز ولذا يمكن تقدير مخاوفنا من مثل هذا الموقف وكانت قواتنا الباقية موجودة على مسافة حوالى 200 ميل نحو الغرب.

وبعد حتى للإيطاليين قاموا فى 14 فبراير بتحريك أولى فرقهم نحو سرتة وفى نفس اليوم وصلت إلى ميناء طرابلس أولى الوحدات الألمانية (الكتيبة 3 استطلاع وكتيبة مضادة للدبابات) ونظرًا لخطورة الموقف حثهم على الإسراع بالنزول وطلبت منهم الاستمرار فى العملية ليلاً وعلى أضواء المصابيح وكان علىَّ أن أقبل المخاطرة للتعرض بكل بساطة لهجوم جوى للعدو.

---

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 110.

يعتبر تـفريغ هذه الناقلة (التى كانت حمولتهـا ستة آلاف طن) فى ليلة واحدة وفى ميناء طرابلس رقمًا قياسيًـا، وفى الصباح الباكر من اليوم التالى، وزع على الجنود معداتهم الخاصة بالمناطق الحارة، وفى سعت (1100) اصطفوا فى الميـدان المواجه لمـبنى الحكومة. وكـان يشع منهم روح الثـقـة الكاملة فى النصر، وهـذا التغيـير (المعنوى) لم يمـر فى طرابلس بدون ملاحـظة. وبعد استعراض صـغير تحرك البارون فون وبخمار (قـائد الكتيبة 3 استطلاع) بقوته إلى سيرته وكان قـد وصل للجبهة منذ 27 ساعة، وفى يوم 16 فبراير قامت قوات الاستطلاع الألمانية بالتعاون مع قول سـانتا ماريا فى أولى عملياتها ضد العدو. وبعدها تسلمت قيادة الجبهة وعـاد العقيد شماندت إلى رئاسة الفوهرر قبل ذلك ببضعة أيام[1].

بناءً على إلحاح «هتلر» توجهت فى يوم 14/ 2/ 1941 أول فرقـة إيطالية إلى خليج "سرت" وفى اليوم ذاته كانـت الإنسان الأولى من القوات الألمانية قد بدأت بالإنزال على أرض طرابلس فأمـر روميل بالإسراع فى عملية الإنزال وأن تستـمر هذه العمـلية طوال الليل للإفادة من ضـوء القمـر، فأمكن بذلك إنزال ستـة آلاف طن وتم نقلها بـعيدًا عن السـاحل لتجنب إغـارات طائرات سلك الجو الملكى البريطانى، وفـى الساعة الحادية عشرة من نهـار اليوم التالى وكانت القوات الألمانية وقـد وقفت بأسلحتها وهى جاهزة للمعـركة أمام قصر الحكومة وارتفعت الروح المعنوية للإيطاليين ولسكان طرابلس حيث كان روميل قـد حصل على انطبـاع بأن الإيطاليـين فى غاية التـشاؤم بعـد أن أصابتـهم الانتكاسات المضـجعة فى اشتـباكهم الأول مع البريطانيـين لذلك قرر الجنرال روميل تحرير الإيطاليين من تخـوفهم ولما وصلت طلائع الفرقة الخفيـة الخامسة

(1) مذكرات روميل - المرجع السابق ص 22.

الألمانية إلى طرابلس أجرى لها استغراضًا ثم أرسلها فورًا إلى الجبهة وتبعها إلى هناك حيث تولى قيادتها ومنحها نفحة من عنفوانه المأثور وبعد يومين 16/ 2/ 1941 كانت القوات الألمانية قد احتلت مواقعها جنبًا إلى جنب مع القوات الإيطالية وكتب رومل إلى زوجته "لوسى".

عزيزتى لو - 1941/2/14

تطورت الأمور قدر المستطاع نحو الأفضل ولى أمل فى الوصول إلى تسيير هذا الجهاز الحربى، صحتى جيدة وبإمكانك عدم القلق من هذه الناحية العمل هنا ضخم وقمت بجولة على الأمكنة جميعها وعيناى مفتوحتان جيدًا

نجد أن روملى من خلال الحملة على فرنسا كان فى بادئ الأمر يقود فرقة "البانزر" السابعة على محور محدد وأكد على جدوى استثمار النصر بفضل قيادته الشخصية فى الأمام ثم تمكن فيما بعد من تطوير حجم مناورة مجموعته المدرعة باندفاعات جانبية، أما فى الصحراء حيث أصبح لديه الفرقة الخفيفة "5" وفرقة "البانزر" "15" الألمانيتان ووحدات إيطالية آلية ولم يكن هناك محور يسير عليه واتسعت إمكانيات المناورة بالنسبة إليه أيضًا، وقد ساعدته الأحداث فى بدايات حربه فى الصحراء التى كانت غريبة عليه ونزلت أول قطاعاته بتاريخ 14/ 2/ 1941 ومنذ 16/ 2/ 1941 كانت دورياته تجوب الجبهة الواقعة على بعد 500 كم إلى الشرق من طرابلس[1].

عزيزتى الغالية "لو" 1941/2/17:

تسير الأمور بشكل رائع بالنسبة لى ولمن معى تحت هذه السماء ووجدت طريقة ناجحة جدًا للتفاهم مع القيادة الإيطالية وليس بالمستطاع توقع تعاون

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق ص 125.

أفضل وقد وصلت قواتي إلى خطوط الجبهة التي دفعت 500كم تقريبًا نحو الشرق، وما يهمني الآن هو وصول بقية القوات.

يقول روميل في مذكراته:

بواسطة رحلاتي الجوية اليومية بين طرابلس والجبهة توصلت إلى التعرف على طرابلس جيدًا وأعجبت للغاية بما حققه الإيطاليون هناك. فقد تركوا آثارهم في أنحاء البلاد وخاصة حولة طرابلس وطرهونة والخمص.

أخذت تفد إلى الجبهة يوميًا القوات الإيطالية والألمانية. وبالرغم من اعتراض الإيطاليين قام رئيس الشئون الإدارية لفيلق أفريقيا (الرائد أوتو) وهو رجل ممتاز بتنظيم الإمداد على طول الساحل بواسطة سفن صغيرة وبذلك حذف الضغط إلى حد كبير عن قواتنا الميكانيكية ولسوء الحظ لم يقم الإيطاليون بمد الخط الحديدة بجوار الساحل، وكان سيكون ذات قيمة عظيمة.

لكي أتمكن من الظهور بأقوى مما أنا عليه، (وبذلك أجبر البريطانيين بالتزام جانب الحذر) أصدرت أوامري للورش (الواقعة على مسافة ثلاثة أميال جنوب طرابلس) بإنتاج عدد من الدبابات الهيكلية وحملتها على سيارات فولكس واجن وكانت تبدو حقيقة بالفعل وفي 17 فبراير زاد نشاط العدو للغاية وانتابني القلق من أن يستأنف هجومه نحو طرابلس وزاد شعوري بهذا عندما تأكدنا يوم 19 فبراير من وجود وحدات بريطانية جديدة بين العقيلة وأجدابية ولكي أشعرهم بنشاطنا قررت دفع الكتيبة الثالثة استطلاعًا للأمام ومعها كتيبة سانتا ماريا والكتيبة 37 مضادة للدبابات إلى المنطقة المحيطة بالنوفيلية بغرض الاتصال بالعدو(1).

---

(21) مذكرات روميل - المرجع السابق ص 23.

أصبح من عادة رومل أن ينطلق بطائرته يوميًا ما بين الجبهة "وطرابلس" لاكتساب المزيد من المعرفة عن طبيعة الإقليم، وكان يرقب انتظام قوافل الإمداد اليومية والتى كانت تنقل إلى الجبهة أرتال القوات الألمانية أو الإيطالية أما الإمداد بالمواد التموينية فقد لجأ رئيس الشئون الإدارية لنقلها بالزوارق الصغيرة التى كانت تسير على امتداد الساحل وذلك للتخفيف عن مركبات النقل العسكرية التى كانت واقعة تحت ضغط كبير بسبب الافتقار للخطوط الحديدة والتى أهمل الإيطاليون أهمية مدها على طول الساحل والتى كان باستطاعتها لو أنشئت أن تسهم إلى حد بعيد فى نقل القوات والإمدادات ولما كان رومل بحاجة لكسب الوقت لقد لجأ إلى الحيلة من أجل خداع البريطانيين عن الحجم الحقيقى لقواته وحملهم على اتخاذ المزيد من تدابير الحذر فأمر بصنع عدد كبير من هياكل الدبابات فى مصنع كان يقع جنوب طرابلس وعلى بعد خمسة كيلومترات منها ثم ركبت هذه الهياكل على السيارات الألمانية الشعبية "فولكسفاغن" فكانت أشبه ما تكون بالدبابات الحقيقية وقام رومل فى يوم 17 فبراير بجولة تأكد خلالها من توقف كل نشاط للقوات البريطانية وهدأت مخاوفه من احتمال القيام بهجوم على طرابلس. وفى اليوم التالى 18/ 2/ 1941 وجه إغارة للتأكد من الوحدات البريطانية الجديدة التى انتشرت بين "العقيلة" وأجدابيا". ووجه إغارة ثانية يوم 24/ 2/ 1941 ونجحت هذه الإغارة فى تدمير ثلاث مركبات مدرعة ومدفع رشاش وعادت بثلاثة أسرى بينهم ضابط بريطانى واستمر مثل هذه الأنشطة ورافقتها عمليات زرع ألغام فى النقاط الخطرة والتى تسمح بتحرك الآليات. وكتب رومل إلى زوجته[1].

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 113.

عدت من جولتى بالطائرة والتى استمرت طوال يومين وشملت خطوط الجبهة وقد فقدمت حتى مسافة 720 كيلو مترًا إلى الشرق وتتطور الأحداث بشكل رائع وقد يكون من المحال ابتعادى عن هنا فى الوقت الحاضر لما يقع على عاتقى من المسؤلية، فكثير من الأشياء باتت مرتبطة بعملى وبمبادأتى الشخصية وأرجو أن تكونى قد تسلمت بعض رسائلى. إن قواتى تسير على الطرق، والسرعة هنا هى أفضل ما يمكن الاعتماد عليه، المناخ يلائمنى تمامًا، ولقد امتد نوعى هذه اليلة حتى الساعة السادسة صباحًا وقد عرض اليوم فيلم "انتصار فى الغرب" وهو يصور اجتياح فرنسا سنة 1940، وحضر العرض عدد كبير من المدعوين ومعهم زوجاتهم وأعلنت بعد انتهاء العرض أننا فى سبيلنا لتحقيق نصر فى ليبيا. وكانت عملياتنا فى المقطع بهدف حمل البريطانيين على مزيد من الانسحاب نحو الشرق وافترض أنهم يعملون حاليًا على تجميع قواتهم الرئيسية حول "أجدابية" وعلى امتداد الساحل حتى "درنة".

أول صدام بين رومل والحلفاء فى ليبيا:

حدث فى 24 فبراير أول صدام بين القوات الألمانية فى الجبهة المصرية - الليبية ودمرنا للعدو عربتى استطلاع وعربة نقل وسيارة وأسرنا ثلاثة جنود بريطانيين من ضمنهم ضباط، ولم تحدث أى خسائر من جانبنا وفى نفس الوقت استمر تحرك باقى الفرقة الخامسة الخفيفة إلى الجبهة حسب الخطة. وكنا لا نزال فى شك من التحركات البريطانية ولكى نوضح الموقف قام الجنرال شترايخ قائد الفرقة الخامسة الخفيفة (والذى تولى قيادة القطاع) بالتقدم إلى مضيق موجتا فى 4 مارس وأقفله بالألغام، ولم ير أى أثر للعدو.

وهذا التحرك كان على جانب كبير من الأهمية لأنه قوى موقفنا بالفعل، وذلك لوصولنا إلى الملاحة المعروفة باسم "السبخة الكبيرة" وهى تمتد لمسافة 20 ميلاً جنوبى الطريق الرئيسى ولا يمكن عبورها بواسطة الحملات إلا فى نقط قليلة ومحدودة، وقد قمنا بتلغيمها بعد ذلك، وبذلك فأى هجوم للأعداء فى هذه المواجهة الصغيرة سيمكن صده بسهولة وأى حركة التفاف للعدو ستضطره للقيام بتحرك طويل عبر أرض رملية وصعبة (وهذا غير ممكن بالنسبة للعدو). وعند موجتا كنا على مسافة خمسمائة ميل شرقى طرابلس وحتى نستطيع استخدام إمدادنا البحرى الساحلى قمنا باحتلال رأس العالى (وهى ميناء صغيرة وضئيلة الأهمية وعديمة القيمة مثل كل الأماكن ذات الأسماء الرنانة) وبعدها بقليل بدأ رئيس الشئون الإدارية فى إرسال الإمدادات إلى هناك.

عزيزتى لو　　　　　　　　5 مارس 1941م

عدت للتو من رحلة جوية إلى الجبهة التى تبعد الآن أربعمائة وخمسين ميلاً نحو الشرق وقد استمرت بيومين - وكل شىء يسير على ما يرام. وأمامى عمل كثير، ولا يمكننى مغادرة الميدان فى الوقت الحالى فلا يمكننى التغيب على الإطلاق فالكثير هنا يتوقف على شخصى وقوتى الدافعية وأرجو أن يكون قد وصلك منى بعض البريد.

تتحرك قواتى فى الوقت الحالى نحو أماكنها فالسرعة هى الشىء الوحيد المهم هنا. والجو ملاءم للغاية بل لقد "راحت على نومة" اليوم لغاية ما بعد السادسة (!!!) وقد أقمنا اليوم حفلة لفيلم (النصر فى الغرب) حيث رحبنا بالضيوف وكان عددهم كبيراً وبعضهم أحضر معه السيدات وأنى آمل أن يأتى اليوم الذى نعرض فيه "النصر فى الصحراء الليبية المصرية".

وانسحب البريطانيون شرقًا نتيجة لعملياتنا ضد موجتنا وقد افترضنا أن قواتهم الأساسية متجمعة حول أجدابية وعلى طول الساحل إلى درنة .

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"لقد نقصت القوات البريطانية (كما وكيفًا) إلى كبير وأكثر مما كان يقدره رومل. وفى نهاية فبراير أرسلت الفرقة السابعة المدرعة الشهيرة إلى مصر للراحة والاستعراض واحتل مكانها نصف الفرقة الثانية المدرعة التى وصلت الجبهة لأول مرة، أما النصف الثانى فقد صار إرساله إلى اليونان. وكما حلت الفرقة التاسعة الأسترالية محل الفرقة السادسة الأسترالية ولكن ظل جزء منها فى طبرق لصعوبة إمداده فى المناطق الأمامية. وبالإضافة إلى افتقار هذه التشكيلات الجديدة للخبرة العملية فإنها فقدت الكثير من عتادها وحملاتها أثناء حملة اليونان ويضاف إلى هذا أن الجنرال أوكونور عاد إلى مصر وحل محله الجنرال نيم الذى لم تكن لديه خبرة بحرب الصحراء الميكانيكية.

ولكى يدعم ويفل الحملة اليونانية إلى أقصى حد تحميل كل المخاطر المذكورة سابقًا، وقد أعتقد أنه يستطيع تجاهل الإيطاليين فى طرابلس وأن الألمان لن يخاطروا بإرسال تشكيلات مدرعة كبيرة إلى الصحراء العربية لعدم وجود الحماية البحرية الإيطالية لها. وقد كان ويفل صائبًا فى تقديره لموقف القيادة الألمانية العليا العام، وفى تقديره أيضًا الدقيق بالنسبة لوصول ما يعادل لواء مدرعًا فقد (وهو الآلاى الخامس البانزر) وإذا قدرنا الموقف تقديرًا منطقيا يمكن القول بأن ويفل كان محقًا فى النتيجة التى وصل إليها فى 12 مارس. وقد قال: "أنا لا أظن أن العدو سيحاول بهذه القوة استعادة بنى غازى". ولكن ويفل لم يدخل فى حسبانه أثناء تقديره هذا شخصية رومل"[1].

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 25.

حاول البريطانيون إعــاقة وصول القوات الألمانية إلى ليبــيا سواء بقواتهم البحــرية أو بطائراتهم التى أغارة على طرابلس غــير أن المحاولات البــريطانية باءت بالفشل وفى 11/ 3/ 1941 تم إنزال اللواء الخامس "البانزر" المجهز بمائة وعــشرين دبابة مــنها ســتــين دبابة حديثــة جــدًا أثارت إعجــاب الإيطاليــين واهتمامهم، وكان لدى الإيطاليين فرقــة دبابات مجهزة بثمانين دبابة وهذا هو ما كان لدى رومل حتى الآن، فقام بنقل مقــر قيادته إلى "سرتة" حتى يصبح أكثــر قربًا من الجبهــة ثم قام يوم 13/ 3/ 1941 بجولتــه الاستطلاعية اليــومية وجابهــته عــاصفــة "القبلى" التى كــادت تدمر طائرته بعــدما دمــرت إحدى الطائرات لكن مــهارة الطيــار أنقذته وكــانت تجربة جــديدة لرومل فى معــرفة الصحراء فــقد كانت الرياح العاصفة تحــمل حبيبات الرمل لتنقلها كــما تحمل سيول الأمطار وكان من المحال التحرك أو النظر لمسافة قريبة وكان من الصعب حتى التنفس فى وسط الغبار 114 .

بقى رومل حتى 18/ 3/ 1941 وفى يوم 19/ 3/ 1941 ركب رومل الطائرة ولم يتوجه كعادته إلى الجبهة وإنما توجــه إلى ألمانيا فقد كان عليه تقديم تقريره لهتلر، وتلقى تعــليماته الجديدة وقــد قلده «هتلر» بهذه المناســبة أوراق البلوط على وسامه الحديدى اعــترافًا بجهوده فى قياده فرقة "البــانزر" السابعة، وقال له القائد الأعلى "براوخــت" أنه من غير المتوقــع فى الظروف الراهنة حدوث أعمال قتالية حاسمة على المسرح الحــربى فى ليبيا ولهذا فأنه من غير المحتمل إرسال دعم جديد لقــوات الفيلق الأفريقى الألمانى فى ليــبيا، وأن على رومل عندما تصله الفــرقة 15 "البانزر" فى نهــاية شهر مــايو الانتقال إلى الهــجوم لتدمير القوات البــريطانية فى "أجدابية" حيث يصبح بالمستطاع مــتابعة التقدم إلى بنغازى للاســتيلاء عليهــا كما تم تحــذير رومل فى القيادة العامــة للقوات

المسلحة من القيام بعمليات على نطاق واسع قبل خريف 1941 ذلك أن للاحتفاظ بالإيطاليين فى مسرح الحرب، وقيل لرومل فى مقر القيادة آن هذه القيادة لم تضع خططًا لعمل حاسم ضد البريطانيين فى ليبيا وأن على رومل أن يعرض خططه على القيادة الألمانية فى تاريخ عينَّه هتلر هو 20/4/ 1941 لشن هجوم محدود فى أواخر شهر مايو بعد وصول الفرقة المدرعة الخامسة عشرة[1].

يتابع رومل مذكراته:

فى هذه المرحلة لم ينجح هجوم العدو على طرابلس بواسطة البحرية والطيران في منع إمداداتنا وفي 11مارس تم إنزال الآلات الخامس بانزر فى طرابلس. وقد أحدثت هذه القوة (فى هذا الحين) بمعداتها الكاملة تأثيرًا ضخمًا على الإيطاليين. وكانت قوة الآلاى الخامس بانزر 120 دبابة ولكن 60 منها كانت متوسطة (بانزر 453). ويضاف إلى هذا 80 دبابة فى فرقة آرينى المدرعة وهى كل الدبابات الصالحة لديها. وفى 13 مارس دفعت بمقر قيادتى إلى سيرته بغرض الاقتراب من الجبهة وكان فى نيتى أصلاً أن أطير إليها ويرفقتى رئيس عملياتى فى طائرة من طراز "جبيلى"، وهى طائرة إيطالية الصنع كما أن «جبلى» هى الكلمة الدارجة بالعربية للعاصفة الرملية وهى مستخدمة بهذا المعنى. ولكن بعد إقلاعنا صادفتنا عاصفة رملية فأجبرت الطيار على العودة بالرغم من سخريتى وحتى له على الاستمرار. اضطررت هناك إلى الاستمرار فى رحلتى إلى مطار مسراته بالسيارة وأدركنا أننا لم نقدر قوة وبأس هذه العاصفة، فقد حجبت سحب التراب الأحمر الضخمة الرؤية بالكامل وجعلت السيارة تكاد تزحف وفى الكثير من الأحيان بلغت سرعة

---

(1) بول كارل – المرجع السابق ص 18.

الريح درجة من القوة استحالت معها أى حركة على الطريق المرصوف وكانت الرمال تتدفق مثل الماء على الزجاج الأمامى وكنا نتنفس بصعوبة وراء مناديلنا التى غطينا بها وجوهنا وكان يغطى العرق أجسامنا بسبب الحرارة الخفية وشكرت الطيار فى سرى واعتذرت له لأن هذا هو "الجبيلى" وقد سقط أحد طيارى السلاح الجوى الألمانى بسبب هذه العاصفة.

وفى 15 مارس قامت قوة ألمانية إيطالية مختلطة تحت قيادة الكونت سوبرين بالتحرك من سيرته نحو مرزوق (على بعد حوالى 450 ميلاً نحو الجنوب) فقد طلبت منا القيادة الإيطالية العليا القيام بهذه العملية لأن قوات الجنرال ديجول بدأت فى إزعاجهم فى جنوب ليبيا أما غرضنا الأساسى من القيام بهذه العملية فكان لاكتساب الخبرة بالتحركات الطويلة مع معرفة ملاءمة عتادنا للظروف فى الصحراء العربية. وبعد ذلك بوقت قصير وصلت فرقة بريطيا بكامل معداتها إلى الخط فى موجتا وبهذا أصبحت الفرقة الخامسة الخفيفة جاهزة للدخول فى العمليات المتحركة.

وفى 19 مارس سافرت بالطائرة إلى مقر قيادة هتلر لأعطيه تمامًا ولأتلقى التعليمات منه، وهناك أنعم على الفوهرر بنيشان "أوراق الغار للصليب الحديدى" وذلك لمجهوداتى أثناء عمليات الفرقة السابعة البانزر فى فرنسا. وأبلغنى (فون براوشين) القائد العام للقوات البرية بعدم وجود نية لتوجيه ضربة حاسمة فى المستقبل القريب فى أفريقيا، أما بالنسبة للوقت الحالى فيجب عدم توقع أى مدد، ولكن فى نهاية مايو وبعد وصول الفرقة الخامسة عشر بانزر يمكن مهاجمة وتدمير العدو حول أجدابية، وربما يمكن الاستيلاء على بنى غازى" . وأوضحت له عدم إمكان الاستيلاء على بنى غازى وحدها بدون احتلال برقة بأسرها، ولا يمكن أيضًا الاحتفاظ بمنطقة

بنى غــازى بدون ذلك. وكنت غــيــر راضى عن مجــهــودات كل من الفــيلد مارشــال براوشيس والجنــرال هالدر التى أدت إلى تقليل عدد القــوات المرسلة إلى أفريقيا وبذلك يتــرك مستقبل مسرح العــمليات المذكور للحظ وكان يجب علينا استغلال الضعف البريطانى المؤقت فى شــمال أفريقيا بكل طاقتنا بغرض كسب المبادأة نهائيًا لجانبنا.

وفى رأيى أنه كان من الواجب المخاطرة بعــمليات إنزال لفى إنجلترا فى 1940 - 1941 وأن الفرصة لنجاح هذه العملية كــانت فى الفترة التالية لخسارة إنجلترا لعتادها بعد دنكيرك، ولكن بعد فوات هذه الفرصة أخذت صعوبة هذه العملية تزداد تدريجيًا، ولكن يجب ألا تنسى أنه كان يجب علينا القيام بها إن آجلاً أو عاجلاً لإنهاء الحرب مع إنجلترا[1].

خرج رومل من هذه المقابلة وقد ملأ الغيظ صــدره فقد عرف أن واجبه هو استعادة برقــة بكاملها وإخراج البريطانيين بقواته الهــزيلة القليلة جدًا وكان يأمل فى الحصول على دعم كان يتناسب مع أهمية الواجب ومع اتساع مسرح العمليات لا سيما وأن البريطانيين سيعملون بسرعة إذا ما تم تدمير قواتهم إلى جلب قوات جــديدة وبتشكيلات أكــبر وقال رومل: "إذا لم نســتثمــر ضعف البــريطانيين فى الشــرق الأوسط خلال المرحلة الراهنة فــإننا قــد نفقد المــبادأة بصورة نهائية" ولم يكن باستطاعة رومل إلا أن ينفــذ ما أمر بتنفيذه فى حدود الإمكانات المتوافرة له فعاد إلى طرابلس وهو مثقل بالهجوم وما لبث رومل أن اكتشــف أن القوات البريطانية المجــابهة له وراء كثبــان "العقيلة" قد ضــعفت بشكل ملمــوس إذ أرسلت قوات منهــا إلى اليونان وأن الجنرال "وايفــل" قد احتل المواقع المستولى علــيها فى "برقة" بقوات صغيــرة أمام القوات الإيطالية

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 28.

الكبيـرة وكثيـرة العدد والعـتاد، وذلك بإذن من تشرشـل الذى بات واثقًا من النصر فى الـصحراء الغـربية كمـا اكتـشف أن خطوط الإمداد البريـطانية من القاهرة إلى "طبرق" ومنها إلى "بنغازى" ثـم إلى "العقيلة" أصبحت طويلة جدًا وتتجاوز طاقة الحملات المرافقة للفـرق البريطانية الضعيفة وأن البريطانيين يبذلون كل مـا فى وسعهم لتقـوية مواقعهم وخـصوصًا المضايق المشـرفة على "مرسى الربريقـة" لما لها من أهمية اسـتراتيجية، وفى هذه الأثـناء كانت قوة الجيش "8" البـريطانى قد أصـابها الـوهن إلى حد كـبيـر لأن الفرقـة "6" الأسترالية أصابتـها خسائر لا يستهان بها فى القتال الذى خـاضته أمام القوات الألمانيـة فى اليـونان، فسـحـبت لإعـادة التنظيم وحلت مـحلهـا لافرقـة 9 الأسترالية، وكـانت الفرقة المدرعة "7" قد سحبت إلى مـصر لغرض إعادة التنظيم أيضًا فحلت محلهـا الفرقة المدرعة2 التى لم يكن تدريبها قد أنجز بعد كما أن دروعهـا لم تكن بحالة تقنية مرضية بالإضـافة إلى كون أغلب دباباتها من الدبابات الإيطالية التى سبق أن غنمها البريطانيون فى المعارك السابقة[1].

نظرًا لأن التشكيلات البريطانية خلفت ورائها فى اليونان أغلب عجلات النقيلة العامة، فقد أضطرت على استخدام عجلات نقلية قديمة للقتال لغرض نقل مواد الإزاحـة الضرورية من مـسافة بعـيدة تصل إلى 500 كيلو مـتر هى المسافة من "طبرق" التى كانت قاعدة الإدامة اللوجـستية الرئيسية إلى مواضع القطاعات العـسكرية لا سيما وأن القـوات الجوية الألمانية كـانت تسيطر على أجواء ساحـة القتال بعد أن اتخـذ الفيلق الجوى "10" الألمانى من "صقلية" قاعدة له وصار مجال اشتغال طائراته فوق منطقة بنغازى وأصبح ظهره محميًا بعد احتـلال الألمان لليونان وسيطرة طائراتهم وأسلحة مـقاومة الطائرات على

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق ص 222.

أجـواء اليـونان وطرد الطـائرات البـريطانيـة عنهـا، وفـى هذه الآثناء احـتل البريطانيون الجبهة بالفرقة "9" الأسترالية التى أفرزت لواء منها اشغل موضوع صجاب فى "طبرق" لتأمين الموضع الرئيسى الذى اشتغلته الفرقة المدرعة "2" متخـذة خط أمن قوى شرق "العقيلة". وكان الـفيلق الأفريقى الألمانى يضم فرقة "البانزرا"15" والفرقة الآلية الخفية "5" اللتين لم تكونا مدربتين لخوض حرب فى الصحـراء وقد تمرستا على هذا النوع الخـاص من الحروب فى هذه الأرض وخضعتا لتـجربة لم تعرفا فيها الكلى والتـعب وارتكبت الفرقتان فى هذه التجربة أخطاء متكررة، وكان الإيطاليون يملكون فـرقة مردعة غير كاملة و4 فرق مشاه محروسة من مدفعيتها وأفرز الطيران الألمانى "اللوفتوافه" الفيلق العـاشر الجـوى " 50 قـاذفة منـقضـة و210 طائرة قـتـال مع دعم طائرات "اليونكرز" و"الهينكل "111" المتركزة فى صقلية وكان الهجوم فى الصحراء يتطلب دعمًا "لوجستيـا" إداريًا وتشكيل لم يشغل نفسه أكثر من اللازم بحل المسائل الإدارية وكان فى أمس الحاجة إلى التموين الضرورى فى الأمكنة التى كان يريدها ربما أن هيئة أركان القوات المسلحة الألمانية لم تكن تعرف أبدًا نوايا رومل الحقـيقة فقد كـانت مهمة المصـالح الإدارية واللوجستـية شاقة وصـعبة بسبب جهلها بنواياه[1].

القوات البريطانية:

مؤلفـة من الفيلق 13 قـائده الفريق "اوكـونر" ويرتبط بقـيادة الشـرق الأوسط التى كانت تتخذ من القاهرة مقرًا لها وكان الفريق "ويفل" هو القائد العـام فى منطقـة الشرق الأوسط وقـد تألف الفـيلق "13" من التشـكيلات التالية:

---

(1) إميل دانتيسى - فن الحرب - ص 135.

الفرقة المدرعة البريطانية مؤلفة من لواء مدرع ولواء منقول بسيارات الحمل (ناقص اللواء المردع الأول الذى كان منهمكا بالقتال فى اليونان) وقائدها اللواء "غامبيرباري" وكانت متحشدة فى مرسى "البريقة" ولديها 47 دبابة نصفها تقريبًا من الدبابات الإيطالية المستولى عليها.

الفرقة 9 الأسترالية وقائدها اللواء "مورسى هيد" وكانت ترابط فى منطقة "المنحيلى" - " موسى" "غينتيلات" - "تميمى" ثم تراجعت إلى "طبرق"

اللواء الآلى "3" الهندى وكان متحشدًا فى العظم.

الفرقة المردعة "7" - سوقت خلال المعركة من مصر إلى ليبيا.

القوات الألمانية:

لواء مقاومة الدبابات وكتيبة الاستطلاع من الفرقة الخفيفة "5" اللواء المردع "5" من نظام معركة الفرقة المردعة 15 (120 دبابة وبضعة مدافع 88 ملم ضد الذبابات / ضد الجو آلية).

القوات الإيطالية:

الجيش "5" فى منطقة طرابلس ويتكون من:

الفيلق 10 يضم 6 فرق نظامية .

الفيلق 20 يضم 2 فرقتين فاشيتين ذوى القمصان السوداء.

الفيلق 23 يضم 1 فرقة ليبية.

الجيش "10" فى منطقة بنغازى ويتكون من:

الفيلق 21 يضم 3 فرق نظامية.

الفيلق 22 يضم 1 فرقة فاشية ذوى القمصان السود.

1 فرقة ليبية.

إلا أن هذه التشكيلات كانت سيئة التجهيز وهى تفتقر للعجلات والدروع والمدفعية بشكل واضح وكانت لدى كل فرقة سرية واحدة لمقاومة الدبابات ذات 8 مدافع عيار 47 ملم بينما كانت آنذاك لدى الفرقة السويسرية 36 مدفع لمقاومة الدبابات ولدى الفرقة الفرنسية 52 مدفع ولدى الفرقة الألمانية 75 مدفع لمقاومة الدبابات[1].

فلسفة الهجوم لدى رومل:

نجد أن رومل كان عسكريًا ممتازًا من الطراز الأول ويعلم أن الأوامر يجب أن تطاع وتنفذ إلا أنه كان أيضًا من أولئك القادة الذين لا يتركون فرصة لتحقيق النصر دون أن ينتهزوها فضلاً عن أن كبار القادة الذين يرسمون الخطط من وراء مكاتبهم فى برلين لا تكون لديهم صورة دقيقة دائمًا عن حقيقة الموقف فى ميدان القتال فهل يعطى رومل الفرصة للعدو حتى يتم تجهيز مواقع دفاعية قوية قد يفشل أمامها الهجوم المحدود المنوى القيام به فى شهر مايو؟ أو لا ينجح إلا بتضحيات كبيرة؟ هل يفعل رومل ذلك لأن «هتلر» والقيادة العليا فى برلين ليست لديهم فكرة صحيحة عن حرب الصحراء؟ أو هل ينتظر لمجرد أن الذعر مستحوذ على موسولينى وكبار قواده فى روما بعد الحملة التى شنها البريطانيون عليهم ودامت 92 يومًا وهكذا قرر رومل عدم الانتظار حتى شهر مايو والاستيلاء فورًا على مرسى "البريقة" وربما على "أجدابية" نفسها أيضًا. ولقد سبق للإيطاليين أن عرفوا حرب الصحراء

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق ص 22.

ومفـاجآتها وكيف آن هذه الحـرب تختلف عن الحرب التـقليدية على الأرض العادية، ذلك أن الصحراء تشبـه البحر وفيها مساحات شاسـعة تصلح لمباغتة الجريئة ضد المواقع القوية التى يؤدى الاستيلاء عليـها إلى سقوط الجبهة كلها. فقد تمكنت فرق بريطانية لا تزيد عدد على 31 ألف جندى و120 مدفعًا و725 دبابة من أن تطارد الإيطاليين مـسافة 650 ميلاً فى ليـبيا وتنزل الهزيمـة بعشر فرق إيطالية يبلغ تعدادها 200 ألف مقاتل ولم تكن الشـجاعة لتنقص الجيش الإيطالى على وجه العـموم ولكن أسلحتـه كانت غير صـالحة وكان متـخلفًا بالنسبة للفرق البـريطانية الميكانيكية وكان البريطانيـون قد اتخذوا عدتهم لشن هجوم محلى لا يستـغرق أكثر من خمسة أيام بغية بـلوغ أهداف محدودة غير أن سقوط بعض النقاط المحصنة فى حرب الصـحراء يكشف خلفها مساحات شاسـعة تخلو من أية مقاومـة فلا يستطيع المنسـحب أن يجد مكانًا يعيد فـيه تجميع قواته، وأغرب ما فى الأمر إن القادة البريطانيين فى بنغازى والقاهرة لم يكونوا يتصورون أن أحد القادة الألمان قد يكتـشف هو الآخر هذه الحقيقة عن حرب الصحراء وكان الجنرال "وايفل" يعلم اسـتناءًا إلى تقارير الاستخبارات البريطانية بأن رومل لن يفتـتح عملياته الهجومية بفرقـة واحدة فى نهاية شهر مارس لأنه مستحيل وعملاً انتحاريًا يعنى الهزيمة القاسية[1].

لم يكن الجنرال "ويفل" بذلك قـد اعتـبر الموقف خطيـرًا رغم اندحار البـريطانيين وحلفـائهم فى الحـملة الألمانيـة فى البلقان، وكـان قد أخـذ فى حساباته أنه إزاء فرقتين إيطاليتين تسـندهما قوة ألمانية تقدر بجحفل لواء مدرع وأن هذه التشكيلات تتحشد فى منطقـة طرابلس وعليه فقد قدر أن هذه القوة ستتـمكن فى أسوأ الاحتمـالات لن تتمكن من إجبار القوات البـريطانية على

(1) اللواء فاروق الحريرى – المرجع السابق ص 222.

التراجع إلى "أجدابية" ، كما أنه قدر بأن الآلمان يحتاجون إلى شهرين آخرين على الأقل لكى ينقلوا فرقتين آخريين وينزلوا معداتهما فى ميناء طرابلس لأنه على ثقة من محدودية طاقة ميناء طرابلس على تلقى الأحمال ومواصلة إدامة القطعات النازلة على الساحل الليبى، وقدر القائد البريطانى أيضًا أن حرارة الطقس فى موسم الصيف من شأنها أن تجعل التعرض إلى القيام بعمليات عسكرية ألمانية المنتظرة ضئيلة الأحتمال إلى أبعد الحدود، وتتوقع عدم احتمال شن الألمان لأى هجوم قبل انتهاء صيف 1941، وذلك بعد أن تقوم طائراتهم بشن هجمات تعجيزية شديدة على قوافل التموين البحرية البريطانية فى البحر المتوسط. وفى أواخر مارس 1941 قام الجنرال ويفل بتقدير جديد للموقف على ضوء المعلومات الموثوقة التى استجدت لديه لكنه ظل متأثرًا بفكرته الأولية عن عدم جدية القوة الألمانية وظن بأن المعلومات الواردة إليه مبالغ بها وكان على ثقة من قدرته على التغلب بسهولة على الصعوبات المنتظرة وضمن أنه سيتمكن من التغلب على الهجوم الألمانى خلال شهر واحد بعد أن ينجلى الموقف فى جبهة اليونان وتصله تعزيزات جديدة إلى مصر[1]. واعتقد "ويفل" أن شن هذه العمليات متوقف على موافقة القيادة الإيطالية العليا التى يخضع لها رومل وبالتالى فإنها لن توافق على ذلك، واعتمادًا من الجنرال البريطانى على أن رومل لا يمكنه إلا التقيد بالأوامر الذى تقيده بقواعد الضبط والربط فقد أيقن أن الهجوم لن يقع وتوجه ليلة 24/ 3/ 1941 فى القاهرة إلى سريره وهو مطمئن البال وكذلك فعل الجنرال نيم والجنرال "جامبيرباري" فى فندق إيطاليا بمدينة بنغازى وبذلك كان "ويفل" لا يؤمن

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 19.

بوجود خطر ألمانى يستطيع تهديد المنطقة قبل شهر مايو 1941 ولكن ثاب إلى رشده فى مارس 1941 دون أن يتمكن من إصلاح هذا الوضع[1].

هجوم رومل على العقيلة 1941/3/24:

قبل زيارة رومل إلي ألمانيا كان قد أصدر أوامره بالإعداد للإغارة على العقيلة بهدف الاستيلاء على المطار وتدمير الحامية، فما رجع من زيارته نفذت الإغارة فى الساعات الأولى من صباح يوم 24/ 3/ 1941 وذلك بعدما أسس رومل قاعدة "أمينة" قوامها الفرقة "17" بافيا. الإيطالية فى منطقة "سرت" ثم اندفع الحربة بقواته من طرابلس على الطريق الساحلى فاحتل العقيلة فى نفس اليوم 24/ 3/ 1941.

يقول بول كارل: "لم يبد فى يوم من الأيام أو ليلة من الليالى أن الحرب قد توقفت كل التوقف كما بدا ذلك ليلة 24/ 3/ 1941 لإحدى دوريات الاستطلاع البريطانية فى "العقيلة التى كانت تراقب للتحقق من مدى استعداد الإيطاليين للعودة إلى الهجوم فقد كان الظلام حالكًا والصمت مخيمًا حتى لا يكاد يسمح صوت لا للحراس ولا للآلات المتحركة ولا للمعدات. وفى منخفض بين كثبان الرمل كان ضابط الدورية الملازم "فرد ميلر" الملقب بـ "دستى" والملازم جميس كلارك همس فى آذن زميله قائلاً له" - يبدد بانوبر أن الحرب قد توقفت أنفاسها!. "وكان مع "ميلر" و"كلارك" سائق عربة اللاسلكى "فالتون" وعامل اللاسلكى العريف "فاركهار"، وجميعهم يشكلون رجال عربة الاستطلاع المردعة المموهة المختفية بين روابى الرمال. وكان الملازمان من ضباط المخابرات المدربين فى فوج" الهوسارر" الحادى عشر الذى ضم إلى الفرقة السابعة المدرعة، فما سحبت هذه الفرقة من

(1) إميل دنتيسى - المرجع السابق ص135.

الصحراء بسرعة لنقلها إلى اليونان بعد هزيمة الإيطاليين ضعفت قوة وحدات الاستطلاع فأعين هذان الضابطان وضما إلى الفرقة الثانية المدرعة التى كانت فى ذلك الوقت تواجه القوات الإيطالية المنهزمة وكان واضحًا إذ نظر المر إلى وجهيهما أنه لم يمضى عليهما وقت طويل فى الصحراء متعرضين لأشعة الشمس اللاهبة، إذ قد وصلا إلى القاهرة منذ بضعة أيام بالطائرة مع الكتيبة الاحتياطية لفوج "الهوسار" الحادى عشر وانتقلا إلى مواقعهما فى الجبهة فى "العقيلة" وعلى نار ضئيلة أوقدها السائق فى الصحراء أعد لهما العشاء وهو من الأطعمة التى كان البريطانيون قد استولوا عليها فى جملة ما استولوا عليه من الغنائم لدى سقوط بنغازى فى قبضتهم فى فبراير 1941 [1].

أخذ الرجال يصغون إلى الملازم "ميلر" وهو يعرب عن أسفه لعدم اشتراكه فى مطاردة قوات "غرازيانى"، فقد فاته أن يشارك فى إحراز هذا النصر الكبير كما فاته أن يشاهد على الأقل إحراز هذا النصر. وأخذ الملازم كلارك الكلام فشرع يقص على زملائه بعد أن أشعل سيجارة "بلايرز" قصته فى حملة المطاردة وهى القصة التى باتت مشهورة فى الجيش كله. أنها قصة الجنرال الملقب "بذى اللحية الكهربائية" وهو الجنرال الإيطالى الذى أسره كلازك فى الحملة ونال وسام الصليب الحربى مكافأة له على ذلك. وكان الرجال الأربعة حين بدأ كلارك يروى قصته قد زحفوا تحت السيارة وقد لفوا أنفسهم بمعاطفهم خشية البرد، وقال كلارك: "لقد أصبح هذا الرجل مدار رويات وقصص لا آخر لها فى كل من القاهرة ولندن وهو الجنرال الإيطالى "برجنرولى" الذى تولى قيادة الفيلق الإيطالى خلال الحرب الأهلية الأسبانية وبقى على رأسه خلال الحرب فى الصحراء العربية وأطلق عليه المتحاربون

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 8.

لقب "ذو اللحية الكهربائية" لأن لحيته الحمراء كانت تشع شرارات تبدو كأنها وميض الكهرباء وكان رجلاً صغير الجسم وعلى الرغم من أنه انتصر فى كل المعارك التى خاضها فى كل مكان فقد كان ينجح دائمًا فى الإفلات من الوقوع فى قبضة الأسر من "السلوم" ومن "البردية" ومن "طبرق" ومن "درنة" حتى أن السؤال الذى كان يتردد بين أعضاء هيئة أركان الحرب البريطانية وفى الصحافة البريطانية بعد كل معركة وبعد كل انتصار: "هل وقع ذو اللحية الكهربائية أسيرًا؟".

استطرد كلارك قائلاً: على أنى وفقت إلى الإمساك به فى بنغازى، وحين رآنى مصوبًا رشاشى إلى صدره من خلال نافذة سيارته "الفيات" قال لى بهدوء: "لقد وصلتم اليوم بأسرع مما اعتدتم أن تفعلوا" وكان بادى الإرهاق فصحبته إلى الجنرال "أوكونور" حيث جرى استجوابه وحضرت أنا هذا الاستجواب الذى صرح لنا فيه ذو اللحية الكهربائية كيف استطاع النجاة من الأسر مرارًا قال: لقد تمكنت أن أفلت من حلقة الحصار التى أقمتموها حول البردية فى شهر ديسمبر وذلك بالتسلل خلال خطوطكم مع عدد قليل من ضابطى وتمكنا بعد خمسة أيام من بلوغ "طبرق" وكنا نسير ليلاً ونختبئ فى الكهوف نهارًا وحين سقطت "طبرق" تمكنت من الأفلات إلى "درنة" وعندما حاصر الأستراليون "درنة" سلكت بسيارتى الطريق الساحلى حتى "بنغازى" ولكنكم كنتم أكثر سرعة فتمكنتم من أن تأسرونى هنا".

وأحكم الرجال الأربعة الالتفاف بالمعاطف بينما كان كلارك يختم حديثه وهو نصف نائم ويتقلب على جنبه مخاطبًا زميله الملازم "ميلر": " أفتح عينيك جيدًا بادستى كى لا تفاجًا بالإيطاليين تنبه من أن تعود الحرب فتتنفس من جديد". وفى هذه الأثناء كان الجنرال "ينم" مساعد القائد العام لبرقة

والجنرال "جامبير" قائد الفرقة المدرعة الثانية التى وصلت حديثًا إلى شمالى الساحل الليبى يدرسان الخريطة فى إحدى غرف فندق إيطاليا فى "بنغازى" وأمامهما رسالة بعث بها الملازم "كلارك" باللاسلكى منذ بضع ساعات تقول: كل شيء هادئ فى "العقيلة". ذلك أن الملازم كلارك لم يكن ليخطر له ببال أن الحرب ستعود فعلاً إلى التنفس ثانية وبقوة خلال ساعتين من حديثه مع زميله الملازم "ميلر". ولدى دراستهما الخريطة شعر الجنرالان أنهما كان عليهما أن لا يتوقفا قبل شهرين عند خليج "سرت" بل كان من واجبهما مواصلة التقدم حتى يبلغا طرابلس. على أن المسافة الفاصلة بينهما وبين طرابلس ليست قصيرة إذ هى تبلغ خمسمائة ميل ولم تكن حالة الدبابات تسمح بمثل هذا التقدم فضلاً عن أن بعض القوات البريطانية كانت قد أرسلت إلى "طريت" و"اليونان" ثم أن الألمان كانوا قد أرسلو ثلاث فرق احتياطية من جيشهم الفيلق الأفريقى إلى الميدان فى ليبيا، وقد حملت هذه الفرق جوًا من جنوب إيطاليا، وكان كل يوم يؤكد للبريطانيين فى "بنغازى" كفاءة رجال الفيلق الألمانى العاشر، هذا بالإضافة إلى المتاعب التى كان يواجهها البريطانيون في تفريغ سفنهم فى ميناء طبرق ومن جراء تأمين معظم إمداداتهم بعد ذلك من "طبرق" بطرق البر[1].

اعتمادًا من الجنرال "ويفل" على أن رومل لا يمكنه إلا التقيد بأوامر القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية فإنه أيقن بأن الهجوم الألمانى لن يقع وتوجه ليلة 24/ 3/ 1941 فى القاهرة إلى سريره وهو مطمئن البال وكذلك فعل الجنرال ينم والجنرال جامبير بارى فى فندق إيطاليا بمدينة بنغازى أما الملازم "فردميلر" بعد العشاء والأحاديث فى ذلك المساء كان النعاس قد غلبه

(1) بول كارل - نفس المرجع السابق ص 12.

فى ذلك الليل الهادئ قـرب "العقيلة" ، ومـا كان يسمع وهو بعـد أن يغالب النوم إلا شخير زملائه الثلاثة، وما كـان يتصور أن الحرب ستعود إلى التنفس من جـديد ولكن فى تلك اللحظة أخـذ يسمع صـرير جنازير الدبابات وبعـد لحظة ساد فيها الصمت عادة الجلبة، وما احتاج ميلر لأن يوقظ زملاءه فالملازم كـلارك كان قـد استيـقظ بدوره وأخـذ يحدق فى الـظلام من تحت سيـارة الاستطلاع وأخذ الملازمان يتبينان وهما مستلقيـان على بطنيهما أشباحًا ضخمة ذات صـرير مزعج يرافق تحـركـها وهمس مـيلر: "أنهـا دبابات. . . دبابات ألمانية!! "ولم تكن هذه الدبابات عـلى أبعد من أربعين متـرًا باتجاه الجنوب، وبعد أن عـد كلارك خمس دبابات رأى السـادسة تحول اتجاههـا نحوهم وفى برجها قـائدها وقد رآهم، فصاح كلارك فى زملائه: تحـركوا" فركب كل من السائق وعامل اللاسلكى السيارة إلا أن محـركها أبطأ فى الدوران فعاد كلارك يصيح بالسـائق: "أسرع يا رجل" فما تحـركت السيارة إلا بعد أن أصـبحت الدبابة الألمانيـة على بعـد أقـدام منها وسـارت حـتى بلغت طريق مـرسى" البريقـة" القرية العربيـة ذات المسجد الأبيض المبنى على مـرتفع فيها والفـجر ينبلج عن صـباح أحد أيام التـاريخ الهامـة وأمام مـرسى البريقة كـانت تقف إحدى وحـدات الاستـطلاع التـابعـة للفرقـة الثانـية المدرعـة فصـاح كلارك بقائدها[1]: "الدبابات الألمانية تتـقدم نحو الجنوب وبحـذاء طريق السـاحل" . حيث كان رومل قد أصـدر أمره قبل زيارته القصيرة لألمانـيا بالإعداد للإغارة على "العقيلة" بهدف الاستيلاء على المطار وتدمـير الحامية البريطانية، وبرغم من أن القيـادة العليا للقـوات المسلحة الألمانيـة منعت رومل من أية عـمليات هجوميـة إلا أنه فور عودته من زيارته نفذت الإغـارة فى الساعات الأولى من

(1) بول كارل - نفس المرجع ص 20.

صباح يوم 24/ 3/ 1941 وتم الاستيلاء على "العقيلة" وكتب رومل إلى زوجته يقول:

عزيزتى الغالية "لو"

قضينا أيامنا الأولى على شاطئ البحر أنه مكان رائع وإننى فى عربتى الفاخرة وكأننى فى فندق نسبح فى الصابح والطقس دافئ إلى درجة ممتعة وأقيم فى خيمة قريبة من خيمة هيئة أركانى ونصنع القهوة فى الصباح بأوعيتنا الخاصة بالطبخ وطهو الطعام. وقدم لى بالأمس جنرال إيطالى هدية هى "برنس" جميل بلون أزرق موشى بالحرير الأحمر ومطرز، سيصلك قريبًا وبإمكانك الخروج به إلى المسرح، لقد عدت من الجبهة وعلى أن أحبط جماح جنودى حتى لا يوغلوا فى تقدمهم ولقد احتلوا موقعًا جديدًا متقدمًا نحو الشرق بمسافة 30 كيلو مترًا عن سابقه وتوجد بعض الألغام المستطيلة بين مواقع أصدقائنا الإيطاليين.

وقد أمرت الفرقة الخامسة الخفيفة قبل سفرى بالاستعداد للهجوم على العقيلة بغرض الاستيلاء على المطر والحصن الصغير وطرد حاميتها الحالية. وقد قامت قوات مختلطة من الألمان والإيطاليين قبل ذلك بوقت باحتلال واحة مرادة الموجودة فى الجنوب، وكان علينا إمداد هذه القوة ولكن قوات العدو فى العقيلة أزعجت قوات تموينا وعليه فبعد عودتى إلى الجبهة الليبية - المصرية قامت الكتيبة 3 استطلاع فى ساعة مبكرة من يوم 24 مارس باحتلال الحصن ونقط المياه والمطار فى العقيلة. وقد قامت الحامية القليلة العدد بتلغيم المكان بأكمله ثم انسحبت بمهارة فى مواجهة هجومنا.

وبعد الاستيلاء على العقيلة أبلغنا سلاحنا الجوى بأن نقط الإنذار البريطانية تنسحب نحو مضيق مرسى البريقة.

عزيزتي لو 26 مارس 1941م

لقد أمضيت أول يوم لى على شاطئ البحر. وهو مكان جميل للغاية، وأقيم فى مقطورتى وهى لا يقل راحة عن الفندق وفى كل صباح نستحم فى البحر وهو دافئ ومريح. وفى خيمة القريبة منى يقيم كل من آلدينجو وجونثر "أركان حرب رومل ومراسلته على التوالى" ويقوم جونثر كل صباحب بعمل القهوة لى فى مطبخنا الخاص. وأحضر لى بالأمس جنرال إيطالى اسمه كالفى دى برجولو هدية وهى عبارة عن "برنس"، وهو رائع للغاية ولونه أزرق داكن ومطرز بالحرير الأحمر والذهب وأظن أن هذا يلائمك فى ملابس السهرة. ولا يوجد جديد بالنسبة لجبهة القتال - وأنا أمنع قواتى من الحركة حتى لا تنطلق مثل الجواد الجامح - وقد استوليت على موقع جديد يبعد 20 ميلاً إلى الشرق وأظن أن أصدقاء الإيطاليين سيبدأون فى القلق[1].

هجوم رومل على مرسى البريقة 1941/3/31:

أصبح الهجوم على "مرسى البريقة" هو الهدف الأول وذلك تمهيداً للهجوم على القوات البريطانية المتمركزة فى قطاع "أجدابية"، وكانت القوات البريطانية قد احتلت المرتفعات المسيطرة على مرسى "البريقة" وأخذت فى تحصينها بالخنادق وسياج الأسلاك الشائكة والألغام، وكان أمام رومل أحد خيارين فإما الهجوم بالقوات المتوافرة لديه وعدم إتاحة الفرصة أمام البريطانيين لتنظيم مواقع قوة، وإما انتظار وصول قوات الدعم مع ما يرافق ذلك من احتمال معدل الخسائر فى قواته، وفضل رومل الهجوم فى وقت مبكر جداً عن الانتظار إلى وقت بمتأخر جداً[2].

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 29.

(2) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 116.

مـا لبثت أنبـاء الحرب أن انتـشرت بـسرعـة البرق بين جنود وحـدات الاستطلاع البريطانية الذى تحركوا بحمالات "البرق" غير أنهم لم يتمكنوا من السير بـعيدًا لأن رومل كان قد بدأ الـهجوم فى الساعات الأولـى ومعه بدأت المعركـة فقامت عربات كـتيبة الاسـتطلاع الألمانية الثالثـة فى الساعة التاسـعة والدقيقة 44 من صباح 31/ 4/ 1941 بمهاجمة وحدات الاستطلاع البريطانية فى مرسى "البريقة" وبعـد ست دقائق كانت الطلقات الأولى تعلن زحف رومل المفاجئ الخـاطف باتجاه "طبرق". وأخذ فـوج المدرعات "البـانزر" الخامس بقيادة المقدم "البـريخ" يهاجم المواقع البريطانية الرئيسيـة فى مرسى "البريقة" بعد أن كان قد أصـيب بأولى خسائره قبل ستة أيام خـلال الهجوم الذى شنه على حصن "العـقيلة" وذلك حين انـفجر لغم تحت إحـدى الدبابات وأنتهى هذا التلاحم الأول بانسحاب البريطانيـين وعاد الفوج المدرع يهاجم مرة أخرى ومن طريق مـا حدث أن استطاع الـعريف "جيـرهارد" من السرية الثـامنة أن يحـدد مكان أول عدو يراه ولكن تبـين بعـد ذلك أنه جمل يهـاجم الدبابات وتوارى فى قلب عاصفة روملية وتابعت الدبابات تقـدمها ولكنها عجزت عن اقتحام المواقع البريطانية القوية التـحصين، وبينما كانت المدافع الألمانية تقصف مواقع المدفعية البريطانية كانت اثنتان من طائرات الانقضاض "شتوكا" تقومان فى الساعة 17.30 بمهاجمة الخطوط البريطـانية وسط جو تزيد درجة حراراته على 100 فارنهـايت، وأخذ المشاه يتلمـسون طريقهم عـبر كثبـان الرمل وما انفجر الـلغم الأول حتى سمعت صـيحة[1]: "المهندسون يتقـدمون" وخلال حقل الألغام عمل مكتشفوها على تطهـير ممر زرعوا على جانبيه رايات سوداء ظلت تخفق فى ضـوء الشمس لتبـين الطريق للمشاة المحـملين ولجنود كتيـبة

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 22.

المدفعية الرشاشة الثامنة، وبعد معارك طاحنة استمرت طوال النهار أنتهت بالاستيلاء على مرسى "البريقة" وغنمت القوات الألمانية خمسين مدرعة خفيفة" برن وثلاثين مجنزرة.

يقول رومل فى مذكراته:

كان المضيق الواقع فى مسرى البريقة هو الغرض الأول لهجومنا الذى كان سينطلق فى مايو ضد قوات العدو حول أجدابية. وبعد طردنا الإنجليز من العقيلة احتلوا مواقع فى المرتفعات الحاكمة فى مرسى البريقة وجنوبى الملاحظة فى بير الصوبرية ثم بدأوا فى تدعيم مواقعهم. وكنا نراقب أعمالهم بشىء من القلق لأننا لو سمحنا لهم بوقت يكفى لتدعيم وتلغيم هذه المواقع القوية (بطبيعتها) لأصبح لديهم مواقع تساوى فى قواتها مواقعنا عند موجتا (والتى كان من الصعب محاولة اقتحامها بالمواجهة أو تطويقها من الجنوب). وكانت الأرض من الصعب محاولة اقتحامها بالمواجهة أو تطويقها من الجنوب). وكانت الأرض الواقعة جنوب وادى الفارغ (حوالى عشرين أو ثلاثين ميلاً من مرسى البريقة) رملية وتكاد تكون مانعًا لا يمكن اجتيازه بالعربات، وعليه فكان أمامى أما الانتظار لباقى قواتى التى ستصل فى نهاية مايو (وهو الامر الذى كان سيترتب عليه توفير الوقت للبريطانيين لكى يحصنوا مواقعهم لدرجة أنه من الصعب طردهم منها)، أو أن أقوم بالهجوم فى الحال بالقوات المحدودة المتوفرة لدى واستولى على موقع مرسى البريقة قبل أن يتم إعداده وقررت الهجوم فوراً، وكنت متأكداً أننى استطيع الاستيلاء على المضيق بقوتى المحدودة. وكان موقع مرسى البريقة مهم لى تمامًا مثله فى ذلك مثل الموقع فى موجتا وسيوفر، لأنه يعتبر منطقة تجمع مناسبة للهجوم المقبل فى مايو علاوة على أن موقفنا من المياه قد تأزم وتحتم علينا أن نسعى فى فتح نقط مياه

جديدة وكانت العـملية ضد مرسى البريقـة (فى حالة نجاحها) سـتعطينا أرضا نتوفر فيها المياه. وتحركت قواتنا فى 31 مارس ضد المواقع البريطانية فى مرسى البريقة ودارت معركة وحشـية فى الساعات الأولى من هذا الصباح بين قواتنا وقوات الاستطلاع البريطانـية فى معاطن بيكر، وقامت قوات الفرقـة الخامسة الخفيفـة فى فترة بعد الظهر بمهاجـمة مواقع مرسى البريقة نفـسها ودافع عنها البريطانيون بعناد، ثم توقف هجومنا.

وأمضـيت اليوم بطوله فى مـيدان المعـركة من آلدينجر ورئـيس أركانى (المقدم فـون ديم بورنة) وقمـت فى فترة بعـد الظهر بـالاستطلاع لمعـرفة هل يمكننا الهجوم شمالى الطريق الساحلى وفى وقت متأخر من هذه الليلة دفعت الكتيبة الثامنة مدفاع الماكينة عند هذه النقطـة وقامت بهجوم جرئ عبر الكثبان الرملية الصـعبة ونجحت فى دفع العــدو للخلف نحو الشرق واسـتولت على مضيق مرسى البريقة.

وحتى الصبـاح لم تصل أخبار نجاح الفرقـة الخامسة الخفيـفة إلى رئاسة الفيلق ويبدو أن الإنجليز انسحبوا بسرعة كبيرة مما أدى أننا استولينا على حمالة برن وحوالى 30 لوريًا وفى يوم 1 إبريل أمـرت قواتى بالتـجـمع فى مناطق مرسى البريقة ومعاطن جيوفر.

وأظهرت تقارير الســلاح الجوى بوضوح ميل العــدو للانسحاب وأبدت دوريات الاســتطلاع التى أرسلهـا الجنرال شـترايخ هــذا الرأى. وقد قــررت استـغلال هذه الـفرصة الذهـبية فـأصدرت أوامـرى بالهجـوم على أجدابـية والاستيلاء عليها بالرغم من أن التعليـمات كانت تقضى بعدم القيام بمثل هذه العمليات حتى نهــاية مايو. وعليه ففى الثانى من أبريل قامت الفرقـة الخامسة الخفيفة بالتقدم على جانبى الطريق الساحلى وبعد عملية قصيرة استولت قواتنا

على أجدابيــة فى عصر نفس اليــوم، ثم اندفعت قواتنا الأمــامية بســرعة إلى منطقة زيتونة.

وفى نفس الوقت اصطدم الآلاى الخامس بانزر (الذى كان يمثل الهجوم الرئيسى) جنوبى الطريق الرئيسى بالدبابات البريطانية ودار اشتباك قصير، وفى وقت قصيــر كانت تحترق فى ميــدان المعركة سبع دبابات للعــدو، ولم نخسر سوى ثلاثة وقد استخدم العدو فى هذه العــملية تمويها جيدًا للغاية فى صورة خيام للعرب فمكنهم ذلك من الدخول فى المعركة بصورة فجأئية.

واستوليــنا بحلول الظلام على الأرض المحيطة بأجدابيــة ولمسافة 14 ميلاً نحو الشــرقى، ومرة أخرى تبــعتنا القــوات الإيطالية وفى يوم 3 أبريل نقلت مركز رئاســتى الأمامى إلى أجدابية وقــمت بمراقبة تحركــات العدو، وكأن فى حالة انســحــاب عام وبدا عليه كما لو كان يخلى برقــة ويبدو أنه كان يظن أننا على درجة كبيــرة من القوة وقد ساعده على استنتاجــه هذا، دباباتنا الهيكلية الكثيرة.

ويعلق ليدل هارت فيقول:

"وعندما استولت قــوات روميل الأمامية على العقــيلة أخذ ويفل ينتابه القلق للمخاطرة التى ركبها منذ اللحظة الأولى، فأصدر تعليماته للجنرال نيم بالانسحاب (لو تعرض لضغط شديد) إلى موقع بالقرب من بنى غازى وسمح له بإخلاء الميناء لو أصــبح هذا ضروريًا. وفى 2 إبريل بعد ســقوط أجــدابية مباشرة صدرت أوامر فورية بالتــخلى عن بنى غازى والانسحاب شرقًا بغرض المحافظة على سلامة القوات، ولكن الانســحاب تم فى فوضى فتفككت هذه القوات تمامًا. . . "[1].

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 31.

الاستيلاء على أجدابية:

بسقوط مرسى "البريقـة" التى تعتبر باب برقة كلها ومفتـاحها، خققت القيـادة الإيطالية العليـا الهدف الذى حددته لنفـسها، ولكن رومل قـرر عدم إعطاء القـوات البريطانيـة أية فرصـة لترصـين موضع دفـاعى جديـد وأسرع لاستثمار النصر فدفع قواته للاسـتيلاء على "أجدابية" وأصدر الأمر بمواصلة الهجـوم بعد أن شعـر بضعف البريطانيـين الذى لم يكن قائدهم العـام يتوقع الهجوم الألمانى. فلم تكن الفرق التى تحت أمرته مستعدة له، وهكذا واصلت الدبابات تشق طريقـها فى الرمال وتـقدمت سيـارات الاستطلاع والسـيارات المدرعة تسحق القواقـع التى تصادفها على الطريق وفوق السبـخة الواقعة بين مرسى "البريقة" و"بنغازى" وبلغ من حسن حظ الألمان أن الأمطار لم تسقط فى الربيع كالعادة ولو أنـها سقطت لتوقف الهجـوم لتحول الأرض إلى طين تغرز فيه عجلات السيارات وبذلك أمكن احتلال "أجدابية" بعد معركة قاسية إلا أنها قصيرة وأصبح لدى رومل بذلك قاعدة مـتقدمة لهجوم قادم مع توافر المياه العذبة فى هذه القاعدة فأصبح رومل يملك المياه الصالحة للشرب فى هذه المنطقة الصـحراوية، بينما كان البريـطانيون يواصلون الانسحاب مـفضلة عدم التوقف لخـوض غمـرات القتـال فما كـان من الجنرال "ويفل" إلا أن أرسل الجنرال "أوكونور" الخبـير بحرب الصحراء والبريغـادير جنرال "كوب" قائد لواء "الهـوسـار" إلى الجنرال "نيم" يـستـطلع الموقف عن كـثب، وكـانت معلوماتهـما أن رومل لا يستطيع شن هجوم واسع النطاق فـما الذى حدث؟ لقد كانت التـقارير التى تلقاها الجنرال نيم من الوحدات التابعة له تـشير كلها إلى أن الألمان اكتسحوا اللواء الثالث المدرع وأحدثوا ثغرة فى الجبهة[1].

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 23.

ويتابع رومل مذكراته فيقول:

ووصل تقرير أثناء الصباح تضمن وجود قوة من 20 للعدو على مسافة 20 ميلاً شمال أجدابية فأصدرت تعليماتى للملازم برندت[1] بالتأكد من صحة هذه المعلومات وتحرك برندت على طريق بنى غازى حتى المجرون ووجد أنها دبابات إيطالية مدمرة، فعاد ثانية.

وأمكننا فى هذا الحين أسر 800 بريطانى. ويبدو أن البريطانيين كانوا يريدون تفادى هذا الاشتباك وأى اشتباك حاسم بأى طريقة وبناء عليه قررت الانطلاق فى عصر هذا اليوم فى أعقاب العدو للاستيلاء على برقة كلها بضربة واحدة. وتبعًا لهذا التصميم قمت بتحريك مقدمة فرقة آريتى المدرعة الإيطالية تحت قيادة العقيد فابريس نحو بنى غازى وأمرت الفرقة الخامسة الخفيفة بدفع الكتيبة الثالثة استطلاع للإمام على الطريق الرئيسى إلى بنى غازى. وتردد الجنرال شترايخ فى تنفيذ أوامرى بسبب ضعف حملته الميكانيكية ولكن لم أكن فى وضع يسمح بأن يؤثر هذا على قرارى النهائى لأنه يجب ألا نسمح للفرص النادرة بالإفلات بسبب أعذار واهية. وقد أخبرنى الجنرال الإيطالى زامبيونى بأن المدق إلى جيوف المطر صعبًا للغاية وقد عمل كل ما بوسعه ليثنينى عن إرسال قوات عبر برقة عن طريق هذا المدق. ولكننى مع كل هذا وضعت ثقتى فى استطلاعى الشخصى وتحركت ومعى ياورى الملازم آلدينجر فى اتجاه جيوف المطر. وبعد أن قطعنا 12 ميلاً وصلنا لمقدمة كتيبة الاستطلاع الإيطالية سانتا ماريا التى تكون جزءًا من قوة فابريس،

(1) هو الملازم ألفريد إينجمار برندث - وهو موظف رسمى فى وزارة الدعاية وملحق بقوات رومل.

وكانت الكتيبة تتقدم فى تشكيل بديع عـبر الصحراء، وكان الطريق جيدًا ولم يكن فيه مصاعب تستحق الذكر.

عدت إلى مـقر رئاستى فى حـوالى سعت (1600) وعلمت أن الفـرقة الخامسة الخفية أرسلت تطـلب مهلة لمدة أربعة أيمام لإتمام تموينها من الوقود، وكان هذا الطلب من وجهة نظرى مبالغ فيه للغاية وعليه أصدرت أوامرى بأن تفرغ الفرقـة كل سياراتها وترسلها على الفـور إلى نقطة تموينها عند آركو دى فيلينى لإحضار كل مـا يلزمها من وقود وتعيينات وذخيرة للتـحرك عبر برقة، على أن يتم ذلك فى خلال 24 ساعة، وكان هذا معناه أن تتوقف الفرقة تمامًا لمدة 24 ساعة، وبما أن العدو كان فى حالة انسحاب فقد كان من الممكن قبول هذه المخاطرة.

وفى نفس الوقت تزايدت المعلومات المؤكـدة بأن العدو يعتقـد أننا أقوى بكثير مما نحن عليه بالفعل وهذا الاعتـقاد كان فى صالحنا، لذلك تصرفنا كما لو كنا ننوى القيـام بهجوم علـى نطاق واسع وبالطبع لم أكن فى هذه اللحظة فى موقف يـسمح لى بمطاردة العـدو بقواتى الرئيـسية ولكن كـان من الممكن استخدام قواتى الأماميـة فى إجراء الضغط اللازم الذى يضطره للاستمرار فى الانسحـاب وكنت آمل فى خلال 24 ساعـة أن استطيع تحريك قوات أكـبر، وتركيـزها على الجناح وتركيزها على الجناح الجنوبى بغـرض المرور على مدق بنى غـانيا إلى التـميـمى وبذلك أستطيع عـزل أكبـر عدد ممكن من الـقوات البريطانية المنسحبة وتطويقها.

وتحركت فـى هذا المساء نحو الـشمال لأراقب سـير الأمـور فى جبـهة الكتيبة الثالثة استطلاع (والتى تحـركت فى اتجاه بنى غازى) وعندما لحقت بها فى منطقة مجرون أخبرنـى فون ويخمار أنه لم يصطدم حتى هذه اللحظة بأى

قوات بريطانية وقد أخبره قسيس إيطالى قادم من هناك على الفور بأن الإنجليز أخلو المدينة بالفعل، وبناء على طلب فون ويخمار آرسلت الكتيبة على الفور لاحتلال بنى غازى ومرورنا أثناء عودتنا إلى أجدابية بسيارة ألمانية يقودها (على ما يبدو) ضباط إنجليز ولم نزعج أنفسنا بالتوقف للتحقق من أمرهم لأن الكتيبة الثالثة استطلاع ستلحق بهم (وهو ما حدث بالفعل). وسمعنا فيما بعد أن الإنجليز المذكورين قد نصبوا كمينًا لسائق ألمانى شمال غرب أجدابية واستولوا على سيارته بأمل اللحاق بقواتهم عبر برقة وهذه المحاولة تعتبر جريئة ولكنها تعد غريزة فى طبيعة الإنسان وقد تمنوا لو تم لهم النجاح، ولكن حظهم كان سيئًا.

وعندما عودتى إلى مقر قيادتى قابلت القائد العام الإيطالى الجنرال جاريبولدى وكان غير راض عن سير العمليات وحمل على بعنف لأن العمليات كانت تتعارض تمامًا مع التعليمات الصادرة من روما، وأضاف أن موقف الشئون الإدارية غير مأمون بالمرة ولا يمكن لأى قائد أن يتحمل مسئولية هذه العمليات ولا ما يترتب عليها وطلب منى إيقاف سير العمليات وعدم القيام بأى تحركات إلا بأوامر شخصية منه[1].

نجح رومل فى خداع "ويفل" عن قواته الحقيقية وجعمها ولهذا قدر البريطانيون أن حجم أعدائهم هو أكبر بكثير من واقعها فتابعوا أسنحابهم متجنبين الصدام فى معركة حاسمة وكان كل ما وقع فى قبضة رومل من البريطانيين لم يتجاوز الثمانمائة أسير فقرر رومل الإفادة من خطأ تقدير خصمه ومتابعة الضغط عليه واختار لتحركه أصعب الطرق مثل طريق "الموت" كما كان يسميه الإيطاليون ما بين أجدابية و"جفر الماطر"، وركز اهتمامه لتأمين

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 34.

الإمداد بالوقود لمتابعة التحرك نحو بنغازى حيث توافرت المعلومات عن قيام البريطانيين بالجلاء عنها وهم يوالون التقدم بينما كانت التقارير السارة تتراكم على مكتب روميل الذى أقامه بالقرب من دبابة قيادته وكلها تتحدث عن تراجع البريطانيين إلا أن برقية بالشيفرة مستعجلة وصلت إلى روميل من الوحدات الأمامية تقول " "لم يعد هناك عصير" وكان هذا يعنى أن البترول قد نفذ وقال رجال التموين أنهم يحتاجون إلى أربعة أيام على الأقل لإحضار البترول اللازم لجميع العربات، إلا أن روميل أعطاهم درسًا فى كيفية التنظيم اللوجستى، فى المعركة فأمر كل العربات الخفيفة فى الفرقة بأن تفرغ حمولتها وشكل منها طابورًا للتموين أرسد إلى المؤخرة باتجاه الغرب، وأعطاه مهلة أربع وعشرين ساعة لإحضار الوقود والذخيرة اللازمة، وكانت الفرقة طوال ذاك اليوم عاجزة عن الحركة وغير قادرة على دخول أية معركة إذا هوجمت فكان يومًا من أخطر الأيام غير أن الجنرال "نيم" لم ينتهز الفرصة فما انقضت إلا ربع والعشرين ساعة حتى كانت الوقود والذخيرة قد وصلا واستأنفت الفرقة الخامسة الخفيفة عملية مطاردة البريطانيين.

روميل يستولى على بنغازى 1941/4/3:

وقع الجنرال "وايفل" فى حيرة نتيجة تضارب التقارير الواردة إليه من الجبهة، وأخذت الأوامر الصادرة من مقر القائد العام فى القاهرة ومن قادة الميدان تتضارب تضاربًا أدى إلى نشر الفوضى فى كل مكان ذلك أن الجميع لم يكونوا يتوقعون أن يتمكن روميل منذ أن يشن هجومًا بفرقة واحدة فقط وكان أن تخطى السير "ريتشارد أوكونور"، الجنرال "نيم" قائد القوات البريطانية فى "برقة" وأخذ يرسل أوامر مباشرة إلى القائد بين "جامبير" من بارى و"بورسعيد" ووجد ويفل نفسه مضطرًا لأن يطير إلى "برقة" حيث كان

الجنرال "ويفل" تولى قيادة القوات البرطاينة بنفسه وعزل اللواء "أوكونور" وعين اللواء "نيم" قائداً للفيلق "13" على أن يبقى "أوكونور" مستشاراً للواء "نيم" وكان خطأ "ويفل" الأول أنه اعتقد أن الألمان لن يمكنهم الهجوم قبل منتصف شهر مايو، وقد أكد ذلك لأنطونى إيدن وزير الخارجية وللسير "جون ديل" رئيس هيئة أركان الحرب البريطانية، فجاء هجوم روميل يكذب تقديراته، ثم كان خطأه الثانى إذا أعتقد أن روميل غير خبير بحرب الصحراء ولذلك فلن يتقدم الألمان عبر الصحراء بل على الطريق الساحلى المعروف بطريق "بالبو"، وهو طريقق مرصوف يمتد إلى "بنغازى"، وعلى هذا الأساس أصدر "وايفل" أوامره بعدم التمسك ببنغازى ومحاولة مهاجمة رومل على جناحه الأيمن واحتلال هضبة هناك تدعى "الرجيمة" وقال وايفل مخاطبًا القادة البريطانيين: "لا بد أن تدافعوا من هذا الموقع وتحافظوا عليه"[1].

فاجأ رومل البريطانيين بتقدمه عبر الصحراء لا على طريق بالبو الساحلى كما كان البريطانيون يتوقعونه حيث كان القائد الألمانى يستهدف ضرب مستودعات التموين البريطانية ولا سيما مستودعات الوقود، فجعل اتجاهه نحو بلد "المخيلى" التى تسمى بقلب برقة". وهى المركز القديم لطرق القوافل وفيها مستودعات للوقود تحت الأرض، كما جعل اتجاهه نحو بلده "موسى" التى كانت فيها أكبر مستودعات التموين وخزانات البترول المجهزة تجهيزاً حديثا يجعلها أشبه بالقلاع الحديثة فى الحرب الميكانيكية، فإذا أضفنا إلى ذلك أوامر رومل للسلح الجوى الألمانى بتدمير طوابير التموين، ظهر لنا جليًا أن الفكرة البريطانية القديمة القائلة بإقامة جزر فى قلب الصحراء لتجميع

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 34.

الوقود والمؤن باتت فكرة مميته وبالرغم من أن الألمان لم يكونوا قد اقتربوا بعد من بلدة "موسى" فى اليوم الرابع من إبريل فإن الأنباء انتشرت بأنهم يهاجمونها فسارعت القوات البريطانية إلى نسف الخزانات الموجودة فيها بحيث حجبت سحب الدخان الأسود أشعة الشمس فترة طويلة واضطر البريطانيون الذين كانوا قادمين بدباباتهم للتزود بالوقود إلى ترك معظم هذه الدبابات كى يلوذوا بالفرار.

يقول رومل فى مذكراته:

وكنت منذ البداية عقدت العزم على الحصول على أكبر قدر ممكن من الحرية الإستراتيجية والتكتيكية ولذلك قررت ألا أترك هذه الفرص الذهبية تمر بدون أن استغلها ولذلك بينت له وجهة نظرى بصراحة وبدون محاورة ونتج عنها أن المناقشة ازدادت حدة. وكان الجنرال جاريبولدى يريد الحصول على أوامر من روما قبل أن يتصرف. وبهذه الطريقة نضيع وقتًا ثمينًا بدون أن نعمل شيئًا، لذلك قررت عدم قبول مثل هذا الموقف وصرحت له بأننى سأستمر فى العمل تحت أى ظروف، وقررت التصرف بنفسى بالأسلوب الذى اتبعته حتى هذا الحين وفى هذه اللحظة وصلتنى إشارة من القيادة العليا الألمانية تعطينى الحرية الكاملة فى اتخاذ القرارات وأدى هذا إلى الوصول إلى النقطة الحاسمة وبذلك انتهت المناقشة فى الاتجاه الذى أردته لها.

وفى ليلة 3 أبريل دخلت كتيبة فون ويخمار بنى غازى وسط مظاهر الحفاوة البالغة من السكان وبعد أن حرق الإنجليز مخازنهم[1].

بلغ من سرعة الهجوم أن رومل وصل إلى ميناء بنغازى فى الساعات الأولى من صباح 3/4/1941 دون أن يتمكن البريطانيون من تدمير منشآتها

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 35.

وكان القائد الألمانى يمـتطى عربة الاستطلاع الأولى التابعة لكتيـبة الاستطلاع الثالثة بقيـادة المقدم "فريهر فون ويسر" وكانت تسـيطر عليه فكرة واحدة هى فكرة مواصلة الزحف ولذلك لم يجـد متسعًـا من الوقت للنظر إلى الإعراب الذين احتشدوا فى سوق البلدة الواسع بثيابـهم البيضاء ينظرون بعين الفضول إلى الزاحـفين وسط هتـاف الأهلين وترحيـبهم مـحيين كـل دبابة بهتـافات الابتهاج، وحين تقـدم بائع ليمون إلى سيارته بكل احتـرام ليقدم له هدية من بضاعته اكتفى القائد الألمانى بالابتـسام وتابع سيره دون التفات إلى تجار الفول السودانى وبائعى الليمون الذين استمروا يمـارسون تجارتهم رغم اشتعال نيران الحرب. وكتب رومل.

عزيزتى الغالية لو 3/ 4/ 1941

نتـابع الهجـوم منذ يوم 31 مـارس ونحقق انتـصـارات مدوية وإجـابة معارضة قوية وسط القيـادة الإيطالية فى طرابلس روما وربما فى برلين أيضًا. وقد قبلت احتمال أخطار المجازفة فى تجاوز الأوامر والتعليمات، لأن الظروف تبدو لى مناسبة. وتريبًـا ستصدر تصريحات بانه كان عمـلاً جيدًا، وقد يقول كل واحد أنه كـان سيفعل مـا فعلت لو كان مكانى. لقد حـققنا هدفنا الأول والذى كان من المفروض ألا نـحققه قبل منتـصف أو نهاية شهر مـايو، وفقد البريطانيون توازنهم فشـرعوا بالانسحاب وخيرًا ما فـعلوا خسائرنا زهيدة ومن المحـال تقدير مـا حـصلنا عليه مـن الغنائم وستـدركـين أننى لا أنام أبدًا من الفرح.

وفى وقت مبكر من صباح اليوم التالى قامت قوة من فرقة بريسكيا (هى عبارة عن آلاى مـعزز) بالتحرك إلى بنـى غازى لتتسلمـها من الكتيبة الـثالثة استطـلاع حتى يمكن اسـتخدام الكتـيبـة الأخرى مـرة أخرى فى العمـليات

المتحركة وكان على الجزء الأكبر من الفرقة الخامسة التقدم عبر بنى غانيا فقمت بتدعيم الكتيبة الأمامية لهذه الفرق (كانت تحت قيادة الكونث شويرين) ثم أصدرت الأوامر لفرقة آريتى بالتقدم على نفس الطريق حتى ببر تجندر ثم تتجه بعد ذلك إلى الشمال للاستيلاء على المخيلى. وكانت السرعة هى أهم عوامل النجاح وكنا نحاول بكل قوانا أن نجبر أى جزء من القوات البريطانية على الدخول فى المعركة أن تنجح فى الانسحاب من برقة، وبذا تهرب من الخطر الذى يهددها.

وفى 4 إبريل زرت بنى غازى مع رئيس أركانى وآلدينجر وأرسلت كتيبة الاستطلاع (بعد تعزيزها بسرية مدرعة) عبر رجيمة وشروبة إلى المخيلى. وبعد الظهر طرت فى طائرة من طراز يونكرز (حيث لم يكن هناك فيزلر ستورش جاهزة) فوق بنى غانيا ونحو بير تجندر وكانت القوات تتحرك صوب الشرق مثيرة عاصفة من الغبار. وقررت أن أضع فى حسابى أن قواتى الأمامية وصلت إلى نقطة بعد تبعد 12 ميلاً شرق بنى غانيا.

وفى هذه الليلة كان موقف العدو على وجه التقريب كما يلى:

كانت توجد قوات صغيرة للعدو مبعثرة شرق بنى غانيا بينما استمرت بعض قوات العدو فى الدفاع عن سوس وأثناء الليل اتصلت الكتيبة الثالثة استطلاع بقوة صغيرة للعدو عند رجيما وأجبرتها على الانسحاب وكانت قوات الإنجليز الرئيسية فى حالة انسحاب عام بغرض إخلاء برقة[1].

كشفت الوثائق السرية التى ظهرت بعد الحرب أن شجاعة رومل كانت معززة بالمعلومات المؤكدة التى كان يحصل عليها عن تحركات القوات البريطانية فى وقت مبكر بفضل كفاءة عناصر الاستطلاع الإلكترونى الملحقة

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 36.

بمقره، ولما عاد روميل من جولته اليومية الشاقة فى الساعة السادسة مساء، وقد أنجز استعدادته لواجب اليـوم التالى، وجد الجنرال "غاربيولدى" فى انتظاره، وبادره بتوبيخه على تقدمه السريع وإهمال تدابير الحيطة والحذر وأعلمه أنه لن يسمح بالتقـدم مجدداً إلا بعد الحصـول على موافقتـه ودافع روميل عن وجهة نظره وضـرورة الإفادة من الموقف حـتى الحدود القـصوى، ووارتفـعت حدة النقاش واستمرت لفترة طويلة وقرر "غاربيولدى" العودة إلى القيادة الإيطالية فى كل تحرك جـديد، وخدم الحظ روميل فقـد وصلته فى تلك اللحظة برقـية القيادة الألمانية العليـا بإعطائه كامل الحرية للتحرك فى عملياته وفـقًا لتقديراته ولم يبقى أمام "غاربيولدى" إلا الانسحاب خائبا[1]. وكتب روميل:

عزيزتى الغالية لو 4/ 4/ 1941

لقد بعث لى الفوهرر بتهنئة لهذه الانتصارات غير المتوقعة كما أرسل لى تعليمـاته للعمليات القادمـة وهى تعليمات تتطابق تمامًـا مع أفكارى لقد أتسع أفق ميدان العمليات وبات باستطاعتنا الآن تنفيذ مناوراتنا.

عزيزتى الغالية لو 5/ 4/ 1941

انطلقت فى هذه الصباح منذ السـاعة الرابعة صباحًا والجبـهة فى حركة مستمرة واملى كبير أن تنجح ضربتنا الكبرى الآن، أتابع العناية بصحتى الحياة هنا بسيطة وهى تلائمنى بأفضل مما كانت تلائمنى الحياة فى فرنسا الغالية كيف حالكما أنتما الاثنتين؟.

---

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 117.

هجوم رومل فى وادى برقة:

عندما وصلت قوات المحور إلى "العقيلة" وأجدابية قرر رومل الذى كان يعتمد بالدرجة الأولى على التشكيلات الألمانية القليلة التى بأمرته اللجوء إلى الحيلة لكى يجعلها تبدو بنظر خصومه أكبر من حقيقتها بكثير فأمر مجموعات صغيرة من العجلات بإثارة الغبار الكثيف من شتى الاتجاهات وتقدم من أجدابية بثلاثة أرتال كما يلى:

الرتل الساحلى:

مؤلف من فرقة المشاة 27 بريسكيا الإيطالية وجحفل استطلاع مدرع من الفرقة الحقيقة الخامسة الألمانية احتل "بيضافم" واندفع منها إلى بنغازى واحتلها يوم 4 أبريل 1941 ثم توزع منها إلى رتلين أحدهما ساحلى قوامه فرقة المشاة 27 بريسكيا الإيطالية التى تقدمت إلى المرج فاحتلتها يوم 5 أبريل 1941 ومنها إلى "درنة" فاحتلتها يوم 7 إبريل 1941 وفيها إلى "الغزالة" فطبرق والرتل الآخر قوامه جحفل استطلاع الفرقة الخفيفة الخامسة الألمانية الذى اندفع إلى الأبيار ومنها إلى "المخيلى" التى كانت فيها أكداس أدامه التشكيلات البريطانية وكان رومل قد قام باستطلاع جوى بطائرة القيادة الخفيفة "اللقلق" واكتشف بنفسه وجود الأكداس الكبيرة التى فى منطقة "المخيل" و"درنة" فجعل "المخيلى" هدفه الأول ووضع خطته للاستيلاء على تلك الأحداس سالمة.

الرتل الوسطى:

مؤلف من اللواء المدرع الخامس الألمانى وجحفل من فرقة المشاه الإيطالية البريطانية إلى "المخيلى" التى كان يدافع منها اللواء الآلى الثالث الهندى.

الرتل الصحراوى:

كان مؤلفًا من الفرقة الخامسة الإيطالية ناقص لواء والفرقة المدرعة 132 "أريتى" الإيطالية وقد تقدم نحو "بنغاما" ومنها إلى تنقدر واتجه منها بثلاثة أرتال:

1 - الرتل الأيسر - أطبق مع الرتلين الساحلى والوسطى على "المخيلى" يوم 6/ 4/ 1941.

2 - الرتل المركزى - اندفع إلى "درنة" مع الرتل الساحلى فاحتلها يوم 7 من أبريل 1941.

3 - الرتل الأيمن - اندفع إلى "العظم" ومنها إلى قلعة: كابرتزو وهى آخر حصن إيطالى على حدود ليبيا فاحتلها يوم 12/ 4/ 1941 متجاوزًا طبرق ثم واصل تقدمه يوم 25/ 4/ 1941 فخرق دفاعات البريطانية عند ممر حلفاية "المنيع" فى منطقة الحدود وقد استخدم الألمان مدافع 88 ملم الليلية المخصصة لمقاومة الطائرات بمهمة مقاومة الدبابات فحققوا بذلك نجاحًا باهرًا بشدة تأثير هذه المدافع على الدروع البريطانية[1].

يقول روميل:

وفى الصباح التالى (5 أبريل) أصدرت أمرًا إنذاريًا لحرس قيادة[2] فيلق أفريقيا فى تمام سعت (400) بالتحرك إلى بنى غانيا[3] وكنت أنوى اللحاق

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق جـ1 ص 225.

(2) حرس القيادة: وحدة مهمتها حماية رئاسة الفيلق أو الجيش. وعادة تقدر قوتها بسرية فى حالة الفيلق وكتيبة فى حالة الجيش. وأثناء سير العمليات فى أفريقيا صار استخدامها بصورة متزايدة كمجموعة قتال للعمليات الخاصة.

(3) مدق بنى غانيا: كان الإيطاليون يسمونه مدق الموت لأن أى قوات كانت تسير فيه لا تعود وتموت.

بالوحدات الأمامية بمجرد أن تسمح الحالة وأتولى قيادتها شخصيًا أثناء التقدم إلى التميمى أو المخيلى.

ثم ألقت نظرة على التقدم إلى بنى غانيا من طائرتى وبعد عودتى ناقشت الرائد سلويشنى عن أحسن الطرق لتحريك قوات الإمداد الثقيلة وكنا نشك فى إمكان نجاح هذا التحرك عبر الطريق الصعب إلى بنى غانيا وقررنا أن نرسل الإمدادات عبر سلوق إلى المخيلى وأخطرنا السلاح الجوى بأن الانسحاب البريطانى مستمر. وفى منتصف اليوم أمرت العقيد أولبريخ بالتقدم فورًا بقوة كبيرة من المدرعات (تتكون من الآلالى الخامس بانزر و40 دبابة إيطالية) عبر سلوق إلى مسوس لتدمير العدو هناك والتقدم نحو المخيلى.

وحوالى سعت (1400) من بعد ظهر اليوم ركبت الطائرة إلى بنى غانيا. وبعد وصولى أبلغنى السلاح الجوى أنه لا يوجد أى أثر للبريطانيين فى منطقة المخيلى وجنوبها، وعليه أرسلت تعليماتى وتلقتها مجموعة شوريرين: "المخيلى خالية من الأعداد - تحركوا صوبها بسرعة. رومل".

وفى نفس الوقت حولت باقى قواتى الأمامية نحو المخيلى وبعد الظهر طرت ومعى الدينجر لأتولى قيادة العناصر الأمامية بنفسى. وقرب المساء عدنا بالطائرة لنبحث عن قوات الفرقة الخامسة الخفيفة والتى عثرنا عليها تتحرك بسرعة كبيرة نحو الشمال الشرقى وبعدها بقليل عثرت على مجموعة أركانى هى الأخرى ثم أرسلت الطائرة وتحركت بسيارتى "ماموث"[1] إلى بنى غانيا بغرض معرفة الصعوبات التى تفرضها طبيعة الأرض، وبعدها بساعتين ونصف وصلنا إلى المطار مغمورين بالأتربة تمامًا، وأخبرونى هناك بأن الفرقة الخامسة الخفيفة توجهت إلى المخيلى. وبعدها بقليل عاد الملازم شولزر من

(1) سيارة قيادة روميل المدرعة والتى استولى عليها من الإنجليز بالقرب من العقيلة.

استطلاعه الجوى وقرر بأن المخيلى وما حولها تحتلها قوات بريطانية كبيرة وفى نفس اليوم كان الرائدها يمـر قد أرسل فى مهمة بطائـرتين لتلغيم المدق شرق المخيلى ولم يصل حـتى ذلك الوقت وكان أركـان حرب للمخـابرات النقيب بوديسان قد أسر بعد أن أسقط العدو الطائرة التى كان يستقلها.

وكان المساء قد حل والوقت متأخـراً للعودة إلى أجدابية ونظراً للموقف المتغـير (والذى أصبح أشـد صعوبة عن ذى قبل) قـررت التحرك إلى الفـرقة الخاسـمة الخفـيفة لأقود العـملية بنفـسى. وتحركنا أولاً وأنوارنا كلها مـضاءة وعندما نجتاز حقلاً للألغام نحدد مكانه ومكان الثغرة بالسيارات المحترقة وفجأة فى منتصف الليل هاجمت الطائرات البريطانية قولنا الطويل المضاء أثناء تغلغله فى الصحـراء ولكن لم تحدث أى خسائر، وتقـدمنا فى طريقنا ولكن فى هذه المرة بدون أضواء. وفى حوالى الثالثة صباحًا وصلنا لمقدمة قول الفرقة الخامسة المدرعة حـيث تقابلت مع قـائدها وأوقفت القول عندمـا اكتشـفت أننا ضللنا الطريق لأن عداد المسافة فى العربة كـان يشير بأننا بلغنا بير تجندر ولكننا لم نر أى شىء حولنـا. وبعدها بقليل حلقت قـواتنا طائرتان ألمانيتـان قادمـتان من الشمال، إحداهما من طراز هنشل والأخرى من طراز ستورش وتعرفت علينا ونزلتا بالرغم مـن وعورة الأرض وكان بها الـرائد هايمر، ورجاله بعـد إنهاء مهـمتهم والتى تضـمنت نزولهم قبل حلول المسـاء مباشـرة فى مطار المخيلى وتلغيهم لـلمدقات المؤدية للشرق ثم بقـائهم طوال الليل بالقرب من طائراتهم لمراقبة التـحركات البريطانيـة وعند الصباح اكتـشفوا أن القوات البريـطانية قد احتلت مـواقع بالقرب منهـم ولكن رجالنا نجـحوا فى بلوغ الطائرات بسـرعة وأنطلوقا بها قبل أن يصابوا بنيران العدوز وقد أبلغونا أن المخيلى محتلة بالعدو وأن هناك تحركـات كبيرة نحـو الشرق. ولـم يكن هناك وقت لنضيـعة إلا فإن

الفرصة ستضيع منا. وحيث إننا مازلنا على مسافة 12 ميلاً من المخيلى فأصدرت أوامرى للملازم بهرند بالاندفاع بأقصى سرعة بمجموعته المقاتلة الصغيرة إلى مدق المخيلى درنة ويقوم بإقفاله عند نقطة مختارة أما المقدم بوناث الذى لم يكن معه من قوته سوى خمسة عشر عربة فقط (لسوء الحظ) فقط أرسلته إلى درنة حيث كان عليه أن يقفل الطريق الرئيسى فى الاتجاهين وبعد فترة قصيرة وصل الكونت شويرين بجزء من قوته وأمرته هو أيضًا بقطع المدقات شرق المخيلى.

وفى حوالى سعت (730) هبط الملازم شولز فى رئاسة الفيلق وأبلغنى عن وجود 300 عربة بريطانية فى المخيلى. كما وصل بعدها بقليل الجنرال شترانج وأبلغته بخطتى ثم تحركت بهيئة أركانى إلى مقر قيادة الكونت شويرين. وفى طريقنا لاحظنا آثار على الرمال لجنازير الدبابات البريطانية وكلها متجهة شرقا[1].

نجد أن رومل خلال هذه الأيام الحاسمة بتقدم إلى الأمام ليواجه القوات نحو أهدفها وليحدد لها واجباتها وليشرف على تنظيمها ثم يعود إلى المؤخرة لدفع قوات المشاة المحمولة حتى تلحق بالقوات المتقدمة مع تعديل خط سير القوات لتحقيق واجبات متتالية فى أوقات مختلفة أو حشدها ضد هدف رئيسى وإعادة تنظيم القوات باستمرار للمحافظة على وتيرة عالية فى التقدم والهجوم إلى جانب الإشراف على التأمين الإدارى للقوات وإمدادها بالوقود والذخائر خاصة بسبب الاستهلاك الكبير لهذه المواد. وقد جابه رومل نتيجة ذلك مآزق صعبة ومواقف خطرة إذا كان عليه أن ينتقل طوال النهار والليل بالطائرة والسيارة، وقد علم بتحرك القوات البريطانية لإخلاء برقة والجلاء

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 40.

عنها، فدفع قواته المدرعة وقوات الاستطلاع للتحرك بسرعة حتى لا يتيح للبريطانيين فرصة التوقف أو تنظيم الدفاع وحدد للقوات المتقدمة واجب الاستيلاء على "المخيلى" واصطدم رومل مرات بالقوات البريطانية وتمكن من النجاة فى كل مرة بفضل سرعة تحركة ومجابهته للموقف بحزم، وكثيرًا ما تاه وسط الصحراء ليجد نفسه عند بزوغ الفجر وراء القوات البريطانية وعلى مسافة قريبة منها كما ضاعت منه وحدات كثيرة الأمر الذى كان يرغمه على متابعة البحث عنها بالطائرة ثم الهبوط بالقرب منها وتوجيهها نحو هدفها، وهكذا وخلال بحث رومل عن إحدى وحداته هبط بالقرب من وحدات بريطانية، وكاد يقع أسيرًا فى قبضتها لولا أن تبين له الموقف بسرعة من شكل خوذة جنيد فأسرع للإقلاع وأطلق البريطانيون النار عليه ولم يصيبوه ولكن أصاب طائرته غير أن الإصابة لم تؤثر على سير الطائرة وتابع رومل بحثه ولم يكن هذا هو كل ما جابهه ورمل من أخطار بل إن إحدى الوحدات الإيطالية وجهت نيرانها إلى طائرته يوم 8/ 4/ 1941 وكانت نجاة رومل من الموت المحقق أعجوبة حقًا[1].

يقول رومل فى مذكراته ما يلى:

ولسوء الحظ لم نتمكن من القيام بالهجوم المزمع على المخيلى فى يوم 6 أبريل، وكان من المقرر أن تقوم قوة فابريس بمهاجمتها من الشرق، وقوة شويرين بمهاجمتها من الجنوب والجنوب الشرقى، وذلك لأن فابريس لم يتمكن حتى المساء من الوصول إلى التلال شرقى المخيلى. ولم تصلنى أى تقارير فى هذا المساء من جزء كبير من الفيلق لأن المسافات أصبحت أكبر من أن تسمح باستخدام (اللاسلكى وأرسل العقيد أولبريخ تقريرًا إلى رئيس

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 120.

عملياتى (الذى كان ما يزال فى أجدابية) أبلغه فيه أن العواصف الروملية ونقص البترول أدى إلى تعطيل تقدمه على طريق مسوس، وبالرغم من هذه الصعوبات فقد نجح فى وقت متأخر من المساء فى الاستيلاء على مسوس واستمر فى تقدمه حتى المخيلى وفى حوالى سعت (0200) من يوم 7 أبريل أبلغ فابريس أن مجموعته لا يوجد بها بترول على الإطلاق وأنه لم يتمكن من وضع مدفعية فى مواقعها وعليه فقد أمرت بجمع كل احتياطى البترول فى رئاسة الفيلق، وكان كله حوالى 35 صفيحة. وفى سعت (0300) تحركت بمجموعة قيادتى لوضع المدفعية فى مواقعها قبل أول ضوء ولكن نظرًا للظلام الدامس ولعدم إمكاننا رؤية الطريق لم نتمكن من العثور على هذه المجموعة، وحتى عندما كررنا محاولتنا مرة أخرى فى الصباح التالى لاقينا صعوبات جمة قبل أن نصل إليها ومن ضمن العقبات التى صادفتنا اصطدامنا بنقطة خارجية بريطانية تتكون من عدد من حملات البرن، وبالرغم من أنه يوجد معنا ثلاث عربات فقط، منها واحدة مسلحة بمدفع ماكينة إلا أننا انطلقنا نحو العدو بأقصى سرعتنا مثيرين سحابة كبيرة من الغبار أدت إلى منعهم من معرفة عدد السيارات أو ما قد يكون وراءها، وهذا على ما يبدو أقلق قوات العدو لدرجة أنها انسحبت سرعة من مواقعها.

وبعد تزويد العربات الإيطالية بالوقود تحركت القوة نحو المخيلى فى تشكيل القتال وبعد وقت قصير أصبحت على مرأى من الحصن ورأينا عدد كبير من عربات العدو متجمعة هناك بواسطة مناظير الميدان واستطعنا أن نميز عددًا كبير من الجنود المتجمعة فى مجموعات منفصلة وقمت بقيادة قوة فابريس إلى نقطة نحو الشمال الشرقى تبعد ميلين من المخيلى حيث توقفنا لاحتلال مواقعنا هناك.

وفى بداية الأمر لم يبـد على العدو نية الدخول فى مـعركة دفاعـية لذا أرسلت الملازم جـروهنة ومـعـه راية بيـضـاء ليطلـب من القـائد البـريطانى الاستسلام، وبالطبع رفض ولسوء الحظ لم نكن قد تمكنا من الاتصال بقوة أو لبريخ بعد وكان من المفروض أن يكون من مدة قد وصل بالفعل إلى المخيلى، وفى الصـباح ركبت طائرتـى من طراز ستورش لـلبحث عنه، وفـجأة رأيت قوات طويلة عرب الحصن وظننت أنها تتبع لأولبريخ، وقام عد الرجال بوضع علامات الـنزول على الأرض، وفى آخر لحظة استطعت تمييـز خوذات الجنود وعرفت أنهـا بريطانية، وفى الحال ارتفـعنا فى الجو وابتعـدنا مسرعين تتـبعنا طلقات مدافع الماكينة البريطانيـة. وكنا محظوظين لنجاتنا وبدون إصابات ولم تصب الطائرة إلا بطلقة واحدة فى ذيلها. وبعد هذه المغامرة أتجهنا غربًا وعلى ارتفاع كبير وعلـى مسافة حوالى 15 إلى 20 ميلاً جنوب غـرب المخيلى رأينا عدداً من العربات الصغيرة متجهة شرقًا واستطعنا رؤية علامات التمييز الألمانية بوضوح، فهبطنا، وكانت جزءاً من الكتيبة الثـالثة استطلاع فوجهتها فى الحال إلى الطريق الصـحيح. وبعـد صعـودى فى الجو اكـتشـفت عدة قـوات من المدرعات القائدة أثناء عبورها لملاحة جافة رأت مساحة كبيرة من المياه، فعادت أدراجهـا، ولم يكن هذا أكـثر من سـراب، وهو شىء شائع فى هذه المنطـقة وأمرتهم بالتقدم فوراً وبأسرع ما يمكنهم .

وبعـد عودتى إلى رئاسـتى انتظرت بدون جدوى وصـول قوة أولبـريخ وأخـيراً طرت بعـد الظهر مـرة أخـرى لأبحث عنه، ورأيت الدخان الأسـود الكثيف يتـصاعد من تل المخـيلى، وغالبًا كـان السبب يرجع لاحتـراق عربة بريطانيـة. مررنا بمدق جديـد فرأينا العربـات البريطانيـة تنسحب عليـه نحو الجنوب الشرقى، واستتر البريطانيـون عند رؤيتهم لطائرتى ولكنهم لم يفتحوا

نيرانهم، ولم يكن من الممكن رؤية أى شيء فى أى اتجاه وكان من الواضح أن قوة أولبريخ ضلت طريقها مرة أخرى. ولكن أين؟ وكانت هناك آثار لجعل العربات فى الملاحة ولكنها اختفت بعد مسافة قصيرة فى الأرض الصخرية وكنت غاضبًا للغاية وقلقًا جدًا لأن حسم الأمر فى برقة الشرقية كلها كان متوقفًا على وصول هذه القوة بسرعة وكانت الشمس قد غابت فعلاً والظلام سيحل فى خلال ساعة ونصف. فاتجهنا شمالاً، وأخيرًا شاهدنا فى الأفق أعمدة تراب. ولحذرنا بعد حادثة اصطدامنا بالبريطانيين اتجهنا بكل حيطة نحو القول، ولكنه كان يتكون من عربات ألمانية فهبطنا بالقرب من أركان حرب العقيد أولبريخ، وكنت غاضبًا للغاية لاتباعهم هذا الطريق الملتف (بالرغم من معرفتى أنهم يجهلون الطريق). وأمرتهم بالتقدم بأرسع ما يمكنهم وطرنا بعد ذاك مستعينين بالبوصلة والساعة وبلغنا مقر قيادتى مرة أخرى وبالرغم من الظلام نزلنا فى سلام وأثناء غيابى قامت الطائرات البريطانية بضرب أرض النزول وأحرقت عدة طائرات من طارز يونكرز[1].

كتب رومل إلى زوجته:

عزيزتى الغالية لو 8/ 4/ 1941

أجهل تمامًا ما إذا كان هذا الموعد جيدًا، فنحن نقوم بالهجوم منذ أيام وأيام عبر الصحراء الواسعة، ونفقد فى هذه اللعبة كل إحساس بالزمن والمسافات وتطور الأمور بسرعة كبرى كما تعرفينها من خلال الأخبار، وسيكون اليوم أيضًا نهارًا حاسمًا فقد اندفعت كتلة قواتنا الرئيسية للهجوم بعد سير مسافة 350 كيلو مترًا عبر الرمال والصخور الصحراوية، وقد انطلقت

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 43.

بالطائرة بحثًا عن القوات ووجدتها، وقد يكون من الصعب عليك تصور مدى فرحى، وسيكون هذه معركة مشابهة لمعركة (كانى) ولكن بأسلوب جديد.

صحتى جيدة ولا تقلقى.

شن رومل عملية عسكرية على الطريق الساحلى فى مرسى البريقة كما ذكرنا سابقًا وعند أحسن فورًا بضعف البريطانيين فزج بأربع مجموعات عبر وادى برقة وحصل على النتائج السريعة وذلك عندما اندفع الفيلق الأفريقى الألمانى فى وادى برقة الواسع، فمن "أجدابية" توغلت فى هذا الوادى مجموعة القتال التابعة للمجور جنرال "ستريتش" ومعها كتيبة المدافع الرشاشة الثالثة بقيادة المقدم "بوناث" إلى طبرق ووضعت تحت قيادته الكتيبة الثالثة استطلاع والكتيبة 8 مدافع ماكينة والكتيبة 605 المضادة للدبابات وبالطبع لم تكن قد وصلت كل هذه الوحدات بالفعل ولكن كتيبة المدافع الماكينة كانت قد تزودت بالوقود ومستعدة للاستمرار فى المطاردة.

وكان استيلائى على برقة قد أصبح كاملاً[1]. ولكن كنت لا أزال اعتقد أنه لابد من مطاردة العدو لأن استمرارنا فى الضغط عليه سيضطره للاستمرار فى الانسحاب.

أولى الدروس المستفادة:

إننى أعتقد أنه لم يحدث قبل ذلك (وخاصة فى الحرب الحديثة) أن حاول أحد القادة القيام بمثل هذا الهجوم بدون استعداد، وأعنى بهذا الإغارة عبر برقة لأنه هذه العملية تتطلب مجهودًا كبيرًا من جانب القيادات

(1) يطلق الألمان والإيطاليون اسم «برْقة» على الجزء الغربى من هذه المنطقة أما باقى المنطقة شرقى الغزالة فيسمونها «مارماريكا».

والوحـــدات بالرغم من فـــشل بعض القـــادة فى بعض الحـــالات فى بلوغ أغراضهم. وأحد الدروس التى وضحت خـلال هذه المعركة ميل بعض القادة إلى التوقف بدون داعى بغـرض الإمداد بالوقود والذخـيرة أو بغرض صـيانة مركبـاتهم بطريقة بطيئة، علمًا بـأن الهجوم العاجل فرصـته فى النجاح تكون كبيرة.

وأن الهدف الأساسى لأى قائد أثناء تنفيذه مـعينة هو تحقيقها فى الوقت المحدد لها ويجب عليه استخدام كل قدراته الـتنفيذية لتنفيذ واجبه خلال هذه المدة المحددة.

وثبت لى أثناء التحرك إلى المخيلى أننى لم أطلب الكثير، لأنه ظهر لى أن القادة الذين استـغلوا قدراتهم تمكنوا من تنفيذ كل ما طلبـته منهم، وظهر فى بعض الأحيان أن طاقات وقـدرات القادة النفسية أهم بكثيـر من استعداده العقلى ومعلوماته العسكرية، وهو أمر غيـر مفهوم جيدًا للمفكرين العسكريين بالرغم من أنه مفروغ مـنه بالنسبة للرجل العملى فى هذه العـملية توفرت لى الفرصة لتدعيم علاقاتى مع الجنود فنتج عن ذلك أن حققوا كل ما طلبته منهم على الدوام.

وفـيمـا بعد تـعرض هجـومنا عـبر برقـة لشىء من النقـد من ناحيـة الإستراتـيجة العليا، فـعندما وصل الجنرال باولوس[1] إلى الجبهـة المصرية -

---

(1) كان الجنرال باولوس فى هذا الحين نائبـا لرئيس هيئة أركان حـرب الجيش الألمانى. وكان مخطئ فى تقديره الخاص بأن تقدم رومل السـريع فى برقة أدى إلى انسحاب الإنجليز من اليونان. وفى الحـقيقة يرجع هذا الانسحـاب إلى انهيار يوغـسلافيا السريع أمـام الهجوم الألمانى الصاعق وتهديدهم للجناح البريطانى الأيسر المعرض فى اليونان. وبمجرد حدوث هذا اقترحت السلطات اليونـانية أن تـسحب إنجلترا قواتها لتفـادى الخراب الشامل لليونان وفى الحال وافق والقائد والحكومـة البريطانية، وانسحب الجنرال ويلسـون بسرعة جنوبًا=

الليبية اعترض على تقدمنا السـريع عبر برقة بدون تمهيد لأنه دفع الإنجليز إلى سحب قـواتهم من اليونان وهى عملـية تتعارض تمـامًا مع نوايا القيـادة العليا الألمانية.

وأنا أرد على هذا بما يلى:

أولاً: أننى لا أعرف أى شىء عن خطة القيادة العليا الألمانية فى اليونان وعلى أى حـال أشك أنه كان يمـكن اصطياد الإنجليـز لأنهم كـانوا عند بدء الهجـوم الألمانى فى الجنوب الغـربى، وكقـاعدة عامـة استطاع الإنجليـز على الدوام سحب قواتهم بحرًا وبسرعة كبيرة عندما يضطروا لهذا. . وما على إلا أن أشير لعملية الانسحاب فى دنكيرك وأخيرًا فى اليونان نفسها عندما استطاع أسطولهم حمل أغلب القوات البريطانية إلى شمال أفريقيا وكريت.

ثانيًا: كان من رأيى عدم مـهاجمة اليونان بتاتًا مع تركـيز كل قواتنا فى شمال الصحراء العربية لطرد الإنجليز نهائيًا من منطقة البحر المتوسط وكان من الممكن استـخدام القوات الجـوية التى استخـدمناها فى اليونان للقـيام بواجب حماية قوافلنا البحرية إلى الصحـراء العربية وبذا نستطيع توسيع سيطرتنا على حوض البحر المتـوسط واستغلال الفرصة المتاحـة إلى أقصى حد، وبعد ذلك كان يجب علينا مهاجمة مالطة بدلاً من كريت وبعدها يمكننا دفع قوات ألمانية ميكانيكية قوية للاستيلاء على كل ساحل البحر الأبيض المتوسط الذى كان فى أيدى الإنجليز وهذا كان بدوره سيؤدى إلى عزل جنوب شرق أوروبا.

وبعد ذلك يكون استـسلام اليونان ويوغسلافيا وكـريت لا مفر منه لأنه

=إلى شبه جزيرة البيلوبونيز (وقاوم الإغراء بالوقوف فى مضيق ثرموبيلى) وهرع الأسطول لنجدته واسـتطاع حمل ثلاثة أرباع القوة بالرغم من تركـه لحوالى اثنى عشر ألفـا سقطوا أسرى فى أيدى الألمان علاوةً على أغلب العتاد الثقيل.

سيستحيل على الإنجليز إمدادها، علاوة على أن الخسائر التى ستتكبدها بسبب هذه العمليات لن تتعدى أبدًا الخسائر التى تكبدناها بالفعل فى استيلائنا على اليونان ويوغسلافيا وكريت وفى عملياتنا فى الصحراء العربية فى صيف عام 1941 (مع الفارق). وكانت ستؤدى إلى تحقيق أغراضنا فى جنوب شرق أوروبا بالإضافة إلى تأمين منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى كمصادر للبترول وقواعد للهجوم على روسيا ولكن قادتنا كانوا يهابون القيام بأى عمليات رئيسية فى أى مسرح يتم إمداده عن طريق البحر، كما أن الدوائر التى تسيطر عليها الأفكار الرجمية العتيقة فى هذا الحين وفيما بعد قاتلت بعنف فكرة هذه العملية".

وكانت الخبرة التى اكتسبتها أثناء هذا التقدم عبر برقة هى الأساس الأول لعملياتى التالية فاتضح لى أننى طلبت الكثير من قواتى أثناء هذه العملية واتضح أيضًا أن مطالبى كانت أكبر من أى مجهود قامت به قواتى قبل ذلك ولذلك قمت بتعديل مقياسى الشخصى بالنسبة لهذه القوات لأنه يجب أن نتذكر باستمرار أن المقاييس المبنية على الخبرة العملية فى ميدان المعركة تكون عادة أقل من المقاييس الموضوعة نظريًا، ولهذا يجب علينا ألا نجمد عليها.

وقد أمكننا خداع الإنجليز تمامًا بالنسبة لتقديرهم لقواتنا الحقيقية وكانوا يتحركوا فى غاية المهارة عندما نهاجمهم بقوات كبيرة (على حسب تقديرهم لقواتنا الحقيقية) لأنهم رفضوا عند أجابية الدخول فى معركة حاسمة بقواتهم العيفة وانسحبوا ليحشدوا قواتهم فى الخلف.

ويعتبر استيلاؤنا على المخيلى" ضربة معلم" لأن العدو لم يتوقع أن نستخدم الطريق عبر بنى غانيا أو نظهر بسرعة أمام المخيلى وهكذا أمكننا مفاجأة العدو تمامًا، وخداعه للمرة الثانية باستخدام سحب الغبار التى أثارتها

قواتنا عمداء فلم يستطع تقدير قواتنا تقديراً سليما وبنفس الطريقة لم تتوقع قوات العدو الموجودة فى برقة أننا سنتقدم إلى درنة بهذه السرعة وعليه فإن سرعتنا كانت هى العامل الأساسى فى انتصارنا فى هذه المعركة وبالمناسبة بعد ذلك بحوالى عام قبل الإنجليز الدخول فى معركة تصادمية بقوات محدودة عن إجدابية. وكان من الواضح أن ويفل ينوى الاحتفاظ بطبرق مع إمدادها بطريق البحر على فرض أن هجماتنا الأولى على الحصن لن تنجح بالطبع وكنت أعرف أن هذا التصرف يضعنا فى مأزق حرج من الناحيتين التكتيكية والإستراتيجية وخاصة إذا قام الإنجليز بهجوم على قواتنا الموجودة فى السلوم. وعلى حد تفكير القائد البريطانى فإنه أعتقد أننا سننسحب من السلوم إلى المنطقة حول طبرق وفى هذه الحالة يستطيع استغلال السلوم كقاعدة له، أما إذا احتفظنا بمواقعنا فى السلوم فستتعرض للتهديد من كل الاتجاهات وبذا ننشغل بعد ذلك عن أى عمليات ضد طبرق والتحليل التالى يبين القيود الثقيلة التى فرضتها علينا هذه الظروف فى إدارة العمليات التالية[1].

كما قامت مجموعة بقيادة المقدم "جران شوبرن" ومعها قوات إيطالية بعملية تطويق واسعة تستهدف احتلال "المخيلى" وقام أيضًا بالهجوم على هذه البلدة عن طريق "موسى" المقدم" البرتشى" ومعه القوات الرئيسية لنوج المدرعات الخامس وكتيبة المدافع الرشاشة االثانية وأربعون دبابة من فرقة "أريتى" الإيطالية المدرعة وتقدم الميجور جنرال "كهرشن هايم" من بنغزى" ومع قوات من فرقة "برسكا" الإيطالية عن طريق "بالبو" إلى "درنة". وفى أثناء هذه الاندفاعية وقع الجنرالان البريطانيان "نيم" و"أوكونور" القائد الأعلى للقوات البريطانية فى الجبهة، أسيرين بيد القوات الألمانية، وكانا قد خرجا من بلدة "مراوة" فى ليلة 6/4/1941، وسارا خلال المستعمرات

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 51.

الإيطالية المهجورة ووجهنها مركز القيادة البريطانى الجديد فى "التميمى"، غير أنهما ضلا طريقهما فوصلا إلى طريق "درنة" الشمالى حيث اعتقلهما جنود المشاه الميكانيكة الألمانية التابعة لمجموعة القتال التى يقودها المقدم "بوناث" وكانا قد جلسا فى سيارتهما وقد أضناهما الأرهاق حيث لاحظ سائق السيارة قدوم الألمان فأطلق النار على جندى ألمانى يمتطى المقعد الخلفى للدراجة النارية الأولى فما كان من جنود الدراجة النارية الثانية إلا أن أجابوه بالمثل من مدافعهم الرشاشة فسقط قتيلاً واضطر الجنرالان البريطانيان إلى الاستسلام حين وجدا نفسيهما محاطين بالرشاشات الألمانية من كل جانب.

سقط أيضًا جنرال بريطانى ثالث أسيرًا فى يد الألمان هو الجنرال "جامبير بارى" قائد الفرقة المدرعة الثانية البريطانية وضابط كبير رابع هو الميجور جنرال "فوجان" ومعهما الفان من الجنود يؤلفون الجزء الأكبر من اللواء الميكانيكى الهندى الثالث وسرية من فوج المدفعية "راجبوتانا" الشهيرة ومركز رئاسة الفرقة، وقد حدث ذلك بعد أن حاصرت مجموعة القتال الألمانيا بقيادة "شوبرن" و"سترتش" فى 7/ 4/ 1941 موقع "المخيلى" الذى يعتبر قلب برقة وحصنها الصحراوى المزود بالأبراج وكانت حامية المدينة البريطانية قد رفضت الاستسلام مرتين وحاولت فى الليل خرق نطاق الحصار وشق طريقها إلى الخارج ولكنها فشلت وأسر الألمان الضباطين البريطانيين الكبيرين واستولوا على غنائم كثيرة[1] كما أسر فى درنة خلال اليوم نفسه العميد "رمنغتون". وبذلك استولت قوات الفيلق الأفريقى الألمانى بعد قتال نهار شاق على "المخيلى" "درنة" قوة من ثمانمائة بريطانى ومعهم جهاز القيادة البريطانى ثم تابعت القوات الألمانية المتقدمة سيرها السريع نحو "طبرق" وبذلك استعار رومل السيطرة على منطقة برقة وكتب إلى زوجته.

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 26.

عزيزتى الغالية لو 10/ 4/ 1941

وصلت مساء أول أمس إلى البحر بعد مسيرة طويلة فى الصحراء ويخيل لى أنه أمر رائع أن تصل إلى هنا بالرغم من مقاومة البريطانيين إننى على أفضل حال، وصلت عربة السياحة أخيراً "كارفان" وكل أمى هو أن أستطيع النوم فيها من جديد.

الإيطاليون يطلقون النار على طائرة رومل:

كتب رومل فى 8/ 4/ 1941 يقول:

وكان هجومنا سينطلق فى الصباح التالى. وفى حوالى سعت (600) طرت إلى الجبهة شرق المخيلى لمتابعة سير العمليات، واقتربنا من إحدى كتائب البرساليبر (وكان العقيد فايربس قد أحضرها فى اليوم السابق)، وكنا فى ذلك الوقت على ارتفاع حوالى 150 قدمًا ويبدو أن الإيطاليين لم يروا من قبل طائرة من طراز ستورش وبلغ من اضطرابهم لظهورنا المفاجئ أنهم أطلقوا علينا نيرانهم من كل اتجاه وكانت تفصلنا عنهم مسافة 50 أو 100 ياردة فقط ويعتبر عدم إصابة الطائرة معجزة كما أن هذا يدل على ضعف مستوى ضرب النار فى الجيش الإيطالى وعلى الفور تحولنا بعيداً وانخفضنا بالطائرة لنحتمى بتبة أرضية لتصبح بيننا وبين حلفائنا وبما أننى لا أرغب فى أن تسقط طائرتى بواسطة هؤلاء الحلفاء فقد أمرت الطيار بالارتفاع إلى ثلاثة آلاف قدم قدم ومن هذا الارتفاع راقبنا الموقف فى أمان، وكان الهجوم على المخيلى فى تقدم ورأينا قولاً ضخمًا من عربات العدو يتحرك من المخيلى نحو الغرب وتابعنا الطيران بأمل العثور على قوة إو لبريخ التى كان من المفروض أن تكون على وشك الوصول ولكن لم تظهر بعد ثم رأينا مدفع ألمانى عيار 88م ومعه طاقمه

على بعد ميل أو ميلين غرب البريطانيين وكنا نأمل فى العثور على قوات أخرى لنا قريبة منه لذلك هبطنا بجواره، فتحطمت الطائرة وعلمنا من قائد الطاقم بأن مدفعه هوجم بواسطة الدبابات فى اليوم السابق، وحيث لا توجد لنا قوات بالقرب منه فأرسل أحد الأفراد فى عربة للاتصال بباقى قواتنا. وسألته هل يستطيع فتح النيران على سحابة الدخان المقتربة التى تثيرها العربات البريطانية وفى أول الأمر قال أنه يستطيع ولكنه اكتشف أن الجندى الذى ذهب بالعربة أخذ معه أبرة ضرب النار. وكانت العربات البريطانية المنتشرة فى تشكيل القتال تقترب باستمرار وأصبح من الواضح أنه يجب علينا الإسراع بالتحرك بعيداً لأننا لا نرغب فى الذهاب إلى كندا[1]. ولحسن الحظ أننا وجدنا عربة أخرى مع طاقم المدفع وتحركنا بها نحو الجنوب الشرقى حيث بلغنا ملاحة كنت قد تعرفت عليها أثناء طيرانى فوقها فى اليوم السابق، ومن هناك استطعنا الوصلو إلى مقر قيادتى.

وبعد عودتى مباشرة أرسلت الرائد هايرم فى طائرة من طراز هتشل للبحث عن أولبريخ وقوته وإحضارهم إلى المخيلى وفى نفس الوقت كانت فرقة آريتى تصل تبعًا فحركتها على الفور إلى المخيلى وبما أنه لم يصلنى أى أخبار عن سير عملية الهجوم التى كانت مستمرة منذ الصباح، تحركت إلى المخيلى ومعى عدد من هيئة أركان حربى لأشرف على العمليات بنفسى ومن المتسحيل اتخاذ القرارات الصحيحية بدون تقدير دقيق للموقف. ولم نذهب بعيداً عندما صادفتنا عاصفة رملية عنيفة اضطرتنا للتوقف لفترة فى بطن التبة التالية، وبعد مجهود ضخم وباستخدام البوصلة فى وسط الرمال الهائجة أمكننا بلوغ مطار المخيلى. ومن هناك سرنا بحذاء سلك التليفون مقتربين

---

(1) كانت معسكرات الاعتقال البريطانية الخاصة بأسرى الألمان موجودة فى كندا.

ببطء من المخيلى التى كانت قد سقطت بالفعل فى أيدى رجالنا وكما سمعنا فيما بعد من الجنرال شترانج أن كل محاولات الإنجليز لشق طريقهم نحو الشرق انهارت (وقد قاموا بعدة محاولات أثناء الصباح) وذلك نتيجة لنيران المدفعية الألمانية والإيطالية، بينما نجح هجوم مشاتنا بمعاونة عدد قليل من الدبابات الألمانية والمدافع المضادة للطائرات، وفى نفس الوقت وصل أولبريخ وقوته.

وفى حوالى سعت (1200) تلقيت تقريراً نم المقدم بوناث (وكان واجبه قطع الطريق الرئيسى عند رنة) يبلغنى فيه أن الأسرى والغنائم فى تزايد مستمر وأن قواته المقاتلة تضعف باستمرار وطالب بالنجدة عل يوجه السرعة فأرسلت إليه فى الحال قوات شويرين وأولبريخ وكان على باقى الفرقة الخامسة الخفيفة المحافظة على الأرض المكتسبة فى المخيل أما فرقة آريتى المدرعة فعليها التجمع هناك فى الوقت الحالى.

وفى الظهيرة تحركت قوة شويرين إلى درنة، وتبعتها ومعى هيئة أركان حربى (العمليات والمخابرات) وفصيلة الدفاع المضاد للطائرات وبعد أن تجاوزنا الحصن صادفنا عاصفة رملية الدفاع المضاد للطائرات وبعد أن تجاوزنا الحصن صادفتنا عاصفة رومليـة بعثرت القول، لدرجة أنا استغرقنا وقتًا طويلاً فى تجمعه مرة أخرى، وبالرغم من هذا التعطيل إلا أننا نجحنا فى الوصول إلى درنة فى تمام سعت (1800) وذلك بعد أن زدنا من سرعة التحرك. وهناك أبلغنى بوناث أن عدد الأسرى أصبح 800 وذلك بعد أن زدنا من سرعة التحرك وهناك أبلغنى بوناث أن عدد الاسرى أصبح 800 وأغلبهم من هيئة أركان حرب القوات البريطانية وقد سررت لهذا الخبر ولكن زاد سرورى عندما علمت أن من ضمنهم الجنرال فيليب ينم القائد العام للقوات البريطانية فى

مصــر وشرق الأردن والجنرال أوكــونور[1] (الذى سحق الجــيش الإيطالى فى العام السابق) وقد سقطا فى الاسر على أيدى راكبى الموتوسيطلات قد وصلت فرقة بريسكيا بقعد مجهــود كبير إلى درنة قادمة من بنى غازى ويرجع الفضل للجنرال كيرشهايم الذى صاحبها فى تقدمها.

قوات روميل تطارد الإنجليز إلى طبرق:

وأصدرت تعلـيماتى للجنرال فــون بريتويتــز قائد الفــرقة 15 بانزر بعد وصول جــزء من هذه الفرقة إلى الصــحراء العربيــة بتولى قيــادة قوة المطاردة ومتاعبة الإنجليز[2].

يقول اللواء "درموند يونغ" : "أن الجنرال ويفل أو هيئة أركان حرية قد أخطأ التــقدير حين أرتأى أن روميل لن يــتمكن من شن هجوم فــى ربيع عام 1941 على هذه الصــورة الباكــرة التى قام بهــا وإذا كانت هيــئة أركــان حرب روميل قد أخطأت فإن قلم المخابرات السرية البريطانية معذور ولا شك إذ نحن علمنا أن روميل لم يفاجئ قلم المخابرات فقط بل فاجأ حتى رؤساءه فى برلين لأنه شن هجومه فى 31 مارس، ولـم تكن القيادة العــليا قد طلب إليه إلا فى 21 من ذلك الشهر أن يهئ خطة لإعادة الاســتيلاء على برقة وأن يعرض هذه الخطة للنظر فــيــها فى مــوعــد لا يتجــاوز العــشرين مــن أبريل لتكون خطة محكمــة، وكانت القوات البــريطانية العاملــة ترى أن روميل لن يذهب إلى ما وراء "أجدابية" إلا إذا وصلت الفرقة المدرعــة الخامسة عشرة، ولابد أن يكون

(1) كان أوكونور قد وصل لتسلم القيادة من نيم ولكنه فضل العــمل كمستشار له حتى انتهاء المعركة. ولقد اصطدمت سيارتهما بدورية ألمانية وكانت هذه السيارة غير محروسة مما أدى إلى سقوطهما فى الأسرى.

(2) مذكرات روميل - المرجع السابق ص 46.

هالدر هيئة أركان حـربه قد أمضوا أسبوعًا أو أسـبوعين فى دراسة هذه الخطة ناظرين إليها نظرة الناقد الذى يتسقط هفوات خصم له، ولكن الفرصة لم تتح لهم فقبل أن تصل غليـهم الخطة بتسعة ايام تمكن روميل غـزو برقة من جديد مع استثناء طبـرق ثم بلغ الحدود المصرية! لقد قام روميل بأكـثر مما كان منتظرًا أن يطلب إليه أو يحـاول القيام به لو أن انتظر الآذن من برلين، ولقـد تجاهل روميل حـتى هتلر وفى الثـالث من شهـر إبريل أبرق إليـه هتلر ينصح له بأن يكون حريصًا على إلا يقوم بأى هجوم واسـع النطاق قبل أن تصل إليه الفرقة الخامسة عشـر المدرعة وكان عليه بصفة خاصة ألا يعـرض جناحه للعدو حين يستدير مـهاجمًا بنغازى، كـانت قد أخليت فى اليوم الذى وصلته فيـه برقية هتلر، أما الفرقة الخامســة عشرة المردعة فكانت قد نزلت إلى طرابلس يومكن أن يقال أنها قد وصلت وقد قال لى ضـابط قدير كان يعمل مع قلم المخابرات السـرية فى القاهـرة: " أن روميل لسوء الحظ قـد قامـر وكـسب ولو أنه اتبع القواعد والأوامـر العسكرية الصادرة إليه ما قـام بمثل ذلك الهجوم وعلى هذا النحو من السرعة".

لا شك أن مـثل هذه اللهجـة فى الحديث عن روميل مما يروق لـلعمـيد "هالدر" ولقـد كان أميـر اللواء "وليامـز" الذى صار فـيما بعـد رئيس قلم المخابرات الخاص بالجنرال مونتغمرى، فقائد لفيلق الحرس التابع للفرقة المردعة الثانية يشـاطره فى هذا الرأى، إذ قال: " أننى أعتقـد أن روميل بدأ بتكتيكات سريعة ثم وجد من اليسير عليـه أن يستولى على "العقيلة" ذلك لأننى أتذكر هذا الأمر جيدًا لأننى كنت فى حصن "العقيلة" عندما استولى روميل عليه ثم بعد ذلك قـام بخطة استكشافيـة انتهت إلى هجوم موفق ومما لا شـك فيه أن روميل ما كـان من الممكن له أن يجرؤ على مهـاجمتنا بتلك السرعـة التى قام بها". وهكذا ظهر روميل لأول مـرة على مسرح الصحراء فهـذه السرعة التى

غزا بها برقة كـان لها أثر قوى حتى فى نفوس الخبراء العسكريين بل كان لها أثر قوى مؤلم فى نفوس عامة الناس الذين يقيسون الانتصارات على صفحات الخرائط مع أن الأرض فى الصحراء لا تعنى إلا شيئًا تافهًا.

ولكى يسهل عليك فهم هذه المعارك، ما عليك ألا أن تتصور أنها معارك بحرية وليست برية فالعدو الذى تتعطل دباباته، بغير عليه أسطول الدبابات المنتصرة، فيظل هذا الأسطول يجرى إلىٰ أقصى ما يسمح له البترول بذلك، أما الشىء الذى روعنا حقًا فهو تلك السيادة الهائلة التى نالها السلح الجوى الألمانى ذلك لأنه من طراز رفيع، وقد ظلت هذه السيادة وذلك التفوق فى السلاح إلى أن وصلت البريطانيين دبابات شيرمان قبيل معركة العلمين، ولم تنل دبابات شيرمان تقدير القيادة العليا البريطانية ولا الوزارة البريطانية التى كانت ترى العبرة بالكم لا تجدى فى الصحراء على الأقل، ولقد أمسك رومل بزمام قوته الدقيقة بجرأة وبراعة فائقتين وله فى ذلك خبرة طويلة هائلة فلقد اقتاد بنفسه فرقة مدرعة فى الحرب وأسبوع فى القتال خير من ستة أشهر فى المناورات، وكان رومل يحارب جنودًا لا خبرة لهم ولا دراية، وقادة لم يروا مناورات على نطاق واسع وذلك لنقص ما لدينا من الدبابات، وفى كلمة واحدة نستطيع أن نقول أن رومل كان يعرف من أمر مهمته أكثر مما نعرف نحن وكذلك جود دباباته!! ولقد قال أمير اللواء ليامز: " أنهم كانوا يحاربوننا بأسلحة أخرى وأحسن من أسلحتنا ولا أعتقد أنه كان من السهل وقف تقدم رومل أو صد زحفه" . كما قال كذلك: "لم يكن لدينا إلا مدافع مضادة للدبابات زنة رطلين ومجموعة من الدبابات البالية" وحتى لو كانت هذه الدبابات جديدة فإنها كانت دون الدبابات الألمانية المدرعة فى الكفاءة والقدرة[1].

---

(1) اللواء إدموندز يونغ - المرجع السابق ص 101.

المقاومة البريطانية لرومل فى طبرق 1941/4/10:

نلاحظ أن الرد الفعلى الإيجابى "لويفل" كان بتاريخ 8/ 4/ 1941 عندما قرر الدفاع عن طبرق بإصرار من "تشرشل"، وزج ويفل قطعات العسكرية لموازنة المعركة أبعد ما يمكن إلى الغرب بأنشاء "جيب للتثبيت" وكانت طبرق مركزًا لمستودعات كبيرة وفيها احتياط من المياه وميناء مجهز منع العدو من استخدامه وكان من الضرورى أيضًا ربح الوقت الضرورى لجلب نجدات جديد إلى مصر، وقدمت هذه المرحلة مستحدثات جديدة للحرب التقليدية وخالفت ترتيبها التقليدى وأصبح الهجوم فيها مرتجلاً وقد كتب رومل فى تلك الفترة قائلاً: "كان الهجوم يتطلب أقصى حد من المبادأة من الجميع وكان بعض القادة يصرون على تجميد وحداتهم لإملاء خزانات الآليات بالمحروقات وللتموين بالذخائر وتشكل فسحة الوقت المخصصة لتنفيذ إحدى العمليات بالنسبة لقائد الوحدة عملاً أكبر من مواهبه الفكرية". رومل يتدفق بالحيوية والقوة وعندما يتوطد مثل هذا الاتصال الإنسانى بين مثل هذا القائد وقطاعاته تنفذ هذه القطاعات كل ما يطلب منها، وكانت مقاومة طبرق ممكنة لأن قيادة الفرقة 5 الخفيفة الألمانية لم تكن قد فهمت بعد الخصائص المميزة لهذه الحرب وهى: التفتيش عن "مركز النقل" وحشد كل صفوف الأسلحة ضده والقيام بالاختراق فيه وتوسيعه والاندفاع فى الاختراق فجأة نحو الداخل قبل أن يتاح للخصم الوقت للرد.

حطم 24.000 مقاتل كانو فى طبرق معظمهم من الأوستراليين الهجمات الألمانية، وأرسلوا بعض الدوريات الهجومية أو خرجوا من النطاق الدفاعى فى مجموعات صغيرة مختلطة بغرض تحقيق هدف محدود، وكان من الضرورى مهما يكن الثمن تعزيز الحدود المصرية من الاختراق الفيلق

الأفـريقى الألمـانى بالطائرات والدبابـات، جـبل طارق 6/ 5/ 1941 من قـبل الأسطول "H" وتحرك أسطول الإسكندرية للقائها مع تحقيق الاتصال بها على مسافة 80 كم إلى الجنوب من مالطا بتاريخ 9/ 5/ 1941 ووصلت القافلة التى اقتـصرت على أربع سـفـن تجـارية أى 238 دبابة و43 طائرة "هاريكان" فى ينـاير 1941 ووصل هذا العدد إلى 75 طائرة فى مـايو وذلك برغم الخسـائر التى أنزلت بهـا حيث دمـرت حوالى ستين طـائرة فى معارك جـوية أو على الأرض[1].

أصبحت طبرق هى الهدف الجـديد لقوات رومل وكان القائد البريطانى "ويفل" الدفاع عن طبـرق بأى ثمن كمـا ذكرنا سابقًـا والإفادة فى ذلك من تحصيناتها الدفاعية القوية ومن تتوافـر الماء فيها ومن إمكانيات دعمها وإمدادها عن طريق البحر ومقـابل ذلك صمم رومل على انتزاعها حتى لا تبـقى موقعًا يهدد مؤخراته عند تقدمه نحو مصر بالإضافة إلى رغبة فى الأفادة من موقعها الإستراتيجى للهـجوم على مصر وللدفاع فى حالة التراجع مع مـا يتوافر لها من مميزات بحكم موقـعها على البحـر وبحكم توافر المياه فيهـا، ولهذا جمع عناصر قيادته فى يوم 9/ 4/ 1941 وأوضح لهم مخططه للهجوم وكلف القوات بمهامـها المتنوعة وواجـباتها، وفى السـاعات الأولى من يوم 10/ 4/ 1941 بدأ الهـجوم على طبـرق[2] بعـد اليوم الذى تمكن الفـيلق الأفـريقى الألمانى من الاستـيلاء علـى "درنة" عن طريق القائد "يوناث" ولـم يـترك رومل فـرصة لرجال الفرقة الألمانيـة الخامسة الخفيفـة لتستمتع بمشاهدة ألوف العـصافير التى تجـمعت فى هذه المدينة فى هـجرتهـا السنوية إلى الشـمال وإلى ألمانيـا على

(1) أميل دنتيسى - المرجع السابق ص 136.

(2) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 121.

الخصوص ولا تترك لهم فرصة حتى الاستراحة بل واصلوا التقدم السريع إلى طبرق بما استولوا عليه من المؤن فى معسكر التميمى.

يقول رومل فى مذكراته:

وفى 9 أبريل كان علينا القيام بمجهود كبير لاستكمال الترتيبات الإدارية وإحضار قوات أكبر للجبهة، وفى ذلك الوقت وصل تقرير يفيد بأن العدو حشد قوات كبيرة حول طبرق يقوم بتحميل المعدات فى عشر سفن موجودة فى الميناء ولسوء الحظ كان سلاحنا الجوى مشغولاً للغاية بإحضار باقى قوته من الطائرات، ولا يستطيع الخروج للقتال إلا بعدد قليل من الطائرات وفى متنصف النهار وصل قائد فرقة برسكيا وأخبرته بنواياى، وقد تضمنت الهجوم على طبرق من الجنوب بفرقة بريسكيا أساسًا ثم تتبعها فرقة تريتتو لتثبيت قوات العدو هناك مع إثارة سحب كثيفة من الغبار، بينما تقوم الفرقة الخامسة الخفيفة بالالتفاف من جنوب طبرق عبر الصحراء لمهاجمتها من الجنوب الشرقى.

وفى عصر هذا اليوم وصلت معى الدينجنز إلى التميمى (حيث تحتل قواتنا الأمامية مواقعها) وهناك أطلعت الجنرال فون يريتوينز على خطة الهجوم على طبرق. وفى نفس الوقت قدرت أن الفرقة الخامسة الخفيفة تحركت بالفعل صوب التميمى وكان من المهم جدًا أن نظهر أمام طبرق بقوة كبيرة، ثم نبدأ هجومنا بأسرع ما يمكن حتى أوجه ضربتنا قبل أن يسترجع العدو روحه المعنوية المنهارة بسبب تقدمنا السريع عبر برقة، وقبل أن يقوى دفاعاته حول طبرق، ولذلك طرت فى اتجاه المخيلى لمقابلة الفرقة الخامسة الخفيفة ولكن بعد أن قطعنا 30 ميلاً قابلتنا عاصفة رملية اضطرتنا إلى العودة إلى درنة.

وانتظرنا هدوء العاصفة ثم أقلعنا مرة أخرى ووصلنا للمخيلى فى سعت (1630) فوجنا الفرقة الخفيفة لا تزال هناك بكامل قوتها لأنهم أعتقدوا أن فى استطاعتهم التوقف لمدة يومين لصيانة مركباتهم، وطبعًا هذا الإجراء كان يتعارض مع نواياى، فأصدرت أوامرى للفرقة بالتحرك فى هذا المساء عبر التميمى على أن تكون فى أول ضوء فى منطقة الغزالة (المنطقة التى اخترتها لتهجم منها هذه الفرقة).

وفى الساعات الأولى من صباح 10 يوم أبريل تحركت فى اتجاه طبرق ووجدت الكتيبة الثالثة استطلاع على مسافة 30 ميلاً غربى الحصن، ولسوء الحظ ظهر أنها لم تبدأ بعد التفافها نحو المينى للقيام بهجومها المزمع، وقد أصدرت أوامرى للجنرال فون بريتوينز ببدء الهجوم فى الحال بمحاذاة الطريق المؤدى إلى طبرق على أن تتحرك الكتيبة الثالثة استطلاع إلى العضم، ثم تحركت مرة أخرى نحو طبرق. . . فوجدت الوحدات القائدة من الكتيبة الثامنة مدافع ماكينة على مسافة عشرة أميال من طبرق وكانت تقوم بالهجوم، ولكن النيران الشديدة للمدفعية البريطانية الموجودة فى طبرق أوقفت تقدمها.

وفى هذا الوقت لم يكن لدينا فكرة صحيحة عن طبيعة ومواقع الدفاع حول طبرق. ثم بدأ الريح يشتد مما أدى إلى هبوب عاصفة رملية وأصبحت الرؤية (التى كانت جيدة حتى هذا الحين) معدومة تقريبًا فاضطررت إلى العودة ثانية وعند نقطة تقع على مسافة حوالى 25 ميلاً غربى طبرق أبلغنى الكونت شويرين بأن الجنرال فون بريتوينز لقى مصرعه فقد أصيب إصابة مباشرة من مدفع مضاد للدبابات فأصدرت أوامرى للفرقة الخامسة الخفيفة (بعد أن وضعت محلها فرقة بريسكيا) بالتقدم إلى الطريق الرئيسى شرقى

طبرق وغتمام حصار المدينة. وفى نفس الوقت علمت بوصول فرقة آريتى إلى بيرتجندر فأمرتها بالتقدم إلى العضم.

وقدرت ربما يصبح الموقف فى الجبهة مـائعًا فاضطررت إلى تمضية اليوم التالى هناك وظهر لى بوضوح أن القائـد يجب أن يلم بكل دقة بميدان المعركة ويجب أن تكون معلوماته عن مواقعه ومواقع العدو كاملة، وظهر لى أيضًا أنه ليس المهم أن يكون القـائد أكثـر ثقافـة من خصـمه أو أكـثر مـرانًا من واقع التجارب الـتى مر بها وأنما المهم السيطرة على مـيدان المعركة سـيطرة كاملة. وثبت لى صـحة هذه الـنظرة وخاصـة عندمـا يظهر مـوقف لا يمكن تقـدير نتائجـه، ولذلك يجب على القائد التحـرك إلى الأمام ليقدر كل شىء بنفـسه لأن التقارير التى يتلقاها إذا تأخرت ولو لوقت بسيط فقد لا توفر له المعلومات اللازمة لاتخاذ القرارات السليمة.

وتحركنا جنوبًا فى عـربتى المدرعة (ماثوث) على مـدق اكتشفناه حـديثا وعلى مسافة حـوالى ميلين ونصف شمالى العضم اتجهنا شـرقًا للأقتراب من طريق طبرق العضم وفى مواجهتنا لاحظنا تحرك الدبابات البريطانية والسيارات المدرعة على مرتفع وبدا لنا أن الكتيبة الثالثة استطلاع لم تستول على بعد على العضم. واكتشفنا فى الأرض المرتفعة الواقعة شمال شرق العضم معسكرًا من الخيام وقد أخلاه العـدو بالفعل، بينما كانت تضرب المدفعيـة البريطانية بشدة عناصـر الفرقـة الخامـسة الخفـيفـة التى تقف عل يالطريق، ثم بدأت داناتــها تتساقط بالقرب منا[1].

تعتبـر طبرق المفتاح الرئيـسى إلى مصر، وميناء كـبير وقاعدة لـلتموين ولذلك كانت هى الهـدف الرئيسى للهجـوم الألمانى، ولذلك تلقى وايفل من

(1) مذكرات رومل - المرجع الـسابق ص 53.

تشرشل فى السابع من إبريل برقية يقول له فيها: "عليك أن تصمد فى طبرق واستعن من أجل ذلك بالتحصينات التى أقماها الإيطاليون وليكن صمودك هذا على الأقل حتى يحضر العدد مدفعيته الثقيلة ولن يعرض العدد نفسه للخطر بالزحف إلى مصر قبل الاستيلاء على طبرق وهو لن يتمكن من استحضار مدفعيته الثقيلة قبل مرور عدة أسابيع وبإمكاننا أن تدعم قواتنا من البحر ونعطل خطوط مواصلات العدو، أن تطبرق هى النقطة هى النقطة التى يجب الدفاع عنها حتى الموت دون أى تفكير فى التراجع ويسرنى أن أعرف منك ما ستفعله" . غير أن "وايفل" لم يكن من هذا الرأى، فأجب تشرشل فى اليوم التالى فى تشاؤم ظاهر بقوله: "أن طبرق ليست موقعًا دفاعيًا حسنًا فهى غير محمية وتنقصها المنشآت الضرورية، فضلاً عن أن علينا أن نأخذ بعين الاعتبار طول خطوط المواصلات" . واستنتج تشرشل من هذا القول وهو على حق، "أن ويفل ينوى التخلى عن طبرق" فاستحوذ عليه الغضب وأجاب على برقية "وايفل" بأمر تاريخى يطلب إليه فيه عدم التخلى عن "طبرق" ولذلك اصطدم روميل بمقاومة عنيفة غير منتظرة حين حاول اقتحام المدينة وفشل الهجوم الألمانى أمام مقاومة القوات البريطانية المدافعة عن المدينة، وسقط الجنرال "فون برتوتبز" قائد الفرقة الخامسة عشر المدرعة قتيلاً عند الكيلو 16 أمام طبرق فى اليوم الأول من الهجوم وعندما حاول روميل فى اليومين التاليين اختراق فى اليوم الأول من الهجوم وعندما حاول فى اليومين التاليين اختراق تحصينات طبرق بجزء كبير من الفوج المدرع الخامس تدعمه السريتان الأولى والثانية من الوحدة 605 المدرعة منى هجومه بالفشل ورد على أعقابه بنيران مدفعية اللواء الأسترالفى العشرين، إلا أن روميل لم تثبط له عزيمة وعزا الفشل إلى "الحظ السيء وجدَّد هجومه فى اليومين

التاليين[1] وشنت القوات الألمانية والإيطالية هجوما غير أن المدفعية البريطانية المضادة للدبابات نجحت في إيقاف الهجوم وتبين لروميل أن الخنادق والتحصينات الدفاعية المحيطة بطبرق هي أكثر عمقًا وأكثر أتساعًا مما كان يعتقد.

يقول روميل:

وهناك (على طريق طبرق) قابلت الكونت شويرين وأصدرت له أوامرى بالاقتراب من شرق طبرق ومنع الإنجليز من محاولة اختراق حلقة الحصار ثم تحركت عائدًا إلى عكرمة لإحضار قوات أخرى.

وحتى ذلك الوقت لم أر أى قوات ألمانية فى اتجاه الجنوب الغربى من طبرق وقررت استخدام سقف الماموث كبرج للمراقبة وكان ممتازًا، وأعطانى مجالاً جيدًا للرؤية عبر الأرض وهو شيء ضرورى جدًا فى مثل هذا المكان الخطر الذى يسهل لأى داورية بريطانية أن تتصيدنا. وأخيرًا وجدت هيئة أركان حرب الفرقة الخامسة الخفيفة، ثم وصل الآلاى الخامس بانزر بـ20 دبابة، ومعه كتيبة مدافع ما كينة، فأرسلتهم على الفور لمهاجمة طبرق من الجنوب الشرقى.

ثم تحركت مرة أخرى نحو منطقة التجمع، وبدا لى أن الهجوم فى الأرض المفتوحة يلاقى صعوبات أكبر مما كنت أتخيل، فكانت نيران المدفعية البريطانية تسقط بمعثرة فى عدة نقط.

وفى عصر اليوم نفسه أخطرتنا الكتيبة الثالثة استطلاع بسقوط العضم فأمرتها بالاستمرار فى المطاردة إلى البريدة، بينما كانت القوات الأخرى تصل تباعًا وفى يوم 11 أبريل تم تطويق طبرق بالكامل، ثم بدأ الهجوم بالطائرات

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 28.

المنقضــة (ستوكا) على مــواقع العدو الدفاعيــة والتى كانت وما تزال مجــهولة بالنسبة لنا.

وفى 12 إبريل استولت الكتيبة الثالثة استطلاع على البريدة بنما وصلت إلينا قوات أخــرى فقررت البــدء فى أول هجوم كبــير على الحصن فى عــصر نفس اليوم.

وفى نفس الوقت تسلمت فرقــة بريسكيا الجبهة الغــربية لطبرق، وبدأت الهجوم فى عــصر هذا اليوم وكانت الفــرقة الخامسة الخــفيفة غيــر راضية عن أوامرى الهجوم وأبدت عدة اعتراضــات أضطررت إلى تجاهلها أولاً ثم قمعها بعد ذلك.

وأخيراً حوالى سعت (1360) بدأت الفرقة الخامسة الخفــيفة هجومها ثم تحركت شمالاً فى المامــوث خلف مدرعاتى بينما كانت مدفعــية العدو تضرب منطقة تقدم مــرعاتنا، ولكنها لم تكبدنا ســوى خسائر طفيــفة، وعند وصول الآلاى الخامس بانزر للثغرة تــوقف لتعرضه لنيران شديدة من المدفعــية وأخيراً توقفت المردعات أمام خندق مضاد للدبابات وذلك لعــدم استعدادنا لردمها فى هذا الحين. وأخيراً توقفت جميع المــدرعات لأنه ظهر أن دفاعات طبرق كانت ممتدة فى جميع الاتجاهات نحو الغــرب والشرق والجنوب أكثر مما قدرنا وحتى ذلك الوقت لـم نحصل على تخطيط لمواقع طبرق الدفــاعية الموجودة فى حوزة الإيطاليين.

وقررت تجــديد المحاولة فى ظرف أيام قليلة وذلك عندمــا تصل مدفــعة أكثر وفرقة آريتى المدرعة وبذلك لا أترك للعدو أى فرصة لتدعيم دفاعاته.

ويوم 13 أمرت الفرقــة الخامسة الخفيــفة للقيام بإغارة استطلاعــية وكان على مجــموعات الاستطلاع إذا اختــرقت نطاق طبرق الدفــاعى أن تقوم بردم

الخنادق المضادة للدبابات. وكان على فرقة بريسكيا تثبيت العدو بالنيران قرب المدينة مع إثارة الغبار لتظهر هذه المنطقة كأنها منطقة تجمع لتشكيلات كبيرة وبذلك تحول أنظار قيادة العدو عن الهجوم الرئيسى.

وظهر أن قيادة الفرقة لم تمارس فن تركيز قواتها فى نقطة واحدة لفتح ثغرة للانطلاق منها وتطويق وعزل العدو على الجانبين ثم الاندفاع مثل الصاعقة داخل الدفاعات للوصول إلى مؤخرته قبل أن يتوفر للعدو الوقت اللازم التصرف[1]. وقمت بتقدير الموقف بالنسبة لقوة العدو وأعتقدت أنه فى مثل هذه العملة ستكون فرصتنا فى النجاح كبيرة وذلك لتوفر قوات كبيرة لدينا لهذا الهجوم. وهذا النجاح يحتاج فقط إلى شىء من المبادأة والتفكير الواقعى المنطلق ولسوء الحظ لم تتوفر لى الفرصة لتدريب قواتى بنفسى قبل الإغارة عبر برقة، وإذا توفر لى الوقت لذلك لاستطعنا مواجهة الظروف التى واجهتنا أمام طبرق بطريقة أحسن.

ولم يصلنى أى أخبار عن فرقة آريتى المدرعة (التى كانت تساند هجوم الفرقة الخامسة الخفيفة)، فقررت أن أعود لإحضارها بنفسى. وقابلت مقدمة هذه الفرقة على مسافة 22 ميلاً غربى العضم وأمرت قائدها الجنرال «بالداسارى» بحشد قوته فى المنطقة شمالى العضم.

---

(1) ما كتبه رومل هنا عبارة عن الصفات الرئيسية للحرب الخاطفة التى نفذت من قبل بنجاح كبير بواسطة القوات الألمانية المدرعة فى الحملات الافتتاحية للحرب. ولا يمكن تلخيصها بطريقة أوفى وأوجز مما كتبه لأن «الحرب الخاطفة» تعتبر اسما صعبا للغاية غامضا بعض الشىء. وقد قمت بتقديم هذه الفكرة عام 1920 وسميتها السيل المتدفق، وهذا يعبر (بطريقة أحسن) عن تجميع بعض مبادئ الحرب مثل الحشد والاختراق المبدئى والتوسع العرضى واستغلال النجاح بالاختراق العميق.

وحوالى سعت (1800) بدأت الكتيبة 8 مدافع ماكينة إغارتها تحت القيادة الممتازة للمقدم بوناث وكان غرضها (كما قلنا قبل ذلك) تدمير الخندق المضاد للدبابات وعمل رأس كوبرى داخل النطاق الدفاعى البريطانى وكانت النيران المساعدة من المدفعية الألمانية والإيطالية تدار بمهارة، وقامت بطاريات الكتيبة الثالثة عشر المضادة للطائرات تحت القيادة الشخصية للرائد هخت بضرب نقط العدو القوية بنيران مباشرة وقد نجحت نجاحًا باهرًا.

وبالرغم من ذلك بدا لى أن تقدم مدرعاتنا ووحداتها المضادة للدبابات بطيئًا بعض الشىءوكان البريطانيون يغطون المنطقة بنيران مبعثرة من مدفعيتهم، ولكننا لم نتكبد خسائر تذكر وحل المساء ولم أتلق بعد أى تقارير واضحة عن نجاح عملية تدمير الخندق المضاد للدبابات ولكن كان من الواضح أن بوناث قد اخترق المواقع البريطانية بالفعل وأنشأ رأس الكوبرى وبهذا هيأ لنا الظروف لهجوم اليوم التالى.

وفى نفس الوقت استقر الحال فى مواجهة السلوم فاستولينا على السلوم وكايتزو وكان البريطانيون فى حالة سكون شبه تام[1].

قامت قوات الفيلق الأفريقى الألمانى فى يوم 13/ 4/ 1941 بهجوم جديد وأمكن لها الوصول إلى تقاطع سيدى محمود غير أن الهجوم توقف عند هذا الحد بسبب المقاومة العنيدة للبريطانيين، وفى يوم 14/ 4/ 1941 نظم رومل هجومًا قويًا أمكن بواسطته تدمير بعض أعشاش المقاومة وإحداث خرق محدود، ولكن هذا الهجوم أيضًا انتهى نهاية محزن'، إذ اخترقت كتيبة المدافع الرشاشة الثامنة بقيادة المقدم "بوناث" خط الدفاع الأول، إلا أن هذه القوة اضطرت إلى الاشتباك بالسلاح الأبيض مع الأستراليين فمزقها هؤلاء شر

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 58.

ممزق، كما أن فوج المدرعات الخامس استطاع التغلب على كمائن الدبابات البريطانية حول طبرق ولكن نيران مدفعية قوية انصبت عليه من حصن "بيلاسترينو" فأوقفت تقدمه ومزقت السرية الثانية من الفوج فأضطرت القوة الباقية إلى التراجع وكان هذا أيضًا شأن فرقة أريتى الإيطالية المدرعة التى لم تتحمل شدة النيران رغم أنها تعودت أن تقاتل بشجاعة غير أن البحرية البريطانية تدخلت بمدفعيتها الثقيلة فأحبطة الهجوم غير أن رومل لا زال يأمل فى الاستيلاء على طبرق وكتب إلى زوجته:

عزيزتى الغالية لو الساعة 30.3 يوم 14/ 4/ 1941

قد نشهد نهاية معركة طبرق ولقد أظهر البريطانيون عنادًا كبيرًا فى القتال ولديهم مدفعية ضخمة ونحن نقوم الى، باهلجوم على مواقعهم، قد خرجت معظم قواتى الآن من الصحراء بعد أن أمضت فيها مدة خمسة عشر يومًا وحقن جندنا انتصارًا على عدوهم وانتصارًا على الطبيعة ووجدنا هنا ما يكفى من المياه[1].

دافع الجيش البريطانى عن "طبرق" فى أول الأمر عن طريق اللواء 24 الأسترالى ثم عززته القيادة البريطانية باللواء 18 الأسترالى قبيل وصول القوات الفيلق الأفريقى وأعتقد اللوائين 20 و26 الأستراليين فتكاملت الفرقة الأسترالية وأصبحت الحامية القوية بقيادة اللواء "لافاراك" الذى نظم دفاعاته بشكل متقن فأحبط هجومًا ألمانيا مباغتًا قتل فيها اللواء "فون بريتفنز اونت غافرون" قائد الفرقة المدرعة 15 الألمانية، ولماعاود الألمان هجومهم لم يصادفهم النجاح لرصانة الدفاعات البريطانية التى أقامها 36.000 رجل أنشأوا طوقًا يحيط بطبرق طوله 48 كيلو مترًا ويمتد من ساحل البحر إلى ساحل

(1) بسام العسلى - المرجع السابق ص 123.

البحر، وفى هذه الأثناء تحشدت الفرقة المدرعة السابعة التى قدمت من مصر فى منطقة الحدود المصرية - الليبية ثم انضمت إلى حامية "طبرق" عندئذ قرر قائد الأسطول البحرى البريطانى المرابط فى الإسكندرية أدامة التشكيلات المحصدرة فى طبرق بحرًا والاستمرار على تدمير سفن أدامة قوات المحور فى البحر المتوسط وفى 1941/4/15 استطاعت المدمرات البريطانية إغراق بضعة سفن تموين مع ثلاث مدمرات إيطالية كانت تحرس القافلة[1].

يقول رومل فى مذكراته:

وحددت سعت (0030) من يوم 14 أبريل لتكون وقت بدء الهجوم للفرقة الخامسة الخفيفة. وطلبت منى الفرقة التأكد من تأمين أجناب الاختراق مع دفع المدفعية بسرعة للأمام كلما أمكن، وأصدرت تعليماتى لآلاى جراتى والكتيبة الثامنة عشر المضادة للطائرات بالعمل فى المعاونة القريبة للفرقة الخامسة الخفيفة.

وبدأ الهجوم وبمعاونة قوية من المدفعية وفى الوقت المحدد له وبكل دقة، وبعدها بوقت قصير أخطرنا بونات أنه يتقدم بدرجة معقولة. وفى أول ضوء تحركت إلى نقطة تبعد مائة ياردة جنوب السلك الشائك لأرى بنفسى تطور العملية. وبدا أن الهجوم يسير بنجاح، وكانت الإشارات الضوئية تتردد فى الأفق فى اتجاه الشمال، وفجأة بدأت الدانات البريطانية تتساقط بالقرب منا واضطررنا للانسحاب، بعد أن انقطع هوائى سيارة غشارتى بواسطة شظية، ولم تتمكن لسوء الحظ من الاتصال بالقوة التى كان واجبها حماية الأجناب بالرغم من إتمام الاختراق غربى الطريق عبر مواقع العدو، وعليه تحركت مباشرة صوب فرقة آريتى وأمرتها بمتابعة الهجوم الرئيسى.

---

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق جـ1 ص 226.

وفى سعت (0900) عدت إلى رئاسة الفيلق فـوجدت تقريرًا من الفرقة الخامسة الخـفيفة يتضمن أن هجومـها قد توقف لأن اختراقها كـان على جبهة ضيـقة للغاية فى خطوط الأعـداء. وبعدها بفتـرة قصيـرة وصل إلى رئاستى الجنرال سترايخ والعقيد أولبرخ أنه وصل بالفعل بمدرعاته إلى نقطة تبعد ميلين ونصف جنوبى المدينة ولكنه تعـرض هناك لنيران مميتـة من المدفعية البـريطانية فاضطر إلى الانسحاب بعـد ذلك إلى خط بمحاذاة رئاسة القلق، وأضاف إلى ذلك أن نسبة كبيرة من المشاة قـد أصيبت وكنت ثائرًا للطريقة التى تخلت بها المدرعات عن المشاة فى هذا المأزق وأمرته بالتقدم فى الحال لفتح ثغرة فى خط الأعداء لتخليص المشاة.

وقررت بدأ الهـجوم بعـد وصول فرقـة آريتى، ثم تحركت مـرة أخرى صوبها لأتأكد من تنفيذها لتعليماتى ولسوء الحظ اتضح أنها لم تفعل أى شىء فحثتها على التحرك بأقصى سرعتها.

وعدت فى منتصف اليوم فـوجدت أن الفرق الخامسة الخفـيفة لم تفعل شيـئًا وذلك لشـدة نيران العدو المركـزة عليهـا. وتحت هذه الظروف لم يكن أمامى سـوى التخلى عن الهجـوز على طبرق فى هذا الحـين على أن أحاول الاتصال بكتيبة بوناث لأخرجها من مأزقها.

ثم تحركت نحـو فرقـة آريتى للمرة الثالثـة وأخطرتهم بقرارى الأخـير، وأمرتهم باحتلال القطاع جنوب الفرقة الخامسة الخفيفة وصاحبتهم بنفسى حتى سعت (1700) تقريبًا، ولكن جنوب شرق قصر اجلخا يسقط على الفرقة عدد من دانات مدفـعية العـدو الموجودة فى طبرق والفـوضى التى نتجت عن هذا كانت تفوق الوصف. فقد تبعثـرت الفرقة بدون أى نظام وارتدت منسحبة فى جميع الاتجـاهات نحو الجنوب والجنوب الغربى، وكان قائدها بعـيدًا عنها فى

الوقت لأنه كان يستطلع معى الأرض شمال قصر الجلخا، وكان الظلام على وشك الحلول لذلك لاقى قائد الفرقة صعوبات جمة أثناء محاولته لاستعادة السيطرة على وحداته وأثناء تحريكها إلى مواقعها الجديدة.

ولم نتمكن من إتمام الاتصال من كتيبة بوناث فى ليلة 14/15 أبريل. وفى ذلك الوقت كان الجزء الأكبر من الكتيبة قد قضى عليه بالفعل، وكان المقدم بوناث نفسه (والذى أنعم عليه بالصليب الحديدى لما قام به من بطولة أثناء التقدم عبر برقة)، قد لقى مصرعه فى هذه المعركة.

وفيما بعد عندما تمكن جيش أفريقيا من اقتحام طبرق فى 20 يونية فى العام التالى والاستيلاء على المواقع البريطانية جنوب منحنى الطريق وجد على مسافة ثلاث أميال جنوبى المدينة هياكل لعدد كبير من الدبابات الألمانية التى دمرتها نيران المدفعية والمدفعية المضادة للدبابات البريطانية فى يوم 14 أبريل.

وبذا تكون هذه الدبابات قد بلغت التل واستولت على أهم نقطة فى الدفاع عن طبرق. ولو تمكنت الفرقة الخامسة الخفيفة من تأمين أجنابها فإنها بذلك ستسمح للمدفعية ولفرقة آريتى بالاندفاع عبر الثغرة، وبذلك يمكننا الاستيلاء على طبرق فى يوم 14 أو 15 من أبريل 1941 [1].

تكررت الهجمات اليومية وخاب أمل روميل فى الاستيلاء على طبرق واحتملت القوات الألمانية والإيطالية خسائر فادحة حتى أن بعض الوحدات الإيطالية أبيدت إبادة شبه كاملة فتدهورت الروح المعنوية للإيطاليين فى حين استطاعت الوحدات الألمانية المحافظة على رصيدها المعنوى وكان روميل قد آلى على نفسه مواصلة تقدمه فرفض أن تقف طبرق عقبة فى وجه هذا التقدم فتخطاها مواصلاً الضغط على دفاعاتها بقوات إيطالية وفيرة[2].

---

(1) مذكرات روميل - المرجع السابق ص 61.

(2) بسام العسلى - المرجع السابق ص 123.

راود رومل الشك فى أن البـريطانيين وهم الذين بدأوا المعـركة ضعـفاء مبلبلين يمكن أن يتحولوا بمثل هذه السرعة إلى صلابة الفولاذ، ولذلك أصدر أمره إلى مـجمـوعتـين من مجمـوعات القـتال بالتـقدم فى اتجـاه الشرق مع الألتفاف حـول "طبرق"، وهاتان المجمـوعتان هما كتـيبة الاستطلاع الـثالثة بقيادة "فون ريشمار" وكتيبة المشاه الميكانيكية الخامسة عشرة - ما عدا سريتين ثقيلتين كانتـا ما تزالان فى إيطاليا فى طريقهما إلى ليـبيا، ويضاف إلى هاتين المجموعتين السرية 33 المضادة للدبابات ومعها بطارية من المدافع من عيار 88 ملمتر بقيادة المقدم "كتاب" وكانت كل سرية من السرايا الثلاث التابعة لكتيبة المشاه الميكانيكية الخامســة عشرة مؤلفة من 16 دراجة نارية ذات مقاعـد جانبية و25 سيارة خفيفة وثقيلة وعدد رجالها يبلغ 210 جنود، وكانت السرية الأولى من هذه السرايا الـثلاث قد وصلت إلى طرابلس منذ أيام قـادمة على سـفينة قديمة اسمها "اليكانت" وكانت رحلة مخيـفة أصيب فيها الجميع بدوار البحر وبعد وصلوهم إلى طرابلس لم يـنعم أحد بالراحة فتـرة ثمانية ايام كمـا كان متوقعًا بل كان فى انتظارهم على رصيف الميناء النقيب "أوتو" رئيس الإمداد والتموين الذى أصدر إليهم أمره بالتوجه إلى بنغازى على الفور، وفى بنغازى علم الجنود أن رومل تجاوز طبرق دون أنى يستولى عليها وأن كتيـبتهم تؤلف مع السرية 33 مجمـوعة قتال بقيـادة المقدم "كتاب" وأنهم مكلفـون باحتلال حصن "كابرتزو" وبلدة السلوم مع سينائها[1].

استيلاء الفيلق الأفريقى على حصن «كابوتزو»:

قام البريطانيون بهـجوم مضاد فى 15/ 4/ 1941، وصلوا فيه إلى السلوم وحـصن "كـابوتزو" إلا أن رومـل قـام بهـجـوم مـضـاد فى 17/ 4/ 1941

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 29.

واستعادهما ولكن مضيق حلفايا بقى بجوزة البريطانيين، حيث أن هذا المضيق البالغ طوله 35 كيلو مترًا من المواقع التعبوية المهمة لأنه الطريق الوحيد الصالح لمرور الدروع فى تلك المنطقـة الجبلية الـوعرة الممتـدة من الشمـال الغربى إلى الجنوب الشرقى،

يقول رومل:

وكـانت خطتى بعـد ذلك تقضـى بالاستيـلاء على التل ورأس الدور مستخدمًا فى ذلك عناصر من فـرقتى آريتى وترينتو وعدد من السرية الألمانية، وبمساندة قوية من المدفعية:

وفى 16 إبريل سعت (1700) دفعت بكتـيبة مدرعة من فـرقة آريتى (6 دبابات متوسطة + 12 دبابة خفيـفة) لمهاجمـة التبة 187 وتقدمت على يسار الهجـوم، وبدلاً من أن يتوقف الإيطاليون جنوبى التـبة ويترجلوا ليسـتطلعوا الأرض أمامهم بمناظرهم الميدانية اندفـعوا إلى أعلى نقطة فى التبة 187 وبدأوا فى التوقف، ولم يمر أكـثر من دقائق حتى فتـحت المدفعية البريطانيـة نيرانها على التبة، وعليـه انسحب الإيطاليون بأقصى سرعتـهم ثم توقفوا فى الوادى وساد بينهم الفوضى والارتباك، فحاولت إقناع قائد الدبابات الإيطالى بالتقدم إلى رأس المدور فى تشكيل مفتوح ولكننى لم أنجح.

وفى هذا الأثناء كان الملازم برندت يراقب تقدم المشـاة الإيطالية وقد تم هذا فى أول الأمر نظام ممتاز ولكن الإيطاليين تحـولوا فجأة وهربوا فى فوضى كبيرة نحـو الغرب، فأصدرت أوامرى له بالركوب فى سيارة مـدرعة والتوجه بأسرع ما يمكنه للإيطاليين ليعرف سـبب هذه الفوضى وكانت أصوات المعركة قد توقفت تمامًا، وبعدها بنصف سـاعة ظهر برندت مرة أخرى وأخطرنى بأن أحد الإيطاليين أخبره بأن العدو هاجمهم بالدبابات وبعد أن تحرك برندت عدة

مئات من الياردات نحـو الشرق رأى سيارة استكشاف بريطانية تقـود مجموعة من الأسرى الإيطاليين وأيديهم مـرفوعة إلى أعلى فقام بفـتح نيرانه فى الحال على هذه السيارة ليـعطى الفرصة للإيطاليين للهـروب، وبالفعل هربوا ولكن فى اتجاه الخطوط البريطانية!! وأخيراً تسلمتهم سيارة بريطانية أخرى.

فاضطررت إلى التحـرك ومعى ثلاث مدفاع مضـادة للدبابات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، ولم أتمكن من إقناع أطقم الدبابات الإيطالية بمصـاحبتها، ولكن هذه المدافع نجـحت تحت قيـادة برندت فى تدمـيـر عدد من حـمالات البـرن البريـطانية أما الـكتيبـة الإيطالية التـى لم يكن بحوذتهـا أى أسلحة مـضادة للدبابات فـقد سـقطت فى الأسر بالكامل فى ذلك الوقت. وقـد نجح ياورى الرائد شربيلر (الذى كان قد صـاحب الموجة الأولى من الهجوم الإيطالى) فى الإفلات من الأسر ثم قـام باحتلال المرتفاعات حول عكرمـة مع ما تبقى من الإيطاليين فـأرسلت إليه سريتـين من المشاه لتـعزيز قوته وقـال إن الإيطاليين تقدموا فى تشكيل منظم أكثر من اللازم[1].

سقطـت البردية "فى أيدى قـوات الفيلق الأفـريقى الألمانى التى تابعت رحفهـا إلى حصن "كابوتزو" والسلوم، وأخذ الجنود يتـساءلون أين تقع هذه الأماكن، فـهذه الأسماء سـرعان ما ستـصبح جزءاً من التاريخ، وبينمـا كان الطابور يواجـه سيره على الطريق الـترابى قال عـداء السرية الأول "شـريفر" لزميله: "يبدو أنها بلاد مثالية للحرب فليس فـيها ما يمكن تدميره "فما كان من الزميل إلا أن قال: "عدا أنفسنا" والواقع أن السير كان شاقًا إذ أن التراب والأشواك والذباب كـانت تضايق الجنود فضـلاً عن الحر الشديد، فـقد بلغت درجة الحـرارة 120 فهـرنهيت فى الظل مع الـعلم أنه لم يكن هناك ظل على

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 65.

الإطلاق أو الدرجات النارية لم تصمم للعمل فى جو بمثل هذه الحرارة، ولذلك كان الجنود يسيرون خمسة أميال ثم يتوقفون حتى تبرد المحركات، ولكن هذا أيضًا لم يمنع أكثر الدراجات عديمة الفائدة فى الصحراء وأن كانت عظيمة النفع فى أوروبا، وكان الألمان قد عولوا عليها كثيرًا وكانت كل دراجة يمتطيها ثلاثة جنود مترودين؟؟ رشاش وصناديق ذخيرة وثلاث بنادق وصفيحة ماء وصفيحة بترول احتياطية. وحين أرخى الليل سدوله كانت "كابوتزو" قد اصبحت على بعد خمسة وثلاثين ميلاً فكلف ضابطان من ضباط الاستطلاع مزودين بجهاز لاسلكى بالتحقيق من ذلك غير أنهما لم يعودا إلا بعد عامين من انتهاء الحرب أى عام 1947 قادمين من أحد معسكرات أسرى الحرب، وكان اليوم التالى عيد الفصح فملا استيقظ رجال الكنيسة أخذوا يتبادلون التهنئة وقال بعضهم: "باله من فصح فى هذا الصحراء وتساءل آخر متهكما: "أين يمكن أن نخبئ البيض" وقبل أن يتلقى الجواب كان البريطانيون يمطرونهم بالقنابل عوضًا عن البيض تنفجر الواحدة بعد الآخرى وسط الطابور وأتلفت ثلاث درجات نارية ونادى المنادى:

"لتتقدم المدفعية إلى الأمام" ثم سارت القوات باتجاه "كابوتزو" وهى حصن حديث مجهز بالثكنات للجنود والضباط كان قد أنشأه الإيطاليون إلا أنه أصبح خرائب تلمع خلالها تحت أشعة الشمس أعمدة الأسمنت المقام عليها المبانى. وكانت النجاة لرجال الفصيلة الثانية من الكتيبة فى تقدمهم حتى الوصول إلى خرائب الحصن التى توفر لهم شيئًا من الحماية ضد نيران البريطانيين التى فتحت بعض الشغرات فى صفوف الكتيبة، ولذلك صاح الملازم "سبيدل" فى رجال الفصيلة:

"إن لم نواصل الزحف ستمزقنا نيران العدو "وفى هذه الأثناء كانت

سيارات الاستطلاع البريطانية والمدافع الذاتية الحركة تتراجع عن "كابوتزو" وهى تطلق نيرانها على المهاجمين الألمان وترد عليها بالمثل مدافع الألمان المضادة للدبابات، وأخذت القوات الألمانية تطارد سيارات الاستطلاع البرطانية التى لاذت بالفرار بعد أن توقفت أولاها وأنقلبت الثانية والثالثة رأسًا على عقب، وتم الاستيلاء على "كابوتزو" حوالى الظهر، ولكن الألمان وجدوها خرابًا ليس فيها لا مشرب من مشارب القهوة العربية ولا بار صغير واحد ولا أى مظهر من مظاهر الحياة، ولذلك خاب ما كانوا يأملون فاستلقوا خارج الحصن على الرمال، وقد ذهبت أحلامهم أجدراج الرياح، وحين أحتفلوا بعيد الفصح لم يكن يخطر لهم ببال أن هذه الخرائب ستكون محل مد وجزر فيحتلونها هم ثم يتجلون عنها أربع مرات ويقع على أرضها العديد من القتلى الألمان والبريطانيين والإيطاليين نكتب أسمائهم على الصلبان المرفوعة فوق أضرحتهم فى ذاك المكان الذى سيتحول إلى مقبرة واسعة[1].

يقول روميل:

وقررت مهاجمة رأس المدور لأن البريطانيين يتحكمهم فى هذه النقطة يستطيعون تهديد خطوط مواصلاتنا عبر عكرمة، وعليه فقمت بمحاولة أخرى فى يوم 17 وبالرغم من أن فرقة آريتى لم تدخل فى أى عمليات تصادمية حتى الآن إلا أن قوتها أصبحت عشر دبابات فقط من المائة التى بدأت بها العمليات أما الباقى فقد تعطل لأسباب فنية فى المحرك أو غير ذلك من الأعطال. وكان شعر رأسى يقف عندما أرى الأسلحة التى زود بها الدوتشى جيشه ثم أرسله بعد ذلك ليقاتل فى الصحراء!!.

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 31.

ولم ينجح الهجـوم مرة أخرى لأن القوة المهـاجمة تجاهلت تعليـماتى، (والتى تقضـى بالتقدم من مـانع طبيـعى إلى آخر ثم تنتظر فى كل مـرة حتى تعاونها نيران المدفعية على التقـدم). ولكن قادة السرايا تجاهلوا هذه التعليمات واندفعوا بغباء عنيد نحو العـدو. وكانت المدرعات الإيطالية تحت قيادة الملازم واهل (وهو مترجم من هيئـة أركان حرب الفرقة الخامسة الخـفيفة)، وبالرغم من أن تعليماتى تقضى بأن تظل المدرعات خلف المشاة إلا أنها اندفعت متقدمة واختفت عن الأنظار تمامًا.

ولم يكن هناك أى وسيلة للاتصال بهم وأصـبح مكانهم مجهولاً، وفى نفس الوقت وصلت المشاة القائدة إلى مانع السلـك الشائك فى مواجهة رأس المدور بدون أن تقابل أى مقاومة ذات قيمة.

وفجـأة حوالى سـعت (1300) ظهـرت دبابة شمـال قمـة رأس المدور وتحركت صوب خطوطنا ومدفعها موجـه إلينا ولم استطع تمييزها بسبب الغبار الذى أثارته وخشـيت ان يكون هناك دبابات آخرى تتـبعهـا وانتابنى القلق أن يكون العدو قد لجأ مـرة أخرى لاستخدام الدبابات لتدميـر مشاتى التى كانت بدون سلاح مـضاد للدبابات، فأحـضرت فى الحـال مدافعى الثـلاثة المضادة للدبابات، وبعد ذلك ظهـرت دبابات أخرى وتبادل الطرفان النيـران وأصيبت دبابتان ولخيبة الأمل اتـضح أنها إيطالية. ولم يعد الملازم واهل، والظاهر أنه اندفع رأسـيًا بدبابتـه داخل مـواقع العدو وبالطـبع دمرت دبابتـه، وفى نفس الوقت توقف هجوم المشـاة عند مانع الأسلاك وفشلت كل المحـاولات التالية لاختـراق المواقع البريطانية. وأخيـرًا بدا لنا بوضوح أنه لا يوجد أى اخـتراق مواقع العدو الموجودة فى مواجهتنا وذلك لحـالة الإيطاليين السيئة فى التدريب ومعداتهم القديمة العديمة فقررت إيقاف الهجوم لحين وصول قوات أكبر.

ويوم 19 أبريل تحركت للبردية ورأيت على جـانبى الطريق كميات هائلة من المعـدات الحربـية من عـربات ومـئات من المـدافع التى خلفـها المارشـال جرازبانى وراءه ووجدت أن قـواتى لم تحتل الحصن بعدن وهناك قـمت بتقلى المقدم فون ويخـمار صليب الفارس ثم أصدرت أوامرى لسرية ألمانيـة باحتلال البردية على الفور. وقد سقط الحصن بالكامل وتم أسر 56 فردًا وفريق التدمير الذى أرسله الإنجليز للحصن فى هذه الليلة.

وأثناء عودتنا وعلى مـسافة حـوالى عشر أمـيال غرب البـردية تعرضنا لهجوم الطائرات البـرطانية مرتين وكانت تضرب الـطريق من ارتفاع منخفض وقتل العـريف إبحرت سائق عـربتى المدرعة وأصيـبت العربة بـ 25 طلقة من مدافع الطائرات، وقتل عدائى الجندى كانثاك هو الآخر، وأصيب سائق عربتى "المموث" بطلقة اخترقت جبهته وتركت برندت مع السيارات المضروبة وقدت "المامـوث" بنفسى وكـان الطريق فى حالـة يرثى لها وفى هذه الليلة قـررت العودة إلى مقر قيادتى فتـحولت جنوبًا قبل أن أصل إلى طبرق لأتخطاها عبر الصحراء.

وكان الظلام حـالكًا وحاولنا الاستـعانة بالنجوم فى تحـديد مكاننا باقى الليل لحين حلول الصبح[1].

الاستيلاء على السلوم:

قامت السرية الثالثة من كتيبة المشـاة الميكانيكية الخامسة عشرة بالاشتراك مع السرية الأولى من فوج الدبابات المدرع الثالث والثلاثين بـاقتحام المرتفعات المحيطة بالسلوم واقتـحام ميناء السلوم نفسه، وقد زحـف رجـال السريتين فى

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 65.

وثبات متوالية عبر التحصينات الإيطالية التى كان يحتلها البرطانيون صاعدين المرتفعات حتى ظهرت لأعينهم مياه البحر المتوسط اللامعة الزرقاء ممتدة حتى الأفق وراءهم الهضبة الليبية ورأوا فى الميناء مدمرة بريطانية أخذت تقذف المنحدرات نيرانها إلا أن المدفعية المضادة للطائرات من عيار 88 ملم التى أطلقها الملازم "كروسى" تمكنت من إسكات نيران المدمرة، وقد كان هناك عنصران فى معركة السلوم الخاصة وفى الحرب الليبية عامة أثرًا فى سير المعركة أكبر التأثير، أحدهما هذا المدفع المضاد للطائرات من عيار 88ملم وهو يعتبر معجزة الحرب العالمية الثانيةن وقد صمم أصلاً لضرب الطائرات ولكن الألمان استخدموه فى الجبهة الليبية - المصرية كمدفع مضاد للدبابات وكمدفع ميدان فأعطى نتائج ممتازة، أما العنصر الثانى فهو المواقع التى كان الغيطاليون قد أعدوها للمدفعية، فهذه المواقع أنشأها مهندسوهم بكل براعه وعبقرية عام 1940 ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بهذه المواقع فسرعان ما وقعت فى أيدى البريطانيين(1).

صمود البريطانيين فى طبرق:

نجد أن الحماس الرومانى وحده لم يكن كافيًا للإيطاليين فى معارك السلوم "وكابوتزو" وممر حلفاية وطبرق به كان لابد فى هذه المعارك من توفر الخشونة الطائفة والقدرة العظيمة على الاحتمال لأن قوات الحلفاء كانت صلبة كالفولاذ وهى مؤلفة من النيوزيلنديين والأستراليين ولواء الحرس البرطانى الثانى والعشرين، وكان البريطانيون يدافعون عن السلوم بقوة ولا يتراحعون إلا خطوة خطوة ممثلين فى تراجعهم مواقع أفضل على المرتفعات أو حولها خلف البلدةن وكانوا عندما يعمدون إلى الهجوم أو التسلل فى الليل يرتدون

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 32.

سراويل طويلة وسترات صوفية، وقد حشوا جيوبهم بالقنابل اليدوية وفى أيديهم المدافع الرشاشة ويتقدمون بأحذية من المطاط لمفاجأة مواقع المدافع المضادة للدبابات ومواقع المدفعية فيقذفونها بنيران مدافعهم وقنابلهم ثم ينسحبون أسرع انسحاب، وإذا حدث أن وقع أحدهم فى الأسر فإنه لا ينبس ببنت شفة بل يكتفى بالابتسام ويهز كتفيه، أما الذين يقفون فى الوديان بعربات الاستطلاع فيبقون فى حالة تأهب تستمر ويطلقون النار على أى شىء يتحرك، وهذا ما كان يدفع الجنود الألمان إلى أن يفضلون البقاء فى خنادقهم أثناء النهار على الرغم من أن الحرارة كانت أبشع من القتال فضلاً عن مضايقات الذباب الذى يزحف على شفاه الجنود ويدخل أنوفهم، ولم تكن تكفى فى محاربة الجيوش الجرارة من الذباب وتلك السحالى ذات الصدور البيضاء التى كانت تجد الجرأة على أكل الذباب من على وجوه الجنود وهم نيام. وهذا النمط سن المقاومة الشديدة التى كان يبديها البريطانيون فى طبرق "وكابوتزو" والسلوم هى التى اضطرت «رومل» لأن يوزع قواته بين جبهتين ولذلك عقد العزم على الاستيلاء على طبرق لكى يحرر القوات المستخدمة فى حصارها فيتسنى له بعد ذلك التقدم بسهولة، ولكن أوامر تشرشل كانت "الاحتفاظ بطبرق حتى الموت". ولذلك وجد رومل البريطانيين مصممين بدورهم على الاحتفاظ بطبرق مهما كلف الأمر معتمدين فى ذلك على القوات الأسترالية التى تتولى الدفاع عنها.

اعتمد رومل الخداع للتغلب على هذه الصعوبات وأعد خطة فى أسابيع الهجوم الأولى، فقد كان يعمد إلى إخفاء تحركات قواته عن أعين الاستطلاع البريطانى بواسطة إثارة الأتربة بشكل دائم بواسطة العربات الخاصة لهذه الغاية، وكان من نتيجة ذلك أن اتخذ البريطانيون قرارات خاطئة، وعندما

وصلت السريتان الثقيلتان من كتيبة المشاة الميكانيكية الخامسة عشرة إلى طرابلس فى 10/ 4/ 1941 وهو اليوم الذى شن فيه روميل الهجوم على طبرق أرسلهما روميل قدراص إلى طبرق وحين قابله النقيب "بوشن" قائد السرية الخامسة فى بلدة عكرمة وتلقى أوامره بالهجوم قال له بالحرب:

"عليك أن توهم العدو أنك فى قوة كتيبة على الأقل" وفى 19/ 4/ 1941 قامت السريتان الثقيلتان المشار غليهما بقيادة الرائد "شكربلر" بالهجوم الذى شاهده روميل بنفسه من على السيارة التابعة للقيادة الخاصة به. على أن نيران العدو عطلت جميع الأسلحة الثقيلة والمدافع المضادة للدبابات وتعذر على الألمان اختراق خطوط الدفاع حول طبرق رغم أنهم فقدوا نيفًا وخمسين رجلاً فى هذا الهجوم، وبعد ذلك خرج روميل قاصدًا "البردية" فشاهد عل يطرفى الطريق أكداسًا من الأعتدة الإيطالية كان قد تركها جيش الجنرال الإيطالى غرازيانى منذ أشهر، فأمر روميل بجمعها على الفور فى البردية، وعندما هبط الليل قام البريطانيون بإنزال قوة من المغاوير للقيام بأعمال التخريب فتم أسرهم جيمعًا مع قائدهم وكان عددهم 56 رجلاً وفى طريق عودة روميل ولما يبتعد عن البردية بأكثر من خمسة عشر كيلو مترًا، هاجمته طائرات بريطانية كانت تحلق على ارتفاع منخفض فقتل سائقه وقتل سائق الدراجة النارية المرافق له كما جرح سائق مركبة القيادة المرافقة له فتولى روميل قيادة سيارته بنفسه وعاد إلى مقر قيادته قرب طبرق وكتب روميل:

عزيزتى الغالية "لو" 21/ 4/ 1941

هدأت الأمور نسبيًا وأستطيع أخيرًا جمع بعض أفكارى بعد ثلاثة أسابيع من الهجوم وكانت هذه الأسابيع الأخيرة مرعبة حقًا ولدينا الآلاف الآن بمهاجمة طبرق بأفضل مما كان فى السابعة، إننا موجودون الآن فى جوف

صخـرة صخرة وقـد تناثرنا بسبب قـصف الطائرات البريطانية بـنشاط مكثف ونحاول تسوية الأمور بشكل أفـضل الجنب الآخر من طبرق ولكن القوى فى حالة من التـوازن ونتساءل ما إذا كـان البريطانيون يجلبـون فى كل يوم قوات جديدة.

رومل يضع خطة للهجوم على طبرق مرة ثانية بعد توفر المعلومات:

كتب رومل يقول:

وأخـيرًا وصلت من القـيادة العليـا الإيطاليـة خطط الدفاع عن طبـرق وكانت تشمل خـرائط مفصلة عن مواقع التـحصينات ورسومـات تبين أماكن خنادق الدفاع، ومن هذه الرسومات وضح لنا أن الدفـاعات عبارة عن خطين من التحـصينات وتتكون من دشم خرسـانية بها مزاغل ومـدفونة فى الأرض تمامًا.

وكان الخط الدفـاعى الخارجى مـحاطًا بخندق عـميق مضـاد للدبابات يغطيه غطاء رقيق مموه بطبقة خفيفة من الرمال والحجارة بحيث لا يمكن تمييزه ولو حتى من المسافات القريبـة، وكانت كل نقطة قوية قطرها حوالى 90 ياردة وتتكون من عدة مـخابئ خـرسانية مـقواه وتكفى كل منهـا لحوالى 30 أو 40 مقاتلاً.

وكان كل مخبأ يتـصل بالمخابئ المجاورة بواسطة خنادق مواصلات وفى كل زاوية يوجد حفر للمدافع الماكينة والمدافع المضادة للدبابات والهاونات. أما الخنادق المضادة للدبابات فكانت مثل خنادق المواصلات، عمـقها ثمانية أقدام ومغطاة بألواح مموهة بطبقـة رقيقة من الرمال وبذا يمكن فتـحها عند أى نقطة بسهولة تامة وكـانت المواقع القوية محاطة بموانع عميـقة من الأسلاك الشائكة كما أن الثغرات بينها كانت مغطاة أيضًا بموانع من الأسلاك.

أمـا الخط الدفاعـى الثانى فكان يـبعـد من ألفـين إلى ثلاثة آلاف ياردة خلف الخط الأول كـان مشابهًـا للخط الأول تمامًا ولكن بدون الخـندق المضاد للدبابات.

وكان كل هدفى فى هذا الحين سحب القوات المحملة التى تحاصر طبرق لاستـغلالها فى المعارك المتـحركة، وعليـه فطلبت من القيادة العليـا الإيطالية إرسال فرقتين مشاة إضافيتين.

وأخذت أعمل فى الأيام التـالية فى خطة الهجوم على طبـرق (وخاصة بعد أن توفـرت لنا المعلومات عن مواقع وتنظيم الدفـاع) وقررت وضع الجزء الأكبر من فرقة بريسكيا فى مواقع ثابتة على الجبهة الشرقية لطبرق وبذا أتمكن من سحب الكتيبة الثانية مدافع ماكينة واستغل جزء من فرقة ترينتو فى احتلال البردية والسلوم (إذ أمكن)، وبذلك أخلى كتيبة كنابى (الألمانية). وكان سيقوم بالهجوم الرئيسى الفـرقة الخامسة عشر بانزر (أو الجـزء الذى سيصل منها فى ذلك الوقت إلى الجبهة المصرية - الليبية) مع تدعيمها بوحدات من فرقة آريتى المردعة وكان محور الهجوم الرئيسى تقوم الفـرقة الخامسة الخفية بهجوم ثانوى على الجبهة الجنوبية الشرقية وقـررت القيام بهذا الهجوم فى نهاية أبريل أو فى أوائل مايو.

وفى هذه اللحظة نحن نقيم فى منخفض صخـرى ونراعى مبدأ الانتشار نظرًا لنشـاط الطيران البـريطانى الكبيـر. ويقوم فـروهليخ فى الجانـب الآخر ببعض الأعمـال التنظيمية ولكن الـقوى متساوية تقـريبًا. ونحن نشك فى أن البريطانيين يقومون بالفعل بإحضار قوات إضافية كل يوم.

ولكن قبل مرور أيام، تكـبدنا خسائر أخرى فـفى صباح يوم 22 إبريل اجتـاح العدو مـواقع الكتيبـة فابريس فى التـبة 201 ثم تقدم نحـو عكرمة.

فأنذرت الفرقة 15 بانزر على الفور (والتى وصل جزءا منهـا بالفعل) وأمرتها باحتلال الطريق الرئيسى شرقى موقع صيانة الطريق رقم 31 كم من طبرق) وبعد ذلك بوقت قصير وصلت أنباء تفيد بأن هناك اشتباكًا بالمدافع الرشاشة أمام عكرمة.

وعليه فانطلقت إلى هناك بأقصى سرعتى، ومررت فى الطريق بالكتيبة 605 المضادة للدبابات فأخذتها معى. وعند وصولى علمت بأن العدو أسر بالفعل قيادة فابريس، بينما هاجمت ست دبابات بريطانية مواقع المدفعية الإيطالية ودمرت المدافع وأسرت أطلقها.

وقد أعد العقيد فابريس قبل ذلك الستة دبابات الإيطالية التى وضعت معه لحماية المواقع وقطعًا كان يمكنها صد هجوم دبابات العدو.

وعلى الفور أخذت معى مجموعة القتال وتوجهت إلى مواقع كتيبة فابريس فوجدنا العربات والموتوسيكلات ما زالت تحترق، بينما كانت المدافع مازالت سليمة ويمكن استخدامها ولا داعى بالطبع لأن أقول أننى كنت غاضبًا جدًا لهذا السلوك المشين للإيطاليين فى مواجهة الأعداء.

وفى ذلك الوقت كان التدريب (للقوات التى ستقوم بعملية الهجوم) على أشده لأنه اتضح لنا أن مستوى مشاتنا فى حرب المواقع ضعيفًا (إذا قورن بمستوى البريطانيين والأستراليين) ولذلك قررت تصحيح هذه الأوضاع وأثناء قيامى بالتفتيش على القوات الألمانية والإيطالية كنت راضيًا عنهما للغاية، وبعدها عدلت خطتى (التى كانت تتضمن الهجوم بالفرقة الخامسة الخفيفة من الجنوب الشرقى على طبرق لأن الفرقة لم تكن لديها الميل لهذه العملية بسبب الأرض المفتوحة التى سيتم الهجوم فيها وكانت خالية من السواتر[1].

(1) مذكرات روميل - المرجع السابق ص 68.

قرر قائد الأسطول البريطانى فى البحر المتوسط فى 21/ 4/ 1941 الإغارة على ميناء طرابلس وإغراق السفن الراسية فيه وتدمير منشآت الميناء وقد نجح فى هذه الغارة نجاحًا محدودًا وطلب إليه تشرشل إغراق إحدى بوارجه القديمة فى مدخل ميناء طرابلس إمعانًا فى إعاقة التموين البحرى لجيوش المنحدر[1] وكتب مساعد روما "الرائد شرابلر" رسالة فى اليوم التالى إلى زوجة روما جاء فيها:

العزيزة السيدة روما 22/ 4/ 1941

أعتقد أن بإرسالى برسالة لك قد يسبب لك صدمة، وقد قبلت احتمال المجازفة لأطمئنك بأن كل شىء على ما يرام بالنسبة لزوجك العزيز الذى يفتقد لما يكفى من الوقت حتى يكتب إليك خلال هذه الأيام الأخيرة، حيث كان مثقلاً جدًا بأعباء العمل وأملنا جميعًا هو ألا نصل إلى طبرق فقط بل أن ننطلق منها إلى الشرق فى اللحظة المناسبة التى تبدو بعيدة المنال فالقوات الألمانية قليلة جدًا ولا يمكن الاعتماد بشىء على الإيطاليين أنهم لا يريدون التقدم أبدًا وإذا ما شعروا بالخطر فإنهم يولون الأدبار عند سماعهم لأول طلقة، وما إن يظهر لهم أول جندى بريطانى حتى يرفعوا أيديهم إلى أعلى ويستسلمون، وتعرفين بذلك سيدتى مدى الصعوبات المتزايدة التى يعانيها زوجك فى قيادته، إير أننى على شقة بإنك فى اللحظة التى تصلك فيها هذه الرسالة حتى تسمعين الأنباء الخاصة عن سقوط طبرق وعندها ستعود الحركة إلى سابق عهدها، إننا نقيم الآن فى ملجأ صخرى يصعب على لاطائرات المعادية الوصول إليه، ولدينا بعض الطائرات المطاردة الألمانية التى تجابه القاذفات البريطانية الضخمة وتقوم بالتحليق فوق القوات البريطانية على ارتفاع منخفض وقد تلقى زوجك وعدًا بدعمه بطائرات جديدة.

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق جـ1 ص 226.

إننا لا نعيش هنا كـما كنا فى فرنسا إلا أننا فى وضع شـىء، فالأغذية والمواد التموينية التى استولينا عليها من البـريطانيين قد حسنت كثيرًا من طعام الجـيش، وباسـتـطاعتك أن تكونـى على ثقة من أن حـاجب المارشـال روميل "غنتر" يبذل قصار، جهده للعناية بزوجك ورعاية شؤونه وأشعر بفرحة كبيرة لاستلام زوجك لقطار من العربات الإيطاليـة والتى تستطيع أن تؤمن له بعضًا من الراحـة والرفـاه وتحـمـيـه من البـرد فى الليل ولابد من الأعـتـراف بأن الإيطاليين هم سادة هذا النوع من الترف وقد نجد بديلاً لها فى القاهرة.

لقد وصلا العدد الأخير من مجلة "دازرايخ" وتضمن مقالاً عن زوجك ولا شك أنك طالعـتيـه وقرأيته، وقـد علق عليـه زوجك بكلمة كـتبـها عل يالهامش وهى "غباء". وقد ناقـشت مندوب وزارة الأعلام الموجودة معنا فى هيئـة أركان الفيلق فى مـوضوع المقال، ويعـرف الألمان جميـعًا مكانة زوجك السامية وأعماله الرائعة ومن العـبث أن يتطاول قلم غبى لقميص قصصًا بتكره فى هذا الموضوع.

أثناء القتال الشديد فى طبرق كتب روميل لزوجته يقول:

زوجتى الغالية لو 23/ 4/ 1941

جرى بالأمس قتال ضار على جبهـة طبرق وكان الموقف صعبًا، ولكننا نجحنا فى السيطرة عليـه، غير أنه يصعب الثقة بالإيطاليين، فلديهم حـساسية بالغة من مشاهدة دبابات العدو، ولولا وصول وحدات ألمانية جديدة لما أمكن السـيطرة على الموقف، قـابلت بالأمس "غاريبـولدى" ورئيس هيـئة أركـان الجيش الإيطالى "رواتـا" كما حـضر الوزير الإيطالى تيرونـزى هذه المقابلة، حـيث منحـونى فى أحـتفـال فـخم "وسـام الشـجاعـة" الإيطالى ووسـام "الاستحـقاق" أيضا ولكن هذه الأشيـاء جميعـها ليست ذات أهمية بـالنسبة

للحياة التى نعيشها هنا. أننى لم أنم إلا قليلاً خلال الأيام القليلة الماضية ولكن ها أنذا لا أزال أعمل من جديد بنشاطى الكامل. وعندما تسقط طبرق على ما آمله خلال عشرة أو خمسة عشر يومًا فسيصبح موقفًا صلبًا جدًا. ويمها سننعم بالراحة لبضعة أسابيع قبل أن نستأنف عملاً جديدًا كيف أنتما؟. . . . جيب أن يكون لديك كوم من البريد فى قاع البحر المتوسط.

ولا يمكن الاعتماد على القوات الإيطالية "فهم حساسين للغاية بالنسبة لمدرعات العدو كما أنهم فى هذا مثل آبائهم فى عام 1917 لأنهم يتخلون عن المعركة بسرعة".

ملاحظة: لقد مر بنا عيد الفصح دون أن نشعر به أو نتذكره.

عاد روميل للكتابة لزوجته يوم 25/ 4/ 1941

لا تزال جبهة طبرق ساخنة جدًا. وسأكون سعيدًا لو وصلت وحدات جديدة، لأن خطوط جبهتنا هى خطوط رقيقة جدًا فى هذه الجبهة الواسعة والمواجهة للقلعة، ولم أشعر بالقلق من الناحية العسكرية، قدر ما أشعره خلال هذه الأيام الأخيرة وعلى كل حال، فقد تتغير الأمور عما قريب لقد بات بالمستطاع إلى، تسوية الأمور فى اليونان بسرعة وباستطاعتهم مساعدتنا بقدر أكبر من قبل، وقد يصل "باولوس" خلال الأيام القريبة القادمة فالقتال على جبهة مصر والقتال اكتسب الآن أهمية متعاظمة ويدافع خصمنا العنيد بكل قواه[1].

استطاعت أخيرًا القوات الألمانية، اختراق خطوط الدفاع البريطانية عن طبرق اختراقًا عميقًا فى 30/ 4/ 1941 على يد وحدات من فوج المدفعية 115

(1) بسام العسيلى - المرجع السابق ص 127.

ترافقها كـتيبة المهندسين الثالثـة والثلاثين، كما تمكنت السرية الثالثـة والكتيبة الثانية للمـدافع الرشاشة بقيـادة "نمود نرود مونتو" من الاستـيلاء على موقع "رأسى المدور" المحصن وتمكنت قوات الاقتحـام الألمانية من شق طريقها إلى الموقع الأول للحواجـز ضد الدبابات ثم احـتلاله بخسـائر كبيـرة وخلال هذه العمليـة قتل الملازم "سيـرنر" قائد مهندسـين فوج المدفعـية 104 الذى أرسل مساء يوم 30/ 4/1941 لتعزيز مجـموعة القتال 115. وما أن وصل هذا الفوج إلى الساحة حتى قامت كـتيبة المشاه المحملة الخامسة عشـرة منه بتوسيع الثغرة التى فتحها فوج المدفعية 115، وكان فوج المدفعية 104 هذا قد أرسل إلى ليبيا فى إبريل وغادر ألمانيا خلال عاصفـة ثلجية شديدة. وكان الملازم "غرودجر" هو أحد ضباط الفوج - جالسًا يطالع جـريدته اليومية حين التفت إلى زملائه ليقول لهـم" أن ما تقوم به الفـرقة الخامسة الخفيفة فى ليـبيا يفوق حد التصور فمن "العـقيلة" إلى "مرسى الـبريقة" فـأجدابية" و"بنغـازى" و"المخيلى" و"درنة" وصاهم الآن عـلى أبواب "طبرق" وأؤكد لكم أن الأمـور لا يمكن أن تسير بمثل هذه السرعة ولا شك فى أنه سيبقى هناك متسع من الوقت لكى نصل إلى هناك فى الوقت المناسب". وكان الفوج الألمانى بعد مغادرتهم روما يكتـفون بلعب الورق ولا يتـحدثون عن الحـرب، وحين بلغـوا "نابولى" لم يكن لديهم متـسع من الوقت للتحـول فى المدينة لأن طائرات النقل من طراز يونكرز 52 كانت فى انتظارهم على أرض المطار[1].

تبـدل الطقس لدى الألمان، فـارتفعت الحـرارة حـتى بلغت 104 درجة فهرنيـهايت، بعد أن كان يبـعث على الارتجاف من البرد قبل بـضعة أيام فى ألمانيا، وكانت طائرات النقل تحشر بأعداد كبيرة من الجنود وتنقلهم فوق البحر

(1) بول كارل - المرجع السـابق ص 35.

المتوسط وهم يتساءلون هل ستتصدر لهم المقاتلات البريطانية فون البحر، وهل ستكتب لهم النجاة فى مثل هذه الحال، ولم يلبث الساحل الليبى أن تبدى لهم فى الأفق خطًا رفيعًا أبيض، وبعد قليل بلغوا "بنغازى" وكانت الشائعات تملأ الأجواء بأن "طبرق" على وشك السقوط وسيكون للجنود القادمين دوراً فى الاستيلاء عليها، وكانت سيارات النقل الخفيفة تنتظرهم لتنقلهم إلى الأماكن المعدة لهم وأن لم يكن أحد منهم يعرف وجهته على وجه الضبط، وسارت بهم السيارات وسط الشمس المحرقة والرمال الناعمة الحرة تلسع عيونهم حتى توقفت بهم قرب "عكرمة" التى كانت نقطة التجمع للاقتراب من طبرق، وعلى الرغم من دوى المدافع فقد استسلم الجنود للنوم فور وصولهم إلى هذه النقطة. وبعد أن حضر النقيب "ديستل" المؤتمر الخاص بالقادة، عاد يطلب إلى المهندسين أن يستعدوا للعمل، وسار الجنود حاملين المدافع الرشاشة والقنابل اليدوية إلى المعركة فى صحراء منبسطة مكشوفة لا منزل فيها ولا شجرة، وإنما الرمال والحجارة تمتد على مدى النظر فلا مكان فيها صالحًا للاستتار، وكانت سحب الأتربة الناشئة عن سقوط القنابل وانفجارها ترتفع أمامهم كلما أقتربوا من المعركة بعد أن اخترق السلك الشائك الأول ورأوا آثار جنازير الدبابات للمرة الأولى، وكان على المهجمين أن يبلغوا حائطًا من الأتربة ويحتلوه، وأخذوا يشاهدون القتلى البريطانيين فى ميدان القتال وجثثهم فى تعفن شديد أنفجرت معه ملابسهم وانتفخت وجوههم بفعل الحرارة حتى تلاشت معالمهما ثم واصلوا التقدم فالتقوا ببعض الجنود العائدين من الخطوط الأمامية وبينهم رقيب مصاب بنزيف فى كتفه ولما سقطت القنبلة الأولى على مقربة فهم انتشروا وانبطحوا أرضًا ثم استأنفوا التقدم بوثبات سريعة فى ميدان تغطية جثث القتلى التى لم تكن منتفخة هذه

المرة لأنه لم يمر عليها وقت طويل ولم يكن تظهر فى هذه الأرض للعين المجردة أية خنادق ولا أية تحصينات كتلك التى عرفها الجنود فى الجبهة الغربية أو فى خط "ماجينو" ولكن هذه التحصينات كانت موجودة فعلاً وأن لم تكن بادية للعيان[1].

رومل يوقف القتال ويكتفى بما حققه:

يقول رومل فى مذكراته:

وفى حوالى سعت (1830) من يوم 30 أبريل بدأ الهجوم على رأس المدورة بواسطة طائراتنا المنقضة، وانقضت فى زئيرها المخيف على مواقع العدو واختفت التبة تحت سحابة كثيفة من الدخان والتراب، وفحت مدافعيتنا نيرانها بشدة على نقط الاختراق، وكان الهجوم على خط الدفاع الخارجى قد نجح نجاحًا تامًا فأمكننا اختراق خط العدو إلى عمق وصل لميلين شمال وجنوب رأس المدور مباشرة، وقاتل العدو بعناد ملحوظ، فبعد إضابة الجنود استمروا فى الدفاع عن أنفسهم بنيران الأسلحة الصغيرة ودافعوا حتى النهاية.

وفى حوالى سعت (2100) هوجمت التبة الرئيسية فى رأس المدور من الخلف وسقطت فى يد كتيبة فويجستبرجر، وقامت مدفعية العدو بضرب غلالة دفاعية عنيفة ولكنها كانت موجهة فى أغلب الأحيان ضد هجماتنا الخداعية على الطرق المؤدية من درنة والعضم إلى طبرق. ولسوء الحظ أن بعض الدشم والنقط الدفاعية استمرت تدافع عن نفسها طول الليل وارتكبت قواتنا خطأ بمهاجمتها لهذه المواقع محاولة القضاء عليها بدلاً من تجاهلها والاندفاع للأمام فى اتجاه الهجوم الرئيسى، لأن هذا الواجب كان يجب أن

---

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 35.

يكلف به مجموعـات اقتحام فمن الخطأ الفاحض أن نسـمح لأعدائنا بتحويل مجهود هجومنا الرئيسى (حسب خططنا الأصلية) إلى أغراض ثانوية تافهة.

فأمرت فرقة آريتى بالتحرك ليلاً للاقتراب من مجموعة كيرشهايم. وفى الصباح التالى (أول مايو) تحركت شرقًا نحو رئاسة كيرشهايم فقابلت جزءٍ من فرقة آريتى وكان المفروض أن تكون قد احتلت بالفعل المواقع التى سقطت فى أيدينا قبل ذلك. وعند وصولى لرئاسة كيرشهايم كانت القوة الإيطالية لا تزال تنزل أسلحتها وذخيرتها من عرباتها لاحتلال مواقعها.

وغضـبت للغاية لهذا التـباطؤ وكلفت الرائد آبيل بحى الإيـطاليين على التحرك، وبذل مجـهودًا كبيرًا ولكنه لم يحقق الشىء الكثـير. وعندما قامت المدفعية البريطانية بضرب المنطقة كلها زحف الإيطاليون تحت عرباتهم وفشلت كل المحاولات التى بذلها ضباطهم لإخراجهم من تحت العربات.

وبعدها بوقت قصير مرت بنا مجموعة من الأسرى الأستراليين (حوالى 50 أو 60) وكانـوا رجالاً ضـخامًـا وأقوياء للغـاية ويمثلون بلا جـدال أرقى العناصر المـقاتلة فى الإمبـراطورية البريطانيـة، وقد ثبت لنا هذا أثناء القـتال فكانت مقاومـتهم عنيفة على الدوام ودارت اشـتباكات وحشـية فى عدة نقط ومع كل هذا فكنت أسأل نفسى متى سنتمكن من مواصلة الهجوم على طبرق واحتلالها؟ ولكن العقبة الوحيدة كانت فى كـيفية توفير القوات اللازمة لتغذية موجات الهجوم المتعاقبة والتى تكفى لـتدمير المواقع المعادية وبعد فترة تحركت إلى منطقة الهجوم، وركـبت فى المرحلة الأولى وترجلت فى المرحلة الأخيرة وذلك لأكون فكرة كاملة عن الموقف وعند وصولى أصـدرت أوامرى باحتلال المواقع التى سقطت فى أيدينا على الفور لتـأمين الجبهة ضد أى مفـاجآت غير سارة.

ولكن فى اليوم التالى (2 مايو) اتضح لى أننا لسنا على درجة كافية من القوة للقيام بالهجوم الكبيـر الذى سيؤدى إلى سقوط الحصن. ولم يبق أمامى سوى الاكـتفاء بما حقـقته بالفـعل (وهو القضاء على مـواقع العدو فى رأس المدور التى تهـدد خطوط مواصـلاتى) ولم يكن فى المقدور القـيام بأكـثر من عمليات محدودة على النقط القوية المنعزلة.

وفى الأيام القليلة التـالية شن البـريطانيون عـدة هجمـات على المواقع المستولى عليها ولكنها لم تؤد إلى نتيـجة واستطعنا صدها، ولاحظنا أن كثيراً من الجنود البريطانيين المشتركين فى هذه الهجمات كانوا فى حالة معنوية سيئة بسبب أزمة المياه فقد وصل مرتبهم اليومى إلى أقل من لتر فى اليوم[1].

عندمـا بلغ الجنود مراكـزهم فى الجبـهة ليل أول مـايوم 1941، كانت وحدات الفوج 104 تقوم بتوسيع رأس الجر فى حصن "بيلبا سترينو" بالتعاون مع سرايا فوج المدفعية 115، وما أن أنبلغ الفجر حتى تلقوا الأمر بالهجوم - فإذا بهم يفـاجأون بالنيـران تطلق عليهم من المدفـعية الألمانـية ذاتها فـأخذوا يصيـحون: "أوقـفوا النار فنحن ألمـان. غير أن صـيحـاتهم ذهبت مع أدراج الرياح، وكان من نتيـجة ذلك أن نسف مدفع مضاد للدبابات ومـعه عدد من حملة الـنقالات، كمـا أن سرية إيطاليـة كانت مـتجمـعة على يمـين الطريق استهـدفت لنيران المدفعية البـريطانية، فما استطاع الإيطاليـون أن يخرجوا من خنادقـهم ولا اسـتطاعت السـرايا أن تتقـدم للخـروج من المأزق إلا بعـد أن وصلت المدرعات الألمانيـة على الجناح الأيسر فـصحبتـها فى الهجـوم بعد أن كانت شـمس النهار قد أشرقت وأخـذت تتقدم بوثبات مـفاجئة، واحـتدمت المعركة وأصـبح ميدان القتـال طعمًا لنيران المـدفعية والمدافع الرشـاشة ومدافع

---

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 68.

الهاون، ولـم يكن فيه أى حـاجب يمكن الاستـتار وراءه من سـيل القنابل. ولذلك أصيب الإيطاليون بخسائر بليغة وتوقفت معظم الدبابات لتفجر الألغام فيها، وحين بلغت الساعة التاسـعة من صباح ذلك النهار كان قد مر على بدء الهجوم أربـع ساعات دون نتيجـة، واستبد الظمـأ بالجنود كما استـبدت بهم الدوزنتـاريا التى فتكت ببـعض القـوات حتى أن الملازم "بوشـر" ومراسلته "ويفرهوف" اضطر لخلع سرواليهما وغسلهما ونشرهما فسقطت عليهما قنبلة أتلفتـهما، واضطر الرجـلان أن يواصلا القتال يومـين بسراويلهمـا الداخلية، وكانت الأرض صلبة كالأسمنت المسلح فـلم تكن صالحة لحفر الخنادق ولكن الألمان كانوا يقاتلون كالعفاريت ويستولون على المؤن من المواقع البريطانية[1].

كتب روملى إلى زوجته يوم 6 مايو 1941.

لم أجد نـهار الأمس فرصـة للكتابـة إليك بسبب وعـرة العمل، فـقد تعرضنا خلال الأيام الماضية لعاصفة الرياح القبلية التى أرغمتنا على البقاء فى المجنبـات ويظهـر أن الطقس الآن آخـذ فى التـحسن الـتدريجى، لـقد عـاد "باولوس" من زيارته لنا. . بتنا نعـانى كثيرًا من نقص الميـاه فى طبرق وندى أمل فى أن يسـاعـدنا قـصف طيراننـا الانقضـاض (الهـجـومى) على زيادة مخـصصات الميـاه تتزايد درجـة الحرارة حدة يومًـا بعد يوم، وأصـبح العزاء بالنسبة لنـا هو فى انتظار قدوم ساعات الليل ربما تحمـله من برودة ولقد أخذ كل واحد منا جرعه من العطش - الظمأ - لا يمكن إطفاؤها.

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 30.

درس فى حرب الحركة وحرب المواقع:

كتب رومل فى يوم 6/ 5/ 1941 يقول:

وفقدنا فى هذا الهجوم أكثر من 1200 قتيل وجريح ومفقود وهذا يبين ارتفاع نسبة الخسائر بدرجة غير معقولة عند التحول من العمليات المتحركة إلى حرب المواقع فنجد فى حرب الحركة أن العنصر المهم هو المعدات كمكمل أساسى للجندى، لأن أحسن الجنود كفاءة لا قيمة لهم فى حرب الحركة بدون الدبابات والمدافع والعربات فإذا أمكننا تدمير دبابات أى قوة خفيفة الحركة فبذلك نستطيع منعها من الدخول فى أى عمليات بالرغم من أنه لن يؤثر هذا كثيراً على القوة البشرية، وهذا ليس الحال فى حرب المواقع فإذاً فقد جندى المشاه أثناء وجوده فى موقعه بندقيته أو قنبلته اليدوية فهذا لا يقل من قيمته بشرط حمايته بالطبع بواسطة المدافع والمدافع المضادة للدبابات صد مدرعات العدو حيث أن غرض العدو الأول هو قتيل فرد المشاة العادى فى موقعه، ومن هنا نجد أن حرب المواقع عبارة عن صراح لتدمير الرجال على العكس بالنسبة للحرب المتحركة فهى عبارة عن تدمير عاد العدو وليس أفراده.

ويرجع سبب الخسائر الجسيمة التى تكبدتها قواتى أثناء الهجوم إلى افتقارها للتدريب، لأنه يوجد دائمًا (حتى فى أصغر العمليات) حيل تكتيكية يمكن استخدامها لتقليل الخسائر، ولهذا يجب أن يعرفها كل المقاتلين، فقد حدث أن اتبعت القوات فى كثير من الأحيان الإقدام بينما لا ينفع سوى الحذر، ونتج عن هذا خسائر كثيرة، بينما وجدنا فى موقف آخر أنه يجب استخدام الإقدام ولكن وجدنا الرجال قد أصبحوا حذرين أكثر من اللازم وتتطلب تكتيكات المشاة الصغرى (على وجه الخصوص) أقصى درجة من الحذر على أن يصاحبها إقدام مندفع فى الوقت المناسب.

والواقع الذى استولينا عليه فى رأس المدور كان معرضًا للضرب المستمر بنيران المدفعيـة البريطانية علاوة على أن حفرنا كانت غيـر عميقة لأن الأرض صخرية وصلبة ويصعب الحفر فيها، ونتج عن هذا أن القوات اضطرت للبقاء دون حركة طول النهار مع تعرضهـا لآلاف مؤلفة من أسراب الذباب وأصيب عدد كبير بالدوزنتاريا وأصبحت الظروف مخـيفة. وكانت نيران مدفعية العدو شديدة فأحضرنا دبابات هيكلية ووضـعنها فى القطاع التى تحتله فرقة بريسكيا واجتذبت بالفعل جزءًا كبيرًا من قذائف المدفعية البريطانية.

ولسوء الحظ أن القوات لم يكن لديها فكرة صحيحة عن كيفية استخدام مثل هذه الوسائل الـتى يجب تحريكها باستمـرار مع عدم تركها أسـبوعين أو أكثر فى نفس المكان.

وقمت بزيارات كثيرة للجبهة لمحاولة تعليم القوات بعض الأفكار الحديثة عن حرب المواقع التى تناسب الظروف التى تواجهنا أما الإيـطاليون فقد نكبوا بمركب نقص بشع (وهو شىء غـير مـفاجئ) نظرًا للظروف السـيئـة السائدة، فمشاتهم كانت بدون مدفعية مضادة للدبابات وكانت مدفعيتهم عتيقة للغاية.

كمـا أن تدريبهم هو الآخـر كان بعيـدًا عن المسـتويات الحديثـة بحيث واجهنا على الدوام مواقف خـطيرة من هذه العيوب، أما الضـباط الإيطاليون فلم يفكروا كثيرًا فى الحرب إلا على أنها مغامـرة طريفة وبالطبع أصيبوا بخيبة أمل مميتة.

ومن العوامل التى سبـبت لنا مصاعب جمّـة أن السلاح الجوى الألمانى فى أفريقـيا لم يكن تحت قيـادة فيلق أفريقيـا، ونتج عن هذا أن مجمـوعات المقاتلات فى الجبهـة المصرية - الليبية لم تكن تحت قيادة فـيلق أفريقيا، ونتج عن هذا أن مجمـوعات المقاتلات والضرب الأرضى استخـدمت فى واجبات

إستراتيجيــة أكثر من استخدامها فى الواجبات التكتـيكية الأصلية (فى معاونة القوات البرية)، وكان الأفضل أن يتبع قـائد القوة الجوية الألمانية فى الصحراء العربية لفـيلق أفريقيا ليقوم بتلبـية مطالبه التكتيكية، بينما يقـوم الفيلق الجوى العاشر الألمانى بالواجبات الإستراتيجية.

ويضاف إلى هــذا أن موقف الشئـون الإدارية كان سـيئًـا هو الآخر لأن قوافل الإمداد البحرى الإيطالى كانت تفرغ حمولتها فى طرابلس ولم تستخدم مينـاء بنى غازى إلا فى القليل النادر وهذا أدى إلى إرهاق كـبيــر لموارد نقلنا البرى.

وصحيح أن رئيس الـشئون الإدارية الألمانى لم يضيع وقـته، وقام على الفور بتنظيم عملية نقل بحرى ساحلى ولكن كان يمكن تحقيق نتائج أفضل لو أن الإيطاليين تعاونوا معه بإخلاص أكبر.

ولم تنجح العمليـات التى وجهت ضد النـقط البريطانية القـوية المنعزلة لأن قوات المحور (برغم من تفوقها فى التدريب) لم تكن قد وصلت بعد إلى المستوى الذى يؤهلها للقيام بهذه المهام[1].

أثناء المعارك فى ليبيا، لم يؤيد رئيس أركان القوات البرية الألمانية الفريق الأول "فرانـزهالدر" اندفاع رومل الجـرئ وأراد التثـبت من سيـر العملـيات العسكرية فى لـيبيا، فأوفد الفـريق "باولوس" فريدريك "Paulus, Friedrich" مارشال ألمانى ولد عام 1890 وأصبح قائدًا للجيش السادس وهوالذى دافع عن ستالنغراد حتى أسره الروس عام 1943. وكان سبب مجيئه إلى لـيبيا ليتحرى عن سـير عـمليات الفـيلق الأفريقى مـوقعـيًا فى الميـدان العسكرى، فـرجع

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 76.

"باولوس" إلى رئيس الأركان البـرية معجبًا بـفاليات روميل[1]. وكان "فون باولسو" قد أعـلن عندما جاء لزيارة روميل فى ليبـيا بأن التقدم السـريع وغير المتوقع لروميل فى "برقة" هو الذى أرغم القيادة البـريطانية على سحب قواتها من اليونان وأن هذا لم يكن فى تقدير القيادة الألمانية أو فى حسابها.

علق روميل على هذا بالإعـلان أنه لم يكن على علم بمخططات القـيادة العليا أو أهدافها فيما يتعلق بالحملة على اليونان، غير أن الهجوم الألمانى على اليونان كان سـيرغم البريطانيـين على الجلاء إن عاجلاً أو آجلاً عـلى نحو ما فعلوه من قبل فى "دونكرك"، وكان من الأفضل على كل حال لو لم يتدخل الألمان فى اليـونان وجعلوا من السـاحل فى ليبـيا ومـصر مـركزًا للثـقل فى عملياتهم مما كان سيساعدهم على طرد البريطانيين من حوض البحر المتوسط، ومن أجل ذلك كان لابد من إهمال أى جهد لنقل أكـبر حمولة من المواد عبر البحر المتوسط لدعمنا بها وباستطاعـة الوحدات الميكانيكية الآلية المتمركزة فى قواعد ليبيا أن تحتل جميع سواحل هذا البحر فتعزل بذلك أوروبا عن الجنوب - الشرقى وستضطر اليـونان ويوغسلافيا وكريت للخضـوع عندما تعرف أنها معزولة عن كل دعم وإمداد بريطانى، وعـلاوة على ذلك فإن الخسائر التى قد تنجم عن هذه العمليـة والتى تسمح لنا بالهيـمنة على البلقان وحوض البـحر المتوسط والشرق الأوسط، سـتكون يقينًا أقل بكثير من الخـسائر التى تعرضنا لها خـلال حملة الصيف فى اليـونان والبلقان وكريت وليـبيا، ولكن القـيادة الألمانية العليـا ترددت فى زج قواتها على مسرح عـمليات واسع لابد وأن تمر إمداداته بالبحـر بالإضافة إلى أن الدوائر العسكرية تشبـثت بمبادئ باطلة تجاوز الزمن وتصـدت للمعارضـة بوحشـية متـجاهلة أهمـية الوصـول إلى الشرق

---

(1) اللواء فاروق الحريرى - المرجع السابق جـ1 ص 220.

الأوسط وهو مركز رئيسى للبترول والقاعدة التى يمكن الانطلاق منها للهجوم على روسيا.

تلك صورة لموقف روميل من قيادته وكان هذا الموقف وأمثاله تعبيرًا عن روميل بمقاومة "طبرق" دفع قواته لاحتلال خط السلوم - حلفايا - البردية - وأمر بحفر الخنادق وتحصين المواقع وإقامة بعض نقاط الاستناد الدفاعية على امتداد الحدود المصرية، وبينما كان يقوم روميل بتفتيش المنطقة المحصنة فى الساحل الليبى وجد فى الخنادق والتحصينات الهندسية الضخمة التى تخلى فيها جنود جيش المارشال غرازيانى الإيطالى قبل عام، كمية ضخمة من الأعتدة والوسائط القتالية فأمر على الفور باستخراجها وجمع كافة المدافع وإصلاحها فتم بسرعة تشكيل عدد كبير من بطاريات المدفعية ووزعها روميل على المواقع الدفاعية وأقبل الجنرال الإيطالى "غاريبولدى" فقال لروميل بأن هذه المدافع تخص الإيطاليين وأنه لا يمكن أن يستخدمها غير الإيطاليين، ورفض روميل طلب الجنرال الإيطالى وقد كان لهذه المدافع المضادة للدبابات من عيار 88مم دور كبير فى الدفاع عن مواقع حلفايا والنقطة الساحلية 208، حيث أمكن إخفاء هذه المدافع بعناية واستخدامها بمهارة بعد أن استخرجت من التراب ومن بين الأنقاض، ونسى الجنرال الإيطالى "غاريبولدى"[1] بأن السلاح تحمله جميع الناس ولكن ليس كل من حمل السلاح مقاتل شجاع وكذلك ليس كل حيوان له مخلب أسد كما أن أكثر من ربع مليون جندى إيطالى يحملون كافة أنواع الأسلحة استسلموا لخمسة وثلاثين ألف جندى بريطانى فى ساعات وأيام.

(1) بسام العسلى - المرجع السابق ص 130.

معركة الحدود:

يقول روميل:

وتوقفت عملية حصار طبـرق، وقررت المحافظة على مواقعنا فى منطقة السلوم وقـمت بتوزيع الواجـبات للقـوات الألمانية/ الإيطاليـة فى الصـحراء العربية كما يلى:

تقوم قوة بحصار طبرق بإحكام مع المحافظة على المواقع حولها ضد أى محاولة لفك الحصار أو الهروب من جانب حامية الأعداء.

تقوم قوة أخرى بالدفاع عن منطقة السلوم وفى نفس الوقت تقوم بتوفير دفاع خفيف الحركة لمنع أى محاولة للالتفاف الأعداء فى المنطقة التى تحدها بير حكيم والغزالة والسلوم وسـيدى عمر وذلك لمنع العـدو من مهاجمـة مؤخرة قواتنا المحاصرة لطبرق.

أما قوات المشاة المترجلة غير المحملة (وكان بحوزتنا عدد كبير منها على عكس الإنجليز) فـقررت اسـتخدامـها فى الواجبـات الآتية فـقط إذا أردنا لها النجاح:

(أ) فى مواقع لحصار طبرق.

(ب) فى الدفاع الثابت عن الخط بين السلوم وسيدى عمر.

(جـ) فى الدفاع عن البردية.

وهذا يعنى أن المجهود الأكبر لأى هجوم بريطانى فى الشرق سيقع على عاتق قـواتنا الميكانيكيـة وحدها أمـا الغرض من احتـلال المواقع الثابتـة فكان لحرمان الأعداء من احتلال قواعد هجومية ليعملوا منها ضد قواتنا. ولم يكن

من الممكن تكليف القوات الميكانيكية بأى واجبات ثانوية وعليه فكرت فى كيفية استخدامها فى حلقة الحصار حول طبرق وفى نفس الوقت أكلفها بواجب الدفاع الخفيف الحركة؟؟.

ونتج عن هذا أننى قررت أولاً المحافظة على مواقعى الثابتة بقوات مترجلة كافية ثم ثانيًا الاحتفاظ بقوة ميكانيكية مستعدة على الدوام وعلى درجة من الدقة تكفى لمقاومة الأعداء بنجاح فى أى هجوم لهم على جبهتى حول طبرق، وأستطيع فى نفس الوقت صد أى هجوم للقوات البريطانية المحملة الموجودة شرقى السلوم. وعليه فقررت وضع القوات المترجلة فى المواقع الثابتة محل القوات المحملة فى أول فرصة تسنح لى.

ولكن فى منتصف مايو كان موقفنا بعيدًا عن تحقيق هذه الأغراض، فجبهة السلوم لم تكن محتلة بالكامل، وفى الواقع كان الموجود فيها فى هذا الحين عبارة عن عدد صغير من مجموعات القتال تحتل مواقع أشبه بالنقط الخارجية وقامت قوة هيرف بهجوم مفاجئ على نقب الحلفاية واستولت عليه ولكن لم يتم بعد تحصين هذا الموقع أو ممر السلوم.

ونظرًا لهذه الظروف انتظرنا هجوم الإنجليز المتوقع على السلوم فى قلق بالغ[1].

نجد أن هناك متاعب أخرى لورمل مع الإيطاليين، فقد كان غرازيانى عدوًا لدودًا للعرب والمسلمين فى ليبيا، فلما هزمه البريطانيون، تحرك عامل الثأر والانتقام فى نفوس القبائل البدوية العربية وبدأوا بالتحرك ولكن انتصارات رومل أخمدت بعض ثائرتهم، فجاء الجنود الإيطاليون فى ركب

(1) مذكرات رومل - المرجع السابق ص 77.

روما وعاودوا نهجهم القديم فى استثارة العرب المسلمين والتحرش والاغتصاب بنسائهم، فوقعت اشتباكات دامية، وأسرع رومل فطلب من القيادة الإيطالية بإلحاح أن تأمر جندها بتجنب الاحتكاك بالمواطنين وذلك لتجنب اندلاع ثورة على مؤخرة القوات الألمانية - الإيطالية، غير أن بعض أفراد فرقة "ترنتو" ارتكبوا جرائم ضد البدو، فقام هؤلاء بذبح عدد من الجنود الإيطاليين وأمسكوا بسلاحهم ورفضوا أوامر الإيطاليين بالجلاء عن مناطقهم ومضاربهم ولما كان من الصعب على رومل فى مثل هذه الظروف معرفة المسؤولين عن مثل هذه الانتهاكات فإنه لم يبق عليه إلا أن يغمض عينيه وأن يترك لقبائل البدو من العرب المسلمين حرية التصرف بما يناسبهم وهذا ما أدى إلى مقتل كثير من الجنود الإيطاليين[1].

بقيت "طبرق" هى هاجس رومل فوضع مخططه على ضوء الموقف الجديد، وشكل قوة قتالية واجبها احتلال مواقع محصنة تحيط بالمدينة وتعزلها وشكل مجموعة ثانية واجبها احتلال السلوم ومجابهة أى إنزال بريطانى محتمل فى قطاع بير حكيم - الغزالة - السلوم - سيدى عمر. وقد استمرت محاولة رومل الاستيلاء على طبرق حتى يوم 7/ 5/ 1941، إلا أن دفاع البريطانيين عنها كان قويًا للغاية، وقوات رومل لم تكن كافية، فسحبت القوات المحملة من خط القتال وأرسلت إلى حصن "كابوتزو" فى 4/ 5/ 1941 كما تراجع الفوج 104 إلى خط قتال خلفى أكثر ملاءمة ولم يكن أحد ليجرؤ على الخروج من الحفر إلا أثناء العواصف الرملية أو فى ظلمة الليل وبسرعة بنيت الهجارة حول المواقع الجديدة القليلة العميق لحمايتها من القوات البريطانية واضطر الألمان لأن يخوضوا معركة الاستحكامات المستترة

(1) بسام العسلى - المرجع السابق ص 131.

التى لا ترى بأم العين ولذلك رقمت بأرقام لتمييزها ولا يشعر بها الجندى إلا إذا سقط فيها لأنها مبنية بمحاذاة سطح الأرض المحيط بها، وكثيرًا ما كان الألمان يتجاوزونها دون أن يروها فيتعرضون لنيران مميته من الحلفاء وهذه الاستحكامات هى فى الأصل خنادق حفرت فى الأرض الصخرية بالديناميت ثم قويت بالأسمنت المسلح ووصلت بمخبأ على شكل غرفة، ولذلك صدرت الأوامر إلى مهندسى الفوج 104 بتدمير الاستحكام رقم (4) والاستحكام رقم (5) فكان عليهم أن يهاجموا عند الفجر هذين الاستحكامين اللذين يبصقان النار، وفى ظلام الليل الدامس تجمع المهندسون وكانوا قد تناولوا قبل منتصف الليل الحساء الذى وزعه الطهاة على الجنود فابتلعوه بسرعة لمجرد أنه ساخن كما تناولوا الجبن والسردين والخبز الأسود وكان هذا هو الطعام الاعتيادى فى الجبهة وإن كان اللحم المحفوظ الردىء يوزع أحيانًا فيدعوه الجنود الألمان "لحم موسولينى" بينما يدعوه الإيطاليون "لحم الحمير" وما انبلج الفجر حتى تحركت القوات وواصلت زحفها حتى أصبحت على مرمى القنابل اليدوية من موقع العدو، وفى هذا الهجوم كانت الخطة كافية لسحق كل الاستحكامات، وكانت الخطة أيضًا بإطلاق إشارة ضوئية بيضاء لدى وصول القوات المهاجمة إلى الموقع المقصود كى تنطلق المدفعية الثقيلة فى قذف نيرانها على أن تركز مدافع الهاون نيرانها على الاستحكامين ثم تتوقف فيقتحمها المشاة لينسفوها ويحتلوهما بعد ذلك حتى تأتى قوات تحل محلهم فى الليلة التالية.

نفذت الخطة بحزافيرها فزحف الجنود على الأرض الصخرية وبلغوا هدفهم فى سكون تام وانطلقت الإشارة الضوئية المتفق عليها، ولكن المدافع الثقيلة لم تبدأ الضرب ولم يعرف أحد لماذا لم تنفذ المدفعية الخطة الموضوعة، فما كان من البريطانيين إلا أن أخذوا بنسف المهاجمين وتدمير قواتهم واضطر

الفوج 104 لأن يبقى راقدًا فى حفرة معرضا لأشعة الشمس المحرقة 12 ساعة دون أن يستطيع حراكًا حتى يرخى الليل سدوله لأن مجرد الظهور فوق سطح الأرض كان سيندر رصاص العدو فلا يلبث الجندى أن يجد نفسه مصابا والأستراليون قناصون ممتازون ماهرون فى الرماية، أما القوة المهاجمة فقد تعالت فيها صرخات تدل على الألم وأصوات على حشرجة الموت، وأغرب إصابة وقعت هى تلك التى تعرض لها جندى صغير اسمه "سيجربست" فقد أصيب برصاصة مرت داخل فمه المفتوح وخرجت من الخلف بالقرب من العمود الفقرى ولكن أعجوبة جعلتها لا تخترق أى شريان أو وريد أو عصب أو عظم فى هذه المنطقة الخطرة من الرأس، وكل ما أحدثته الرصاصة جرح سطحى بسيط، إلا أن "سيجربست" كان أصغر أفراد القوة المهاجمة ويحبه الجميع، فحين صاح أنه قد جرح ورآه الملازم "فردل شمدت" مصابًا فى فمه المفتوح أقبل عليه يحمله ويوقفه على قدميه فسار وراءه حتى الخطوط الخلفية، وحين رآه الطبيب قال له: "إنك إنسان محظوط، ولو كنت مكانك لسرت فى المستقبل مفتوح الفم دائمًا كما كنت حين أصابتك الرصاصة!" والواقع أن هذا الفتى كان محظوظا للغاية إذ أنه اشترك فى القتال حتى نهاية الحرب وخرج منها سليمًا ولا يزال حيًا وبصحة ممتازة.

نلاحظ أن العواصف الرملية المتعاقبة كانت أكبر حليفًا للفيلق الأفريقى الألمانى، فقد كانت هذه العواصف تجمد البريطانيين فلا تطلق مدفعيتهم نيرانها ولا يغادرون هم أماكنهم خلالها بينما كان الجنود الألمان ينتظرون هبوبها ليخرجوا من مخابئهم إلى سطح الأرض ويتبادلون التحية والكلام مع زملائهم فى الحفر المجاورة، أما حين يكون الطقس عاديًا فكان خطرًا أن يبرز الجندى أنفه أثناء النهار ذلك أن البريطانيين كانوا يتزودون بواسطة البحر

بذخيـرة وافرة حتى أنهم لم يكونوا يتـرددون فى إطلاق قنبلة من مدفع هاون على هدف يتألف من رجل واحد وقد حدث للملازم "فردل شمدت" حادث عجيب حـين كان يزور الملازم "ويتنجل" فى الجماعة المجاورة، فـقد شاهده البريـطانيون وأطلقـوا عليه النار، ولم يجـد على مقـربه منه خندقًا أو حـفرة يحتمى فيها من القنبلة لأن الخندق المجاور له كان مشغولاً، وإذ كان "فردل" يعرف من صـوت القنبلة متى سـتنفجـر على الأرض وفى أية لحظة يجب أن يتفادى خطرها بالانبطاح أو بـأية وسيلة أخرى، فقد وجد نفـسه مضطرًا لأن يقذف بنفسه فى الخندق المشغول فإذا به يـشم رائحة نتنة مخيفة، وما لبث أن اكتشف أن صاحب الجثة ألمانى وأنه طبيب الـفوج المفقود وما من أحد يستطيع أن يعرف كم مضى عليه من الوقت فى هذا الخندق فاتحًا عينيه الواسعتين دون حراك! وفى هذا الجـحيم بقى مهندسـو الفوج 104 قابعين أمـام طبرق حتى منتصف مايو، أى حتى جاءت قـوات البدل، ولكنهم على سرورهم لنجاتهم من الموت مرة أخـرى أصبحـوا فى طريقهم لمواجـهة مأسـاة أعنف فى طريق السلوم - "كابرتزو" - ممر حلفاية. . حيث كانت المعركة الدامية تنتظرهم هم وجنود الفوج 115 الذين نقلوا معهم إلى هناك[1].

* * *

(1) بول كارل - المرجع السابق ص 39.

فهرس المحتويات

في هذا الكتاب



المؤلف في سطور

- من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.
- رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات ومجموعة العيدروس التجارية.
- حاصل على الليسانس من لبنان والماجستير في التطورات السياسية في الإمارات العربية 1932 - 1971 والدكتوراه من مصر عام 1983 في العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971.
- عمل في دائرة الإسكان والمشتريات بالحكومة المحلية في إمارة أبو ظبي 1970 - 1973 ثم مديرا للعلاقات الثقافية بالحكومة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة 1979 - 1984، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة 1984 - 1993 وقام بالتدريس في كلية زايد العسكرية في مدينة العين وكذلك بكلية الظفرة الجوية في أبو ظبي، كما شارك في دورة تدريب الدبلوماسيين في وزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في جامعة الكويت 1993 - 2000 ثم في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا 2000 - 2002، ثم في القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 2002-2006: الأمين العام للجنة الإمارات للتاريخ العسكري، ثم رئيس مؤسسة اسكاندافيا للاتصال الث
السويد من عام 2007 حت
في العديد من الجمعيات
والدولية وعضو في الأ
المؤرخين العرب منذ عام
ورئيس تحرير مجلة
الإسلامية.
- صدر له أكثر من اثنى
من أربعين بحثا معظمها
والدراسات العربية والإسلامية.

